العالم المعاصر بين حربين

من الحرب العالمية الأولى الى الحرب الباردة

١٩١٤م - ١٩٩١م

الأستاذ الدكتور
موسى محمد آل طويرش
الجامعة المستنصرية







دار المعتز للنشر والتوزيع

العالم المعاصر بين حربين

من الحرب العالمية الاولى الى الحرب الباردة

1991-1914

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(2016/10/4735)

320.9
آل طويرش، موسى محمد
العالم المعاصر بين حربين من الحرب العالمية الأولى إلى الحرب الباردة 1914 - 1991 / موسى محمد آل طويرش.-
عمان: دار المعتز
ر.إ. (2016/10/4735)
الواصفات :/ الأحوال السياسية// العالم/

يتحمل المؤلف كامل المسؤلية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية او اي جهة حكومية.

الطبعة الثانية

٢٠١٧م –١٤٣٨هـ

دار المعتز للنشر والتوزيع
الأردن- عمان- شارع الملكة رانيا العبدالله- الجامعة الأردنية
عمارة رقم ٢٣٣ مقابل كلية الزراعة الطابق الأرضي
تلفاكس ٠٠٩٦٢ ٦ ٥٣٧٣٠٣٥ ص.ب ١٨٤٠٣٤ عمان ١١١١٨ الأردن

العالم المعاصر بين حربين
من الحرب العالمية الاولى الى الحرب الباردة
1914-1991

الأستاذ الدكتور
موسى محمد آل طويرش
الجامعة المستنصرية

الطبعة الثانية منقحة
1438هـ-2017 م

دار المعتز للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

(نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّن نَّشَاء وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ)

صدق الـلـه العظيم

سورة يوسف آيه (76)

الاهـــــداء

الى من يقرأ التاريخ

ثقافة ووعي ...
دروس وعــبر ...

مقـــدمة الطبعة الاولى

يتناول هذا الكتاب تأريخ العالم المعاصر مـن عـام 1914 وهـو تـأريخ بـدء الحـرب العالميـة الاولى مروراً بالحرب العالمية الثانية انتهاءاً بالحرب الباردة، وقد شملت مادة الكتاب مـا بعـد عـام 1975 كون ان العلاقات الدولية شهدت انتقالة مهمة تمثلت بانسحاب الولايات المتحـدة الامريكيـة من فيتنام وظهور ما اطلـق عليـه (عقـدة فيتنـام) بدايـة لمرحلـة جديـدة في العلاقـة بـين الولايـات المتحدة والاتحاد السوفيتي اطلق عليها مرحلة الوفاق كان من اهم معالمها الاتفاقيات الثنائية حول الحد من الاسلحة الستراتيجية كأتفاقية سالت (1) وسالت (2) وغيرها.

وعلى الرغم من مرور تلك العلاقة بفترات من التوتر لاسيما بعد الغـزو السـوفيتي لافغانسـتان عـام 1979 الا أن سياسة الوفاق كانت مستمرة ومنسجمة مع سياسة امريكية من نوعاً اخـر هـدفت الى تحطيم الكتلة الشيوعية من الداخل. لذا يعد العديد من الباحثين أن الانسـحاب مـن فيتنـام وبـدء سياسة الوفاق هو نهاية الحرب الباردة التي استمرت منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية عام 1945.

وقد جاءت مادة الكتاب لتكون متوافقة مع مفردات اعدت مركزيـاً في الجامعـات العراقيـة كما وُضعت مادة الكتاب هذه لتتناسب مع المستوى الفكري والمعلوماتي لطلبـة الدراسـات الاوليـة والعليا اذ كتُب بأسلوب مبسط ومتسلسل ليسهل على الطلبة فهمه واستيعابه ليس فقـط لاغـراض امتحانية او دراسية وانما بهدف ترسيخ المعلومات في الذهن ليكون مادة للطلبة يمكن الافـادة منهـا مستقبلاً في حياتهم العملية،كما تم التركيز عـلى الهـوامش بقصـد تعلـيم الطالـب كيفيـة اسـتخدام المصادر وكتابتها بأسلوب علمي ومنهجي.

ولا بد لي ان اذكر بالشكر والتقدير كل من ساعدني في انجاز هذا الكتاب من زملائي واصدقائي وعائلتي خدمة للباحثين...

والحمد لله رب العالمين.

موسى محمد آل طويرش

بغداد - شباط 2009

مقدمة الطبعة الثانية

لاتزال الاحداث التي شهدها القرن العشرين تثير الكثير مـن التسـاؤلات والتحـليلات، وذلـك كونها وضعت الاسس وشكلت الواقع الدولي الحالي والذي يعاني من صراعات مختلفة تعـود جـذور اغلبها الى تلك الاحـداث،اذ لاتـزال تفاعلاتهـا قائمـة الى الوقـت الحاضركالقضيةالفلسطينيةوالمشـكلة الكورية على سبيل المثال للحصر.

بل ان تلك الاحـداث وضـعت الاسـس ايضـا للنظريـات والابحـاث التـي اصـبحت المـادة الرئيسـية للدراسات في اقسام العلوم السياسية والتـاريخ والاقتصـاد وغيرهـا، انطلاقـا مـن ان ماشـهده القـرن الماضي انتج اسس وتراتبيات محددة في العلاقات الدوليـة تصـلح ان تكـون قواعـد للدراسـةوالبحث ووضع الاحتمالات لما ستكون عليه الاوضاع الدولية مستقبلا وفق اطر علمية واكاديمية.

ومن هنا وبعد نفاذ الطبعة الاولى التي بلغـت الفـي نسـخة ارتأينـا اعـادة طباعتـه بطبعـة جديدة،اذ لايزال الكتاب مطلوبا من الباحثين كونه، وكما نرى،قد طرح وبشكل تحليلي غير تقليـدي الاحداث، والتي قسمت الى مراحل ابرزها المرحلـة التـي اعقبـت الحـربين الاولى والثانية،فضـلا عـن مرحلة التحول في العلاقات الدولية في عقد السبعينات والثمانينات لاسيما الاسـباب والعوامـل التـي اسهمت في انهيار الكتلة الشيوعية الاقتصادية منها والسياسية.

لقد حرصنا ان يكون اسلوب ولغة الكتاب سلسه وغير معقدة في مناقشة الاحـداث وتحليلهـا وذلـك انطلاقـا مـن رغبتنـا مـن ايصـال الفكـرة والمعلومـة الى البـاحثين عـلى اختلاف مستوياتهم بشكل واضح طبقا للحكمة التـي نـؤمن بهـا (بسـاطة الفكـرة دليـل

عمقها). ولاندعي ان هذه الدراسة متكاملة،فهي اختارت احداثا ومناطق راى الباحث انها مهمة وتعطي للباحثين افاقا واسعة للدراسة والبحث.ونرجو ان وفقنا بما شاء الله في اعطاء فكرة عامة عن تطور العلاقات الدولية ومعايرها التي رسمت وترسم الواقع الدولي الراهن.

والحمد لله رب العالمين.......

الاستاذ الدكتور

موسى محمد آل طويرش

بغداد/2016

(ان السلام الدائم حلم، بل حلم غير جميل والحرب عنصر في النظام الآلاهي للكون. وتتطور فيها انبل فضائل الانسان كالشجاعة وانكار الذات والاخلاص للواجب وروح التضحية، حيث يضحي الجنود بارواحهم. وبدون حرب يصاب العالم بالركود ويفقد العالم نفسه في النزعة المادية).

مولتكه (الكبير)

رئيس اركان الجيش الالماني لعام 1870

الفصل الاول

العوامل والمتغيرات

المساعدة في نشوب الحرب

العالمية الاولى

الفصل الاول

العوامل والمتغيرات المساعدة في نشوب الحرب العالمية الاولى

عند محاولتنا تلمس الاسباب الحقيقية للحرب العالمية الاولى التي نشبت في آب من عام 1914 لا بد لنا من العودة الى المرحلة السابقة للحرب وبالتحديد الى المتغيرات التي شهدتها القارة الاوربية من تطورات اقتصادية اوسياسية او عسكريةفي نهاية القرن الثامن عشر والتاسع عشر، كون هذه المتغيرات هي التي أنضجت وبشكل حاسم ظروف نشوب الحرب الكونية واستمرارها.

اولاً: نتائج الثورة الفرنسية والحروب النابليونية (1789–1815):

لم تكن الثورة الفرنسية في تموز من عام 1789 حدثاً عابراً في التأريخ الاوربي والانساني بل انها حفزت في ذلك التأريخ افاقاً وتطورات جديدة سارت عليها المجتمعات الاوربية وحفزت فيها روح التغير بأتجاهات مختلفة[1].

وبعيداً عن اسباب هذه الثورة وتطوراتها فان ما يهمنا هنا هو التغيرات التي احدثتها في الواقع الاوربي واثارها التي استمرت الى المراحل اللاحقة لها.

1- اضعفت الثورة الفرنسية اركان النظم الاوربية التقليدية وهزت شرعيةالملكيات المستبدة (المستندة الى الحق الالاهي في الحكم) والتي سادت اوربا لقرون طويلة. اذ تعزز لدى الشعوب الاوربية الشعور بانها

---

(1) لمزيد من التفاصيل عن الثورة الفرنسية وتطوراتها انظر:
هـ ل. فشر، تاريخ اوربا في العصر الحديث 1789 - 1950، ط7، ترجمه احمد نجيب هاشم ووديع الضبع، (القاهرة – بدون تأريخ)، ص50-60.

هي وليس الملوك مصدر السلطات، او انها تملك الحرية الكاملة في اوطانها بغض النظر عن الطبقة او التقاليد التأريخية اوحقوق الملوك المطلقة. كما ورسخت الثورة وارهاصاتها حقيقية ان الانظمة الاوربية المذكورة لا تتلائم وروح العصرمما اعطى شرعية تغييرها.

كان ذلك بداية لتعرض التركيب الداخلي للانظمه السياسية في اوربا للتخلخل وعدم الاستقرار والذي طبع التأريخ الاوربي خلال القرن التاسع عشر بالرغم من محاولات الانظمة الرجعية (اعادة القديم الى قدمه) طبقاً لمؤتمرات عقدتها تلك الانظمة ابتداءِ من مؤتمر فينا عام 1815 مروراً بمؤتمر اكس لاشبل 1818 ومؤتمرات اخرى، فضلاً عن الاجراءات السياسية والعسكرية التي اتخذتها تلك الانظمة للوقوف بوجه المد الثوري المتصاعد والذي رسخ فيها من ايام الثورة الفرنسية وحروب نابليون. وتبرز امامنا هنا محاولات (مترنيخ) الزعيم النمساوي البارع في اخضاع الشعوب المطالبة بالحرية والمتزامنة مع محاولات ملوك فرنسا والدويلات الايطالية والالمانية والتي كان هدفها اعادة اخضاع شعوب تلك المناطق بالقوة لا سيما في اعوام 1820-1830-1848، الا ان تلك المحاولات بائت بالفشل(1). اذ ترسخت مبادئ الحرية لدى شعوب اوربا الامر الذي انعكس على حالة الاستقرار السياسي في القارة الاوربية بشكل عام والذي ترُجم الى اضطرابات مستمرة خلال القرن التاسع عشر على شكل ثورات وانتفاضات شعبية.

2- الروح القومية: ان اهم ما افرزته الثورة الفرنسية والحروب النابليونية هو نمو الشعور القومي لدى شعوب اوربا، وياتي ذلك من خلال جانبين الاول فكري: اذ عمق شعور المجموعات الاوربيةبأنتماءها القومي وبان ولائها واخلاصها يجب ان يكون وفق منظور قومي يتعلق بالمجموعة الثقافية التي تنتمي الى جغرافية محدودة وليس الولاء للملك او الطبقة،طبقاً لذلك فقد بدأ البحث عن الهوية القومية والالتفاف حولها ومن ثم الدفاع

(1) د. فاضل حسين، التأريخ الاوربي الحديث 1815 - 1939، (بغداد - 1982)، ص30.

عنها. الثاني عسكري: فقد ادت الافكار الجديدة الى ولادة مقاومة شعبية على اساس قـومي لمواجهـة الحكم الاستبدادي الذي حاول نابليون بونبارت فرضه بالقوة على مناطق اوربا المختلفة فكان ذلـك على شكل ثورات وانتفاضات ادت الى تقويض قوة نابليون ومن ثم ساعدت على القضاء عليه.

وعندما حاولت الدول الاوربية في مؤتمر فينا فرض الانظمـة الرجعيـة عـلى شـعوب اوربيـة, متغافلة للروح القومية الجديدة التي اوجدتها السياسة النابليونية, حصلت حالة التمرد والثورة.على سبيل المثال قـام نـابليون بتوحيـد الولايـات الايطاليـة لغايـات واهـداف تتعلـق برغبتـه في تسـهيل السيطرة على هذه المنطقـة الا ان هـذا التوحيـد قـد ازال والى الابـد المعوقـات والقيـود الجغرافيـة والاقتصادية والسياسية وحتى النفسية التي كانت تقف امـام الشـعور القـومي المشـترك للـدويلات الايطالية. وعندما حاول مؤتمر فينا 1815 اعادة تقسيم تلك الدويلات الى عشرة اجزاء مقتطعاً جزاً منها للنمسا اندلعت الثورة في عدد منها لا سـيما في نـابولي وذلـك خـلال عـام1830 – 1840، الامـر الذي دعا النمسا الى أن تتدخل عسكرياً لقمع هـذه الثـورات التـي نجحـت في البـدء مـن تأسـيس سلطات قومية محددة بدساتير اقرها الشعب، وكانت هذه الثورات بدايه لحركات مستمرة انتهـت بتحقيق الوحدة الايطاليا خلال الاعوام 1859 -1866(1).

اما بالنسبة لالمانيا فلم يتمكن مؤتمر فيينا من انكار حقيقة التقارب القومي لدى الـدويلات الالمانية فاضطر الى قبول الكونفدرالية المانية التي تضم 39 دويلة بعد ان كانـت في الفـترة السـابقة للحروب النابليونية مقسمة الى اكثر من 200 امارة او دويلة. لذا فـان دور الثـورة الفرنسـية في نمـو الروح القومية يتمثل بما يلي:

أ- ان تنـامي الشـعور القـومي تسـبب في حـدوث حركـات ثوريـة انفصـالية عـلى اسـاس قـومي في ايطاليـا والنمسـا والبلقـان وغيرهـا الامـر الـذي ادى الى زعـزة الاسـتقرار في

(1) فشر، المصدر السابق، ص95.

اوربا، و دخول الحكومات الاوربية الكبرى في تحالفات وحروب بسبب هذه الثورات زادت من حدة الشقاق بين تلك الحكومات.

ب- نتيجة لنمو الروح القومية، فقد عملت شعوب اوربية عدة على تنظيم نفسها وايجاد الظروف المناسبة لاقامة دولة قومية قوية، كما حصل في ايطاليا بعد حروب خاضتها الدويلات الايطالية مع النمساوفرنسا والتي انتهت بأعلان الوحدة الايطاليةعام 1866. وكذلك فعلت الدويلات الالمانية التي تمكنت من اعلان قيام الامبروطرية الالمانية عام 1871، الامر الذي ادى الى ظهور قوى فاعلة كانت لها طموحات كبيرة ودور كبير في ادارة العلاقات الاوربية فيما بعد.

ت- لقد اخذ نمو الشعور القومي منحاً سلبياً عندما تحول الى نوع من التعصب والرغبة في التسيّد والاستمتاع بشعور التفوق والهيبة انطلاقاً من نظريات عنصرية تبنتها شعوب معينة كالشعور بالتفوق العرقي الذي ساد الاوساط الالمانية، قابله شعور بالتحدي لدى شعوب اخرى الامر الذي هيأ لاجواء الحرب الاوربية.

ث- ان هذه المشاعر القومية والولاء المتعصب لها ساعدت خلال القرن التاسع عشر على نمو اجيال تشربت بهذه النزعة ومستعده لفعل اي شي من اجل الشعور بنشوة الانتصار والفخر، ويشير احد الكتاب الالمان في هذا المجال: (كلما كانت دولة ما اكثر اتساماً بالنزعة القومية وكلما كانت اكثر طموحاً في السيطرة الاستعمارية كان ادعاؤها اقوى بالسمعة الدولية وتولي مرتبة دولة عظمى)[1].

3- ترسيخ نظام توازن القوى: لقد كان من بين اهم نتائج الثورة الفرنسية والحروب النابليونية تركيز حكومات الدول الاوربية على موضوع توازن القوى والذي

(1) نقلا عن براين بوند، الحرب والمجتمع في اوربا 1870-1970، ترجمة سمير الجلبي، (بغداد - 1988)، ص50.

يعني (وجود ارضية مشتركة متوافقاً عليها بين مختلف القوى الاوربية حول الوضع الراهن في اوربا وان اي محاولة لخرق هذا الوضع من قبل اي طرف من الاطراف يمثل خطر على الامن والسلام والاستقرار في اوربا ومحاولة للتفرد بالقوة على حساب الاطراف الاخرى الامر الذي يتطلب من الجميع الوقوف ضد ذلك الطرف بكل الوسائل الممكنه ومنها الحرب).

ولقد تعزز هذا المبدأ باتفاق حكومات الدول الاوربية على هزيمة نابليون وكذلك عندما تم التاكيدعليه في مؤتمر فيينا، اما في مؤتمر اكس لاشبل عام 1818 فقد اقرته الدول الكبرى رسمياً وعدّ واجب التطبيق وذلك وفق معاهدات واتفاقات احتوى على وصف الاجراءات والقواعد التي تنظم العلاقات بين الدول الاوربية طبقاً لمبدأ توازن القوى. اما عملياً فبعد موقف الدول الاوربية من نابليون وقفت تلك الدول ضد محاولات روسيا في تقسيم الدولة العثمانية لا سيما في حرب القرم 1853-1856. وعلى نفس الاساس وقفت الدول الاوربية جميعها ضد التطلعات الالمانية في اوربا وخارجها الامر الذي ساعد على اشعال الحرب العالمية الاولى.

ثانياً: الثورة الصناعية

يطلق تعبير الثورة الصناعية على سلسة التغيرات العلمية التي شهدتها اوربا خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر والتي اثرت بشكل كبير على نقل المجتمع من الحرفية الصناعية المتوارثة الى اساليب جديدة في العمل والسفر وطرق العيش وادارة الحروب. فقد تم استبدال قوة الانسان والبغال والريح بقوة الآلات والمكائن التي اضافت قدرات جديدة استفاد منها الانسان الاوربي في مجالات جديدة كاستخدام المحركات في

البواخر والقاطرات وفيما بعد بالسيارات والطائرات[1] واستخدام الآله في البريد والاتصالات.

وفي الوقت الذي ساهمت فيه هذه الاختراعات في تسهيل حياة الانسان الاوربي وتطور اساليبها، الا انها ساهمت ايضاً في توجيه العلاقات الاوربية بأتجاه التوتر ومن ثم الحرب. السؤال هنا كيف تم ذلك؟

1- التنافس الاستعماري:

نتيجة للتطورات الهائلة التي شهدتها اوربا في مجال التصنيع وازدياد معدلاته، وظهور شركات كبرى احتكارية ونتيجة فائض رؤوس الاموال داخل الدول الصناعية، فضلاً عن الرغبة في توسيع الاسواق لتصريف المنتجات والحصول على المواد الاولية من مناشئ جديدة. كل ذلك ادى الى حالة من التنافس الشديد بين تلك الشركات خارج اوربا لا سيما في المناطق الغنية بالمواد الاولية في اسيا وافريقيا.

لقد اتفق معظم المؤرخين على اعتبار الاستعمار ظاهرة برزت في منتصف القرن التاسع عشر بهدف الاستغلال بمعناه الاقتصادي، والذي بدأت حاجة الجوء اليه تزداد بعد التطورات الكبيرة التي شهدتها اوربا في مجال الصناعة. فالثورة الصناعية هي التي قادت الدول الاوربية الى البحث عن المستعمرات والسيطرة عليها واستغلال مواردها المادية والبشرية بأستخدام شتى الوسائل ومن ابرزها العسكرية.

وانطلاقاً من ذلك فان المستعمرات والتنافس عليها وتحديد ملكيتها الى هذه الدولة او تلك كان من بين مبررات الصراعات المهمة التي صبغت السنوات الاخيرة من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. اذ قادت هذه المنافسة الى شعور بعض القوى

---

(1) من المفيد ان نذكر أن اول تجربة ناجحة للطيران كانت في حزيران من عام 1913. د. فاضل حسين، المصدر السابق، ص130؛ كارلتون هيز, الثورة الصناعية ونتائجها السياسية والاجتماعية، ترجمة احمد عبد الباقي، (بغداد 1962)، ص16-20.

(كالمانيا) على سبيل المثال بأنها لم تحصل على مستعمرات تتناسب وقوتها الاقتصادية ومكانتها الدولية بالمقارنة مع الدول الاخرى مثل فرنسا وبريطانيا.

وقد تم عقد المؤتمرات والاجتماعات بين الدول الاوربية للاتفاق على صيغة مقبولة لانهاء حالة الصراع حول المستعمرات ومنها مؤتمر برلين الذي عقد عام 1884، لتسوية الخلافات حول المستعمرات الافريقية بين المانيا وفرنسا وبريطانيا والبرتغال وبلجيكا[1].

كما ان التنافس كان على اشده في شمال افريقيا بين فرنسا التي احتلت الجزائر عام 1830 وتونس عام 1880 وبريطانيا التي احتلت مصر عام 1882 وايطاليا التي احتلت ليبيا عام 1911 وبين المانيا التي كان لها اطماع في المغرب الاقصى. اما في اسيا فكان التنافس الالماني البريطاني على اشدة للسيطرة على العراق وفلسطين والخليج العربي لا سيما بعد حصول المانيا على امتياز مد خطوط مواصلاتها عبر العراق الى الخليج العربي (سكة حديد برلين بغداد).

2- تحديث التسليح وزيادة انتاجة:

لقد اسهم التطور الصناعي واكتشاف الالات والمكائن في تصاعد القدرة التسليحية للدول الاوربية. اذ تم تطوير انواع جديدة من الاسلحة لم تعرفها اوربا من قبل خلال الحروب الماضية. وتزايدالحماس في امتلاك اكبر قدر ممكن من الاسلحة كماً ونوعاً ولتوظيفها في التنافسات الاستعمارية او للحفاظ على التوازن الدولي الذي تم الاتفاق عليه في مؤتمرات سابقة.

أ- تطور طرق المواصلات والاتصالات اذ تم في الربع الاخير من القرن التاسع عشر انجاز شبكة سكك حديدية داخل اوربا يصل طولها الى 100 الف ميل.

---

(1) وذلك من دون الاخذ بالنظر الاعتبار بحقوق السكان في هذه المناطق وتطلعاتها.

ب- كما تم ربط التلغراف اللاسلكي والذي حسن الاتصالات لا سيما في الحرب البحرية كما تم التوصل الى الاشارات السرية للاتصال بالسفن.

ت- تكييف مادة البروجلسيرن التي اخترعها العالم السويدي (الفريد نوبل) ليكون الاحتراق فيها كبيراً. اذ تم التوصل الى تقليل حجم الذخيرة ومضاعفة قدرتها التدميرية وتم تطوير البنادق بشكل كبير لزيادة مداها الى اكثر من 200 ياردة.

ث- اما المدفعية فقد حققت تطوراً هائلاً في القرن التاسع عشر اذ حل المدفع الفولاذي محل الحديدي وهو يتحمل قوة تفجيرية اكبر. كما تم اختراع آلية امتصاص الارتدادات في المدافع ليكون استخدمها اكثر دقة وسهولة.

كما ازداد مدى الرمي في مدافع الميدان ليصل الى ثلاثة آلاف ياردة ومن ثم الى ستة آلاف. كما ان المانيا طورت مدافع ضخمة للحصار ومدافع هاون ذات مديات تصل الى 10كم.

ج- في عام 1885 صمم البريطاني (هبرام ماكسيم) نوع متطور من الرشاش ذات الارتداد الذاتي للتعبئة والاطلاق وطرد الظروف الفارغة (الاوتوماتيكي) ويحتوي على 250 طلقة.

ح- كما طورت الامكانيات الفنية لبناء الخنادق والانفاق ومواضع المدافع باستخدام آليات ومكائن حديثة.

خ- في الميدان البحري شهد النصف الثاني من القرن التاسع عشر تطوراً حقيقياً في هذا المجال. اذ تم بناء السفن المدرعة التي تعمل بقوة البخار واستخدام النيكل والفولاذ في التدريع محل الحديد (مما خفف وزنها وزاد من سرعتها). وتم بناء السفن التي تتخلى عن الاشرعة عام 1873 في بريطانيا، فضلاً عن تطوير مدفعية السفن لا سيما بعد عام 1881 عندما اصبحت الميزات لتلك المدافع البحرية ذات فاعلية ودقة مختلفة كلياً عن السابقة.

د- اختراع الغواصات، اذ تم تصنيع الغواصات التي تعمل بالمحركات الكهربائية ذات بطاريات الخزن الحاوية على مئة خلية.

لقد جعلت سرعة الابتكار العلمي الواسعه يشُعر المراقب بالخطر الداهم، اذ كان تطور الاسلحة وقوتها التدميرية والذي ترافق مع زيادة في اقتنائها وتخزينها من قبل الدول الكبرى الى اشعال منافسة حادة بين الدول لبناء ترسانتها العسكرية وفقاً لاخر ما توصل اليه العلم الحديث من اسلحة.

ومع زيادة القدرة التسليحية وتبني الدول الكبرى لنظام التجنيد الاجباري صارت اوربا معسكراً كبيراً مسلحاً تسليحاً جيداً ومهيئاً لخوض معركة حول مجموعة من الطموحات الاستعمارية والاقتصادية والقومية المتعلقة بالهيبةوالسمعة الدولية[1].

وبالرغم من محاولات الدول الاوربية وقف حمى سباق التسلح كما حصل في مؤتمر لاهاي عام 1899 و 1907 والذي حضره مندوبوا الدول الكبرى الا انهم لم يتفقوا على تحديد آلية معينة لوقف سباق التسليح كون ان الجميع غير راغب في الزام نفسه بآلية معينة تحد من تحركاته وطموحاته في الحصول على مكاسب او في حماية نفسه من القوى الاخرى (ازمة الثقة). كان الجميع يعلن انه يسلح نفسه دفاعاً عن مصالحه وارضه وان التسليح هو ناتج عن الاعتقاد بان الدول الاخرى تستعد للعدوان وليس لاغراض دفاعية.

عندما حل عام 1914 كان هناك ملايين الجنود مدججين بآخر ما توصلت اليه الاختراعات من الاسلحة ذات القوة التدميرية الهائلة.

ثالثاً: ضعف الدولة العثمانية

اتفق المؤرخون على اعتبار عام 1453م هو عام وصول الدوله العثمانية الى اوج قوتها، عندما تمكنت من فتح القسطنطينية وتمكن قواتها من السيطرة على منطقة البلقان حتى الحدود النمساوية، واصبح البحر الاسود بمضائقه بحيرة عثمانية، الا انه في ذات الوقت مثلت هذه المرحلة بداية الانحدار والتدهور للقوة العثمانية، فبعد وفاة محمد الفاتح

(1) لمزيد من المعلومات عن التسليح في اوربا انظر: براين بوند، المصدر السابق، ص93.

عام 1481 بدات الصراعات والانقسامات الداخلية تعصف بالدولة. وان تمكن العثمانيون من مواصلة تحقيق بعض الانتصارات في الشرق (ضدالدولةالصفوية ودولة المماليك في الشام ومصر) الا ان ذلك لا يلغي حقيقة ان الدوله العثمانية في حالة تدهور وذلك وفق مؤشرات عديدة من اهمها:

أ- تخلفها عن ركب التطورات التي شهدتها اوربا في المجالات الفكرية والسياسية والاقتصادية والتنظيمية وبقائها على اطرها الادارية المتخلفة.

ب- هزائمها العسكرية في الغرب لا سيما في عام 1683 وتحالف القوى الاوربية ضدها فضلاً عن توقف نشاطاتها العسكرية في الشرق وتزايد الاطماع الدوليه لا سيما من قبل روسيا.

الاطماع الروسية[1].

ومع بداية ضعف الدولة العثمانية برزت القوة الروسية الطامحة للحصول على مواقع استراتيجية بالنسبة لها في الدولة العثمانية. لذا فقد دخلت في صراعات عدة على مدى ثلاثة قرون من اجل تحقيق مطامعها وبدأت تلك المطامع في اجبار العثمانين على توقيع اتفاقية (كوجك كنارجي) عام 1774 والتي اسست للنفوذ الروسي في منطقة البلقان اذ اعترف للروس بتمثيل المسيحين في الدولة العثمانية والدفاع عن حقوقهم. كما تنازلت الدولة العثمانية عن شبه جزيرة القرم لروسيا.

لم تكتف روسيا بذلك فقد كانت اطماعها واهدافها ابعد من ذلك متمثلة برغبتها التأريخية للسيطرة على مضائق البحر الاسود (البسفور والدردنيل).

لقد نجحت روسيا الى حد ما في اثارة الدول الاوربية لمعاونتها في انهاك الدولة العثمانية ومن ثم القضاء عليها وذلك عندما دعت الدول الاوربية لمحاربة العثمانين الذين يقمعون الثورة في اليونان بمساعدة من الاسطول المصري بقيادة ابراهيم باشا. الامر الذي

(1) حول الحروب الروسية ضد الدولة العثمانية انظر د. موسى محمد ال طويرش: سياسة الروسية تجاه الدولة العثمانية، مجلة كلية التربية، الجامعة المستنصرية، العدد الثالث لسنة 2000 ص50.

ادى الى هزيمة الاسطول المصري والقوات العثمانية واجبار السلطان محمود الثـاني (1808 – 1829) على توقيع اتفاقية ادرنه عام 1829 والتي اقرت استقلال اليونان. الا ان تدخل الدول الاوربيـة جـاء ايضاً لمنع روسيا بالانفراد بالدولـة العثمانيـة وتحقيـق مطامعهـا. لقـد انتبهـت الـدول الاوربيـة الى المساعي الروسية ومطامعها في الدولة العثمانية اذ حاول القيصر الروسي (نيقـولا الاول 1825-1855) اغراء انكلترا بأقتسام ما اسماه (برجل اوربا المريض) الا ان انكلترا رفضت ذلك وتمسـكت بسياسـة الحفاظ على التوازن الدولي. كانت الدعوات في اوربا مستمرة لاقتسام الدولة العثمانية وانهاء حالـة التنافس والصراع على اراضيها فمثلاً اصدر احد الصحفين الفرنسيين كتاباً بعنـوان (في النظـام الاوربي الدائم ازاء روسيا وقضايا الشرق) حذر فيه من خطر التوسع الـروسي واقـترح انهـاء مشـكلة الدولـة العثمانية بأقتسامها بين الدول الكبرى.

كما صدر كتاب في نفس الفترة بعنوان (تقسيم تركيا) ذهب الى نفس المنـوال[1]. في عام 1853 - 1856 وقفت الدول الاوربية جميعها لمنع روسيا مـن السـيطرة عـلى الدولـه العثمانية في ما اطلق عليه بحرب القرم [2]التي انتهت باجبار الروس عـلى الانسـحاب مـن البلقان مع اعطائها بعض الامتيازات الدينيـة والتاكيـد عـلى بقـاء كيـان الدولـة العثمانيـة واسـتمرارها بـالرغم مـن تـدهور اوضـاعها بشـكل عـام. في عـام 1876 اجتاحـت القـوات

(1) جوزيف حجار، اوربا ومصير الشرق العربي، ترجمة بطرس الحلاق، (بيروت - 1976)، ص24.

(2) وهي الحرب التي اندلعت بسبب المطامع الروسية في مضائق الدولة العثمانية الا ان السبب المبـاشر لهـا هـو طلب القيصر الروسي من السلطان العثماني اعطائه حقوق رعاية المسحيين من الارثودوكس في فلسطين وسحب تلك الرعاية من السلطات الفرنسية وعندما رفض السلطان العثماني ذلـك عـبرت القـوات الروسـية الى الاراضي العثمانية في البلقان الامر الذي دفع كل مـن فرنسـا وبريطانيـا لارسـال جيوشـهم واعـلان الحـرب عـلى روسـيا واستمرت تلك الحرب حتى وفاة القيصر الروسي نيقولا الاول اذ كان خلفه الاسكندر الثاني ميـالا للسـلم فضـلاً عن الهزائم والصعوبات التي مرت بها القوات الروسية عندها اعلنت روسيا قبولها الهدنة وانهاء الحرب .

الروسية الارض العثمانية واجبرتها على توقيع معاهدة (سان ستيفانو) [1] الا ان الدول الاوربية تدخلت مجدداً لمنع انهيار الدولة العثمانية وذلك عند توقيع معاهدة برلين 1878. لقد ساهمت العلاقات غير المستقرة بسبب التنافس حول املاك الدوله العثمانية في خلق حالة من الحرب والتوتر طوال القرن التاسع عشر.

الامتيازات الاوربية

بعد ان ايقنت الدول الكبرى بأستحالة تقسيم الدولة العثمانية *نتيجة لسياسة توازن القوى عملت خلال المرحلة من عام 1878 وحتى عام 1914 على التنافس بينها للحصول على امتيازات اقتصادية وعسكرية في الدوله العثمانية.

وفي الوقت الذي نجحت المانيا باقناع العثمانين للحصول على امتيازات تتعلق بتدريب وتسليح الجيش العثماني فضلاً عن عقد اتفاقات ثنائية لمنحها امتيازات اقتصادية توجت بموافقة العثمانين على منح المانيا امتياز بناء خط سكة حديد برلين - بغداد وصولاً الى الخليج[2] العربي. في هذا الوقت كانت بريطانيا تعمل جاهدة لترسيخ نفوذها في العراق وفلسطين والخليج العربي وعقدت اتفاقات ومعاهدات مع شيوخ الخليج (من

(1) كان هدف روسيا هو احتلال القسطنطينية في هذه الحرب الامر الذي ادى الى تحريك بريطانيا لاسطولها بأتجاه الموانئ التركية واجبار روسيا على الموافقة على وقف الحرب وتوقيع الاتفاقية.

* لقد حاول بسمارك اقناع (عصبة الاباطرة الثلاث) عام 1875 بتقسيم الدوله العثمانية باعطاء مصر لبريطانيا, وسوريا لفرنسا, فيما تتقاسم روسيا والنمسا منطقة البلقان. الا ان هذا المشروع رفض لذا تركز النشاط (النمساوي - الروسي) على اشعال الثورات في البلقان بهدف السيطرة عليها.

(2) قام القيصر الالماني (وليم الثاني) بثلاث زيارات الى الدولة العثمانية لتأكيد اهتمام المانيا بتلك الدولة وذلك للاعوام 1880-1889-1898. انظر:بوريس تويوليف، سكة حديد برلين بغداد وصراع النفوذ في الشرق الاوسط، ترجمة سعيد نفطچي، مجلة افاق عربية العدد 11/ 1992، ص70.

اهمها الاتفاقات مع شيخ الكويت عام 1899 لمنح الحماية البريطانية) وكذلك الاجراءات اللازمة (حتى العسكرية منها) للحفاظ على هذا النفوذ، وكذا فعلت فرنسا بالنسبة لسوريا ولبنان(1).

لذا فقد اصبحت الدولة العثمانية والمناطق التابعة لها ساحة رحبة للتنافس الدولي الذي لم يؤدي الى سيطرة قوة معينة بذاتها وذلك نتيجة لسياسة التوازن الدولي السائدة في تلك المرحلة الا ان ذلك لم يمنع من تصاعد حدة المنافسة الى حالة الاستعداد للحرب في اي لحظة فضلاً عن ممارسة الدبلوماسية السرية لتقويض الدولة العثمانية والسيطرة على المناطق المهمة فيها، والدليل على ذلك الممارسات السرية التي انتهجتها فرنسا وبريطانيا قبل الحرب 1913 لاستمالة العرب من خلال مراسلات الشريف حسين مع المسؤولين البريطانيين وكذلك رعاية فرنسا للمؤتمر العربي الاول 1913 المنعقد في باريس والذي كان يصب في خانة التنافس الدولي حول اسلاب الدولة العثمانية كما ان النمسا عملت على عقد اتفاق سري مع بريطانيا عام 1908 حصلت بموجبه على الموافقة لاحتلال منطقة البوسنةوالهرسك وذلك دون موافقة روسيا التي تنافست على المنطقة. الامر الذي اعتبرته الاخيرة اخلالاً بالتوازن الدولي وبالتالي بدأت بدعم القوى السلافية المناهضة للوجود النمساوي والعثماني والداعيةلاقامة (صربيا الكبرى) وكان نشاط تلك القوى واندلاع ما اطلق عليه بالحرب البلقانية (1912 - 1913) وتسوياتها غير المقنعة لبعض الاطراف كل ذلك كان من اسباب الفاعلة في اشعال الحرب العالمية الاولى(2).

---

(1) المصدر نفسه، ص75.

(2) قبل اندلاع الحرب كانت عدد من الدول قد فرضت سيطرتها على اجزاء عديدة من الدولة العثمانية فبريطانيا احتلت مصر وقبرص، والنمسا سيطرت على البوسنة، وايطاليا على ليبيا والبانيا، وفرنسا على تونس والجزائر الامر الذي ادى الى شعور الدول الاخرى بعدم الرضى كالمانيا وروسيا مما يعني الانقسام في الواقع الاوربي الذي زاد من حدة التوتر انظر: د. عبد العزيز سليمان نوار، التأريخ المعاصر في اوربا، (بيروت -1973)، ص435

ولا يمكننا هنا اغفال الحرب الايطالية ضد الدوله العثمانية حول ليبيا، اذ كادت القوات الايطالية ان تطيح بالعاصمة العثمانية واجبار السلطان العثماني على التنازل عن ليبيا في اتفاقية اوش لوزان عام 1912.

رابعاً: الحرب البروسية -الفرنسية (1870 – 1871):

مع انتهاء مؤتمر فينا عام 1815 حافظت الدويلات الالمانية على واقعها الجديد الذي فرض عليها من قبل نابليون وقلص فيها عدد تلك الدويلات من 200 الى 39 دويلة وذلك من خلال دمج تلك المقاطعات لاسباب عسكرية تهدف الى السيطرة عليها. الا ان تلك الاجراءات قد ساعدت فيما بعد على تكريس واقع من نوع اخر وهو الواقع القومي الذي بدأ بالنمو بشكل متصاعد واصبح حقيقة يصعب تغيرها , الامر الذي فرض على الحكومات الاوربية التماشي مع هذا الواقع والاعتراف به.

لقد عملت الدويلات الالمانية على تنسيق سياساتها الاقتصادية والعسكرية وسياساتها الخارجية وذلك من خلال اقامة اتحاد كونفيدرالي بينها وتشكيل برلمان مشترك يجمع ممثلي تلك الدويلات اطلق عليه ((الدايت)) ومقره فرانكفورت , وكانت رئاسة هذا الدايت مقتصرة على النمسا وبروسيا والذي احتدم بينهما التنافس لزعامة هذا الاتحاد. لقد اخذ التنافس طابعاً شخصياً عندما تحول الى صراع بين الزعيم النمساوي مترنيخ [1]

(1) مترنيخ: هو كليمنس فنتسل (1773-1859) من الاسر النبيلة في النمسا شغل منصب سفيراً لبلاده في سكسونيا 1801 وفي بروسيا 1803 وفي فرنسا 1806 , ثم عين وزيراً لخارجية النمسا 1809، كان من اشد المعارضين للتغيرات القومية والديمقراطية في اوربا وداعما بحق الملوك الالهي وقد استغل عقد مؤتمر فنيا في بلاده وترؤسه للمؤتمر ليقود قراراته طبق لفلسفته اذ اوجد حكما استبداديا وبلولسيا في النمسا وغيرها الامر الذي شجع على الثورة ضده عام 1848 مما اضطر الى الاستقالة والهرب خارج النمسا.

والزعيم البروسي بسمارك(1) انتهى هذا التحالف بأنتصار كبير وساحق لبسماك عندما استطاع كسب الحرب التي شنها على النمسا عام 1866 الامر الذي جعل طموح بسمارك يتصاعد بشكل كبير لتحقيق انتصارات اخرى ومن ثم توحيد المانيا تحت سلطته

وهكذا تمكن بسمارك من انضاج الظروف الملائمة التي ادت لاشعال الحرب مع فرنسا[1] ففي تموز من عام 1870 اجتاحت القوات البروسية الاراضي الفرنسية في خطة اعد لها بسمارك بدقة ودهاء، ولم تمض خمسة اشهر حتى تمكنت القوات الروسية من احتلال باريس (26 كانون الثاني 1871) واجبار الفرنسين على توقيع صلح (فرانكفورت)، والذي تضمن شروطاً مذلة لفرنسا من بينها تنازل فرنسا عن مقاطعتي الالزاس واللورين ومناطق اخرى الى بروسيا، وان تدفع غرامة حربية مقدارها خمسة

---

(1) ولد فون اوتو بسماك عام 1815 في مدينة براندبورج قرب برلين تولى في مدينته مناصب عدة قبل ان ينتخب عام 1847 ممثل لمدينته في برلمان بروسيا وقد اظهر خلال عضويته مواهب فذة كالخطابة الامر الذي دعا الى انتخابه ممثلا لبروسيا في الدايت الالماني عام 1851، ثم عين سفيرا في روسيا 1859 وفرنسا 1862، ثم استدعي من قبل وليم الاول ليحصل على منصب المستشار في بروسيا. وهو اول رئيس لوزراء المانية الموحدة عام 1871 قاد عدة تحالفات مع الدول الاوربية وانتهى عهده 1890.

1 يعزى اندلاع الحرب الى نوعين من الاسباب الاول هو رغبة بسمارك تحجيم قوة فرنسا ودورها الاوربي لاسيما بعد الاصلاحات العسكرية المهمة التي قامت بها الحكومة الفرنسية.الثاني هو التنافس حول عرش اسبانيا الذي شغر عام 1869بعد نشوب الثورة هناك، وقد استغل بسمارك اعتذار الملك البروسي عن مقابلة السفير الفرنسي لمناقشة الموضوع وذلك من خلال اعلانها من قبل بسمارك بشكل مثير للفرنسين الذين اعتبروها اهانة لهم ولحكومتهم مما ادى الى التعبئة العسكرية في فرنسا واعلان الحرب ضد بروسيا.

مليارات فرنك ذهب خلال خمسة سنوات بضمان بقاء أحتلال القوات البروسية الـلاراضي الفرنسـية الشمالية حتى يتم دفع الغرامة[1].

وأمعاناً في اذلال فرنسا فقد اجتمع أمراء وملوك الدويلات الالمانية في قصر المرايـا في فرسـاي (باريس) واعلنوا من هناك قيام دولة المانيا الموحـدة يرأسـها قـيصر بروسـيا (ولـيم الاول) وذلـك في كانون الثاني عام 1871.

لقد القت هذه الحرب ونتائجها بظلالها الكثيف على العلاقات الاوربية في مرحلـه اللاحقـة. اذ عملت المانيا على تكوين التحالفات اللازمه لمنع فرنسـا مـن اعـادة قـدرتها العسـكرية والانتقـام لهزيمتها في تلك الحرب. في ذات الوقت عملت فرنسا على ادامة الاتصال وتقديم التنازلات من اجـل اقامة التحالفات اللازمة لاعادة هيبتها وكرامتها التي هدرت في حرب عام1870.

وعلى هذا الاساس نشط بسمارك لتكوين تحالفات مع كل من النمسا وروسيا في عـام 1872 عُرف (بعصبة الاباطرة الثلاثة) بهدف عزل فرنسا، وانضمت ايطاليا فيما بعد الى هذا التحالف. ولمـا لم تكن بريطانيا مهتمة كثيراً في هذه المرحلة بالشؤون الاوربية فقد نجحت المانيا بسياستها في عـزل فرنسا الا ان هذا التحالف سرعان ما ضعف نتيجة الخلافات الحـادة بـين كـل مـن النمسـا وروسـيا حول البلقان.

لهذا ظهرت تحالفات جديدة من اهمها:

1. الحلف الالماني النمساوي 1879 والذي كون النواة للمحور الالماني النمسـاوي الـذي اصـبح اساساً لاندلاع الحرب العالمية الاولى.
2. الحلف الثلاثي بين المانيا والنمسا وايطاليا 1882 وكان الهدف منـه عـزل فرنسـا والوقـوف بوجها اذا تعرضت المانيا لـلـهجوم.

---

(1) تمكن فيير (الزعيم الفرنسي) من جمع مبلغ الغرامة من الشعب الفرنسي للتخلص من الاحـتلال والـذي انتهـى عام 1873.

3. الحلف الروسي الفرنسي 1891. بعد ان تمكن بسمارك من عزلها خلال المرحلة السابقة نجحت الدبلوماسية الفرنسية في التحالف مع روسيا مستغلة الخلافات الروسية مع النمسا والمانيا حول البلقان وقد نص التحالف على وقوف الدولتين ضد اي هجوم الماني على احد منهما.
4. الوفاق الودي (1904 – 1907) وهو التحالف الذي تجسدت ملامحه بين انكلترة وفرنسا لتوافق مصالحهما المشتركة في مواجهة النمو المتصاعد للقوة الالمانية.

اذ كانت فرنسا تتحين الفرص لاخذ الثأر من جارتها اللدود المانيا اما البريطانيون فقد وجدوا بان المصالح الالمانية في اوربا وفي الشرق الاوسط تهدد مصالح بريطانيا الحيوية اما روسيا فقد عقدت العزم على الوقوف ضد التحالف الالماني النمساوي الذي يقف بوجه تطلعاتها في البلقان والبحر الاسود. وهكذا تم التقارب البريطاني الفرنسي اولاً في عام 1904 والذي انهى حدة الخلافات بين الطرفين، واعترف كل طرف بمصالح الطرف الاخر في شمال افريقيا ثم حصل التقارب الانكليزي الروسي 1907 حول مجمل القضايا المختلف عليها بين الطرفين ومنها ايران التي قسمت الى مناطق نفوذ روسية وانكليزية. وشكلت هذه الدول الثلاثة تحالفاً مهماً قسم اوربا الى جبهتين عسكريتين متنافستين.

وهكذا كان الصراع الالماني الفرنسي خلال الـ(40) عاماً التي سبقت الحرب الكونية هو المحرك الاساسي للتحالفات التي نشأت في اوربا بل يعده المؤرخون احد اهم الاسباب العميقة للحرب العالمية الاولى، لا سيما انه حفز كل من المانيا وفرنسا على التركيز لبناء قوتهم العسكرية بشكل متصاعد، فضلاً عن تجنيد آلاف الشباب للانخراط في الخدمة الالزامية التي اقرتها الدول الاوربية استعداداً للحرب التي ترسخت عواملها المادية والنفسية. لقد كانت فرنسا والمانيا تخوضان سباقاً متواصلاً للتسلح وكسب الحلفاء خلال تلك المرحلة من تأريخ اوربا وقد حاولت كل قوة مجارات القوة الاخرى باساليب

شتى حتى سرقة اسرارها العسكرية[1]. وقد ادى ذلك كله الى تشديد الصراع الاوربي ومن ثـم تهديـد السلام في اوربا وبقية مناطق العالم.

---

(1) ومن اشهر قضايا سرقة الاسرار العسكرية ما اطلق عليها (حادثـه دريغـوس 1894) وتـتلخص في ان الفرنسـيين اتهموا اليهود بالتواطئ مع الالمان وانهم هم سبب الهزيمة وهذا ما ورد في كتب عدة صدرت في فرنسا اشـارت الى ان الخطر الحقيقي على فرنسا هم اليهود مثل كتاب (فرنسا اليهود) عام 1886 وكتاب (نهايـة العـالم) عـام 1888 لمؤلفهم ادوارد دالامونت. وفي هذه الاجواء تم توجيه الاتهام الى عسكري يهودي يدعى (دريفوس) بانـه يبيع الاسرار العسكرية لالمانيا مما كان لهذا الموضوع تجاذباته الداخلية والتي امتدت لسنوات عدة.

الفصل الثاني

اندلاع الحرب العالمية الاولى

- مراحلها ونتائجها -

الفصل الثاني

اندلاع الحرب العالمية الاولى-مراحلها ونتائجها -

ازداد الانقسام داخل اوربا حول عدد كبير من القضايا والمصالح الشائكة التي لم يتفق جميع الاطراف على حلها سلمياً، لا سيما في منطقة البلقان وشمال افريقيا. فضلاً عن تصاعد حدة الاستعدادات العسكرية في كل الدول ابتداً من فرض التجنيد الالزامي الى تصاعد حدة التسلح وكذلك تصاعد اللهجة الاعلامية المُحرضه على الحرب لدى مختلف الاطراف. وبدت الامور كلها تسير نحو التصعيد وكانت بحاجة الى الشرارة التي تؤججها، فكانت مسألة اغتيال ولي عهد النمسا (الارشيدق فردينالد) اثناء زيارته للبوسنة[1] وتداعياتها كافية لاشعال الحرب بين الدول الاوربية الكبرى على الرغم من ضآلة الحدث بالنسبة لنتائجه فلم تمض سوى ايام على حادثة الاغتيال (28 حزيران 1914) حتى بدأت الدول تعلن التعبئة العامة ومن ثم اعلان الحرب في 2 آب 1914 من قبل المانيا عندما اعطت الاوامر لجيوشها بأجتياح الاراضي البلجيكية (على الرغم من حيادها) بهدف الالتفاف على الاراضي الفرنسية واحتلالها.

---

(1) وقع الحادث في مدينة سراييفو عاصمة البوسنة عندما رمى شاب صربي ينتمي الى جمعية (الكف الاسود السرية) ويدعى برنتزيب قنبلة يدوية على ولي عهد النمسا عند زيارته للمنطقة فقتل هو وزوجته. قدمت النمسا انذاراً الى صربيا لتحقيق عدد من المطالب ومن ثم اعلنت في 28 تموز الحرب على صربيا تبعه اعلان المانيا الحرب على روسيا في 1 اب وعلى فرنسا في 3 اب مما دعى بريطانيا الى اعلان الحرب على المانيا والنمسا في 4 اب.

اولاً: الدول المشاركة في الحرب

(1) دول الوسط:

أ- المانيا: لقد استعدت المانيا الى هذه الحرب مبكراً لا سيما بعد ان عملت كل ما بوسعها لعزل فرنسا، وبناء قدرتها العسكرية الداخلية بشكل كبير جداً. فضلاً عن بنائها لعلاقات خارجية ذات دوافع استعمارية في افريقيا واسيا كما انها دخلت في علاقات متطورة مع الدوله العثمانية عسكرياً واقتصادياً مما كان يعبر وبشكل واضح عن طموحاتها الاستعمارية. ان التحول الرئيسي في السياسة الخارجية الالمانية جاء بعد وفاة وليم الاول في اذار 1888 والذي مهد الطريق لوصول ابنه وليم الثاني الى السلطة وكان عمره 29 سنة وكان طموحاً وذكيا ويمتلك قدرة كبيرة في الخطابة وكان له تأثير كبير على الجماهير. ان اهم الاعمال الذي قام بها وليم الثاني هو ابعاده للزعيم التقليدي بسمارك فضلا عن اهتمامه الكبير في بناء الجيش والشروع بسياسة استعمارية مدروسة وذلك من خلال تغلغل النفوذ الالماني داخل الدولة العثمانية والعمل على اخضاع مستعمرات جديدة في الشرق الاقصى. لقد كان تسليح الجيش اهم ماركز عليه وليم الثاني اذ زادت النفقات الالمانية البحرية فقط خلال الاعوام 1900 - 1911 من سبعة ملايين باون الى عشرين مليون باون.

اما النفقات العسكرية بشكل عام فأزدادت من اربعة وثلاثون مليون باون الى احدى واربعون مليون باون لنفس الفترة. كما ان المانيا كانت قد وضعت خطط الحرب منذ عام 1905 عندما وضع الكونت شليفن (رئيس اركان الجيش الالماني) خطته الشهيرة والتي طورها مولتكه عام 1913 بهدف هزيمة فرنسا هزيمة حاسمة قبل الدخول في عمليات عسكرية كبرى مع حلفائها[1].

(1) Koch, H.w. The ovigins of the first word war, London, 1972 p.13

كان ابناء الشعب الالماني لاسيما ابناء الطبقة الوسطى يتوقون الى اعادة امجاد الماضي وبث الروح العسكرية الداعية الى التضحية في سبيل الروح القومية الالمانية، قد عززت انتصارات المانيا عام 1870 هذا التوجه ونمته واصبحت العسكرية مقدسة لدى الالمان. وازدهرت(الرابطة العسكرية الالمانية) التي كان هدفها قيادة الحملة الدعائية لنشر الروح العسكرية الالمانية بين الشباب وكانت منبراً للمتطرفين لتحقيق ما اطلق عليه بالامة المسلحة وكانت وزارة الثقافة الالمانية تمول هذه الحركات.

من بين الجمعيات التي انشئت في المانيا والتي تدعو الى الحرب (جمعية المانيا الفتية) عام 1911 واسسها الفريق فون دير جولتر وهي منظمة قومية المانية شبه عسكرية تعمل على تدريب الشباب وبث الروح العسكرية فيهم والتحريض على قمع اي ثورة متوقعة ضد النزعة العسكرية للنظام السياسي. وكرست المجلة الناطقة بأسم هذه الجمعية كل صفحاتها للدعاية الحربية واعتبارها مقدسة كما جاء في احدى المقالات (سيكون أجمل العيش واروعة الى الابد بين الابطال من نصب تذكاري حربي في كنيسة ما، منه ان تموت موتاً فارغاً في الفراش موتاً مجهولاً لتكن الفردوس لالمانيا الفتية هكذا اتمنى ان تقترب من الله)[2]

ب- النمسا: تعتبر النمسا الدولة التي اشعلت فتيل الحرب وذلك نتيجة اغتيال ولي عهدها في البوسنة. لقد كان للهزيمة النمساوية امام بروسيا عام 1866 اثراً مهما في التطورات السياسية الداخلية للنمسا , فقد سعت هذه الدولة لبناء قوتها الداخلية من خلال تكوين امبراطورية كبيرة تظم النمسا والمجر تخضع لملك واحد هو الامبراطور فرنسيس جوزيف [1] وقد عملت هذه الدولة على اقامة

(1) لقد حملت هذه الامبراطورية بذور انهيارها كون انها تتشكل من قوميات متعددة كالالمانية والمجرية والارلندية فضلا عن الاسلوفاك وغيرهم الامر الذي ادى الى جعل هذه الدولة غير متجانسة قوميا مما كانت عرضة لحالة عدة الاستقرار.

تحالفات دولية سمحت بتحقيق احلامها التوسعية لا سيما على حساب الدولة العثمانية في البلقان.

اذ نجحت النمسا عام 1908 من احتلال البوسنة الامر الذي اثار حفيضة دعاة الاستقلال في صربيا بدعم من روسيا مما كان السبب الاساس في حادثة الاغتيال الشهيرة. لقد كانت مطالبتها بالحاح لتسليم ومحاكمة اعضاء منظمة (الكف الاسود) المسؤولة عن تلك الحادثة. منطلقاً من تحالفها مع المانيا واعتمادها الكبير على قوتها العسكرية فضلآ عن عدم اعتقادها بامتداد الموقف وتطوره ليكون حرباً اوربيا شاملة مما دفعها للتمادي والاصرار على مطالبها من صربيا، الامر الذي استغلته المانيا من جهة وفرنسا وروسيا من جهة اخرى لتصعيد الموقف وتصفية الحسابات بينهم. وتاتي اهمية النمسا من موقعها المهم في وسط اوربا وسيطرتها على آراضي واسعة في البلقان كالاراضي الرومانية والتشيكية والسلوفاكية واليوغسلافية.

ت- الدوله العثمانية:عندما نشبت الحرب كانت العلاقات الالمانية العثمانية وثيقة على مختلف المستويات لا سيما العسكرية منها، اذ ان الجيش العثماني قد تم تسليحه وتدريبه على يد مجموعة من الضباط الالماني برأسة (لان فون ساندرز) وكان للدولة العثمانية اهداف عديدة من دخولها الحرب والوقوف الى جانب المانيا:

1. ثقتها بقوة المانيا وقدرتها على تحقيق نصر كبير على اعدائها.
2. محاولة العثمانيين التخلص من الضغوط الاوربية لاسيما الروسية منها وتخلصها من الالتزامات والقيود التي فرضت عليها خلال القرن الماضي.
3. استعادة الدولة العثمانية لهيبتها وسلطتها على اراضيها لاسيما في البلقان والشرق الاوسط وشمال افريقيا.

وقد حرصت المانيا على الاسراع في عقد اتفاق مع الدولة العثمانية في اليوم الاول من نشوب الحرب (2 آب 1914) وذلك لتحقيق مجموعة من الغايات:

1. السيطرة على الممرات المائية التي تقع ضمن السيطرة العثمانية لاسيما منطقة المضايق في البحر الاسود وقناة السويس بهدف قطع الطريق امام النشاط البحري الروسي والبريطاني والفرنسي.
2. محاولة اقناع المسلمين ان الحرب ضد دول الوفاق الودي هي جهاد مقدس كون ان الخلافة الاسلامية العثمانية تشترك فيها.
3. التخفيف من الضغط العسكري على المانيا في اوربا بهدف توزيع قوة الوفاق الودي على اكثر من جبهة.

وبالرغم من توقيع الدولة العثمانية على معاهدة التحالف مع المانية الا انها لم تعلن الحرب بشكل مباشر وانما عملت على محاولة الظهور بمظهر المحايد حتى تتمكن من الاعداد الجيد للحرب , الا ان حادثة قد حصلت عجلت بدخولها الحرب وذلك عندما التجأت سفن حربية المانية الى المياه الاقليمية العثمانية في منطقة المضايق البسفور والدردنيل ومن ثم اعلانها اغلاق تلك المضايق بوجه الملاحة الدولية. فضلا عن ذلك فقد ساعدت الدولة العثمانية الاسطول الالماني على القيام بنشاط عسكري ضد روسيا الامر الذي ادى الى اعتبار ذلك دخولا للحرب مما حدى ببرطانيا وفرنسا اعلان الحرب على الدولة العثمانية في 5 تشرين الثاني 1914.

كما دخلت الى جانب دول الوسط بلغاريا التي كانت لها اهداف جغرافية في صربيا اذ اعلنت الحرب في ايلول عام 1915.

(2) دول الوفاق الودي

ارتبطت مصالح روسيا وفرنسا وبريطانيا قبل بداية الحرب في تحالف مشترك للوقوف بوجه تنامي القوة العسكرية الالمانية، فضلا عن رغبة فرنسا استعادة اراضيها المحتلة في الالزاس واللورين والانتقام لهزيمتها في حرب عام 1871. اما روسيا فقد وجدت ان هذه الحرب هي افضل فرصة لتحقيق اطماعها في البلقان وفي مضايق البحر الاسود. اما بريطانيا فقد ذاقت ذرعاً بالتنافس الالماني لها على عدد كبير من مناطق العالم

لا سيما رغبتها بالوصول الى الخليج العربي وتهديد المصالح البريطانية الراسخة هنـاك، في عـام 1915 دخل الى جانب الوفاق الودي ايطاليا وكان دخولها على الـرغم مـن ارتباطهـا بتحالفـات مـع المانيـا والنمسا الا انهـا اعلنـت حيادهـا عنـد انـدلاع الحـرب ويتفـق البـاحثون عـلى النزعـة الاسـتعمارية الايطالية في تلك المرحلة والتي تجسدت باحتلال ليبيا 1911 وذلك بعد الهزيمة المذلة التـي تعرضـوا لها في الحبشة عام 1896.

لذا فقد دخلوا الايطاليون في مساومات طويلة مع الاطراف المتحاربة انتهت بموافقة ايطاليا الدخول في حرب الى جانب دول الوفاق الودي بعد ان حصلت على وعود بمنحهـا بعـض الامتيـازات الجغرافية[1] والمادية وبذلك ضربت بعرض الحائط تحالفاتها السابقة وحتى اعلانها الحياد مع بداية الحرب وذلك في اتفاق لندن الموقع في 26 نيسان عام 1915 الـذي تعهـدت خلالـه ايطاليـا بـدخول الحرب الى جانب الوفاق الودي خـلال فـترة شـهر اذ دخلتهـا في 23 ايـار. وبـذلك تحققـت المقولـة المشهورة (في السياسة لا توجد صدقات دائمـة وانمـا مصـالح دائمـة) الا انـه يجـب الاشـارة الى عـدم اهمية المشاركة الايطالية في الحرب كون مساهتها كانت محدودة وغير مؤثرة.

كما دخلت الحرب الى جانب دول الوفاق الودي رومانيا في صيف عام 1916. واليونان عام 1917 واليابان التي كان نشاطها العسكري مقتصر على اسيا فقط، واعلنت عدد من الـدول حيادهـا في الحرب وهي سويسرا، هولندا، البرتغال، اسبانيا والدول الاسكندنافية.

الولايات المتحدة الامريكية:

اعلنت الولايات المتحدة الامريكيةحيادها مع اندلاع الحرب تجاه الدول المحاربة، ويعـزى هذا الموقف لاسباب عدة:

(1) اعطائها عدد من المناطق النمساوية وكـذلك وعـدت بعـدد مـن الجـزر الاسـتراتيجية في الاديارتيـك فضـلاً عـن مستعمرات المانية في افريقيا.

1. دعوة الرئيس الامريكي ولسن الى الشعب الامريكي بان لا ينحاز لاي طرف في الحرب، وانه سوف يتخذ موقف الحياد انطلاقاً من رغبته في اداء دور الوسيط لانهاء الحرب.
2. مبدأ العزلة الامريكية الذي يقوم على ابتعاد الولايات المتحدة عن المشاكل الاوربية والعالمية بشكل عام والاهتمام بالقضايا الامريكية وذلك بالاستناد الى وصايا الرئيس الامريكي (جورج واشنطن) وكذلك الى المبدأ الذي اعلنه الرئيس الامريكي الخامس جيمس مونرو عام 1823 والمعروف بأسم (مبدأ مونرو)[1].
3. طبيعة التركيبة السكانية للشعب الامريكي الذي يضم مجموعات من اصول مختلفة ينتمي اغلبها الى الدول المتحاربة كالبريطانيين والالمان والفرنسيين وغيرهم وان وحدة الشعب الامريكي تتطلب الحياد في الحرب.
4. المصالح الاقتصادية الامريكية المتشابكة مع جميع اطراف الحرب، والتي من الصعب التضحية بها. كما ان الحرب كانت فرصة كبيرة لاستثمارها اقتصادياً والنهوض بالاقتصاد الامريكي من خلال تزويد الدول المتحاربة بمختلف البضائع المدنية والعسكرية الامريكية.

اذاً ما الذي استجد ودفع الولايات المتحدة للدخول في هذه الحرب؟

1 اتبع اول رئيس امريكي (جورج واشنطن 1789-1796) سياسة العزلة والحياد في علاقته الخارجية انطلاقاً من حداثة تكوين الولايات المتحدة الامريكية و تنوع سكانها فضلاًعن القيم والمبادئ التي انشئت عليها الدولة والتي وردت في وثيقة الاستقلال. وتعزز ذلك مع رئاسة الرئيس الامريكي الخامس جمس مونرو(1817- 1825) الذي وجه رسالة الى الكونغرس الامريكي في 2 / 12 /1823 اكد فيها ان الولايات المتحده لن تتدخل بالشؤون الاوربية وفي ذات الوقت ترفض امريكا التدخل الاوربي في شؤون امريكا الشمالية والجنوبية انطلاقاً من اختلاف النظام السياسي الامريكي مع النظم القائمة في اوربا وهذه الافكار اطلق عليها مبدأ مونرو.
لمزيد من التفاصيل انظر دكستر بركنس، فلسفة الساسية الخارجية الامريكية، ترجمة د.حسين عمر، (القاهرة- 1952)،ص5 ومايليها

1. الحصار البحري المشدد الذي فرضته البحرية البريطانية على السواحل الالمانية جعل المصالح الامريكية والاقتصادية تتطور وتتعزز مع دول الوفاق الودي بشكل اساس وان تلك المصالح كانت على شكل قروض ومعاملات ماليه وشحن بضائع الامر الذي جعل المؤسسات الامريكية ورجال الاعمال واصحاب الشركات الكبرى متعاطفين مع تلك الدول ومنحازين اليها.

2. قيام الغواصات الالمانية بضرب السفن التجارية المتجه الى بريطانيا وفرنسا واعتراضها وذلك في محاولة منها لعرقلة التجارة مع هاتيين الدولتين فضلاً عن ان ذلك يعد انتقاماً لسياسة الحصار الخانقة التي فرضتها بريطانيا على الموانئ الالمانية. وقد ذهب ضحية تلك العمليات الحربية الالمانية عدد كبير من البحارة الامريكيين لا سيما عند غرق الباخرة الانكليزية (لوزيتانيا) في ايار 1915، والذي قتل فيها ما يقارب 150 امريكي.

ومع بداية عام 1917 عززت المانيا قدرتها البحرية وتمادت في سياسة اغراق السفن التجارية المتجه الى بريطانيا بغض النظر عن جنسيتها او الاشخاص الذين على متنها. لذا فقد كان لا بد للرئيس الامريكي من اتخاذ الخطوات اللازمة للرد على تلك السياسة ابتداء بتسليح السفن الامريكية وانتهاءاً بانجرار امريكا للحرب مستفيداً من ضغط الرأي العام الامريكي الغاضب من التصرفات الالمانية.

3. الثورة الروسية: كان لقيام الثورة الروسية في اذار من عام 1917 امراً مرحباً به في الولايات المتحدة كون النظام القيصري في روسيا كان مثال سيء للانظمة المتخلفة سياسياً في اوربا كما يراه الشعب الامريكي. وان تلك الثورة قد انهت المبرر الذي يقف حائلاً امام الولايات المتحدة للدخول الى الحرب باعتبار انه يتحالف مع نظام غير ديمقراطي. كما انها اعتقدت ان روسيا مقدمة على الخروج من الحرب نتيجة الظروف الداخلية غير المستقرة (التمرد والثورات الداخلية) وبالتالي سيكون ذلك اخلالاً بالتوازن في اوربا لصالح المانيا وهو الامر الذي لا يمكن ان تقبله الولايات المتحدة.

4. البرقية التي استطاعت الاجهزه الامريكية التقاطها والموجهة من وزير الخارجية الالماني (زيمرمان) الى السفير الالماني في المكسيك والذي يطلب منه الاتصال بالحكومة المكسيكية ودعوتها لاعلان الحرب على الولايات المتحدة مقابل وعود من المانيا بالحصول على بعض المكاسب الجغرافية في منطقه البحر الكاريبي. وعلى الرغم من عدم التثبيت من حقيقة هذه البرقية فقد اثار الموضوع الرأي العام الامريكي الذي دفع باتجاه اتخاذ خطوة اعلان الحرب.

في 6 نيسان من عام 1917 اعلنت الولايات المتحدة الحرب على المانيا وحلفائها وكان لهذا الاعلان اهميته العسكرية:

1. اضاف دخول امريكا الحرب اعداد هائلة من الجنود رفدت بها جبهات القتال وبقدرات تسليحية كبيرة جداً.
2. وضعت القوة الاقتصادية الامريكية المتطورة في خدمة المجهود الحربي لدول الوفاق الودي في الوقت الذي انهكت هذه الدول بسبب طول فترة الحرب.
3. مسارعة دول القارة الامريكية الجنوبية الى اعلان الحرب على المانيا تضامناً مع شقيقتها الكبرى الولايات المتحدة.

ثانيا: مراحل الحرب

1- الجبهه الغربية:

استندت المانيا الى خطة عسكرية وضعها رئيس الاركان الالماني الكونت شليفن عام 1905 وتمت المصادقة عليها عام 1913. وتقضي هذه الخطة بالهجوم على فرنسا عبر الاراضي البلجيكية وذلك نتيجة للمعوقات الطبيعية الموجودة على الحدود الالمانية - الفرنسية من تلال وغابات فضلاً عن الموانع الصناعية العسكرية التي وضعها الفرنسيون

ذلك على الرغم من حياد بلجيكا المتفق عليه اورباً. وتؤكد الخطة على انهاء السيطرة على فرنسا خلال اسبوعين فقط لتملي بعد ذلك المانيا شروطها على الدول الاوربية[1].

الا ان هذه الخطة عدلت من قبل قائد الجيوش الالمانية الشاب مولتكه (وهو غير مولتكه الكبير الذي شارك في حرب عام 1870) بأن قسّم الجيش الالماني على جبهتين غربية لاجتياح فرنسا واحتلالها وشرقية لضرب الجيش الروسي. وياتي تعديل هذه الخطة (على ما يبدو) للظروف الدولية التي استحدثت واشتعلت بسببها الحرب. أذ أن روسيا قد اعلنت التعبئة وهددت بأجتياح النمسا التي اعلنت الحرب على صربيا والتي هي اصلاً حليف لروسيا. لذا فكان هدف مولتكه هو حماية النمسا من هجوم روسي وذلك بنقل قسم من القوات الالمانية من الغرب الى الشرق. وكان لهذه الخطة والتعديل الذي طرأ عليها اثره السلبي على فشل الخطة الالمانية.

أ- أذ أن اجتياح الاراضي البلجيكية (المتفق على حيادها) حفز البريطانيون على الدخول الى الحرب الى جانب فرنسا الامر الذي لم تتوقعه الخطة الالمانية بان يكون بهذه السرعة.

ب- المقاومة الكبيرة التي ابداها البلجيكيون والتي اخّرت تقدم القوات الالمانية عدة ايام فسحت المجال امام القوات الفرنسية لاعداد قوتها بشكل يمكنها من المقاومة بشكل افضل.

ت- البسالة الكبيرة التي ابداها الفرنسيون لدفاع عن بلادهم على الرغم من اندفاع القوات الالمانية نحو العاصمة باريس اذ استطاع الجيش الفرنسي بقيادة الجنرال فوش وبمساعدة من البريطانين أن يوقفوا تقدم القوات الالمانية وان يعيدوها الى منطقة نهر (الأين) ليلجأ الطرفان الى حرب الخنادق حتى عام 1917.

---

(1) kach, op. Cit, p.145

2- الجبهه الشرقية

تتوزع الجبهه الشرقية على مناطق عدة:

أ- فقد حاولت دول الوفاق الودي احتلال مضيق البسفور والدردنيل للاستفادة من هذه المضائق عسكرياً ومنع الاستفادة منها من قبل دول الوسط الا انه وبالرغم من المعارك الكبيرة التي جرت عام 1915 للسيطرة على هذه المضائق العثمانية الا ان جميع العمليات العسكرية فشلت في السيطرة على تلك المضائق التي بقيت مغلقة حتى نهاية الحرب[1].

ب- بالنسبة للجبهة مع روسيا فقد تمكن الجيش الروسي من تحقيق عدة انتصارات على الامبراطورية النمساوية لا سيما في شهر اذار عام 1915 عندما استولى على مناطق نمساوية عدة الا ان هذه الانتصارات سرعان ما تراجعت نتيجة التفوق في العدة والعدد للجيوش الالمانية والنمساوية لاسيما ان المانيا استفادت من حرب الخنادق في الجبهة الغربية لتنقل جيش اضافي من جيشها الى الجبهة مع روسيا، الامر الذي ادى الى انهيار الدفاعات الروسية امام الهجوم الالماني الذي تم في نيسان من نفس العام، وخلال فترة قصيرة تمكنت المانيا وحليفتها النمسا، استعادة المناطق التي احتلتها روسيا.

ولم ينته الامر عند هذا الحد فقد تقدمت القوات الالمانية لاحتلال المدن البولندية وليتوانيا التي كانت تحت السيطرة الروسية ومن المهم التأكيد هنا على ان المناطق التي تم لاستيلاء عليها من قبل الجيش الالماني كانت من المناطق المهمة اقتصادياً بالنسبة لروسيا، لذلك اثّر احتلالها على قدرتها في ادامة مجهودها الحربي فضلاً عن تردي اوضاعها الداخلية.

ت- بالنسبة للمنطقة العربية فقد تمكن الجيش البريطاني من تحقيق الانتصارات على الجيش العثماني في العراق ومصر (بعد فشل الهجوم العثماني على قناة السويس

(1) بيير رينوفان، تاريخ العلاقات الدولية، ترجمة جلال يحيى، (الاسكندرية – 1978)، ص210

في كانون الثاني 1915) ثم ازداد زخم الزحف البريطاني عند اعلان الشريف حسين ثورته العربية ضد الحكم العثماني عام 1916 والتحالف مع بريطانيا، اذ ادى ذلك الى السيطرة على العراق وفلسطين وسوريا بمساعدة مباشرة من القوات العربية تحت قيادة فيصل بن الحسين[1].

3- العمليات العسكرية في البحر ودخول الولايات المتحدة الحرب:

المعروف ان بريطانيا دولة بحرية يحيط بها البحر من جميع الجهات الامر الذي اعطاها مرونة كبيرة في الاتصال مع العالم الخارجي وصعوبة كبيرة لاعدائها في محاصرتها. وفي ذات الوقت اعطت هذه الميزة قدرة كبيرة للصناعة البحرية العسكرية البريطانية حتى اصبحت القوة البحرية الاولى في العالم. لقد حاولت بريطانيا استخدام السلاح البحري ليس فقط للهجوم وانما ايضاً لمحاصرة الاراضي الالمانية التي لها حدود بحرية من جهة بحر الشمال وهو منفذها الوحيد للابحار بتجاه المحيط الاطلسي.

في 30 مايس من عام 1916 جرت مواجهة بحرية عنيفة في بحر الشمال اشتركت فيها مئات السفن والغواصات الحربية اطلق عليها معركة (جتلاتد) وكانت نتيجة هذه المعركة البحرية ان تمكن الاسطول البريطاني من فرض سيادة مطلقة على البحر لذلك لجأت المانيا الى حرب الغواصات في محاولة منها لفك الحصار البريطاني ولتعويق وصول السفن والبواخر التجارية والعسكرية الى بريطانيا [2].

---

(1) لمزيد من التفاصيل انظر: جورج انطوانيوس، يقظة العرب، بيروت 1966، ص571.

(2) تعود السيطرة البريطانية على البحار والمحيطات الدولية الى عام 1588 عندما تمكن الاسطول البريطاني من تحطيم الاسطول الاسباني الذي كان متسيد للبحار ويطلق عليه (الارمادا) ويتكون هذا الاسطول من اكثر من 130 سفينة وكان ينوي احتلال الاراضي البريطانية.

وفي الوقت الذي كانت السفن البريطانية تكتفي بتفتيش ومنع السفن الذاهبة الى المانيا كانت المانيا تلجأ الى اغراق السفن التجارية المتوجه الى دول الوفاق الودي. ففي ايار من عام 1915 اغرقت الغواصات الالمانية الباخرة (لوزيتانيا) وقتل فيها 150 امريكي[1].

في كانون الثاني من عام 1917 تمادت المانيا في اغراق السفن التجارية اذ حشدت اكثر من مائة غواصة قرب السواحل البريطانية وزودت بأوامر مشددة على ضرب اي هدف بحري مهما كان نوعة الامر الذي دفع الولايات المتحدة الى اتخاذ موقف حازم (كان هذا الموقف ناتج عن عوامل اخرى مضافة الى موضوع الغواصات) باعلانها الحرب على المانيا في نيسان من عام 1917.

وكان لدخول الولايات المتحدة أثره الكبير على قوة دول الوفاق الودي اذ اضاف دخولها دعماً اقتصادياً كبيراً كانت احوج ما تكون له في هذه المرحلة الحاسمة من الحرب فضلاً عن ملايين الجنود المدججين باحدث الاسلحة[2].

4- المراحل الاخيرة من الحرب وهزيمة المانيا:

شهد عام 1917 تغيرات مهمة على الساحة الاوربية اهمها خروج روسيا من الحرب بعد وصول البلاشفة (الشيوعيون) الى السلطة في ثورة اكتوبر عام 1917. وكان من بين اهم الخطوات التي اتخذتها السلطة الجديدة هو اصدار (مرسوم السلام) الداعي الى وقف العمليات العسكرية والبدء في التفاوض لعقد الصلح بين دول الوفاق الودي والمانيا. وعندما رفضت تلك الدول النداء الروسي قررت القيادة الروسية البدء بمفاوضات منفردة مع المانيا بهدف عقد معاهدة صلح بين الطرفين. ولقد كانت مفاوضات صعبة ادارها الجانب الروسي برأسة (تروتسكي) مع الجانب الالماني الذي اصر على الحصول على مجموعة من الامتيازات التي رفضها الروس كونها تعني التنازل

(1) Taylor, the first word war, London - 1916, p.180

(2) Ibid, p195

عن اراضي تقع تحت السيطرة الروسية. وقد تخلل هذه المفاوضات عمليات عسكرية قامت بها المانية ضد الجيش الروسي لاجباره على القبول بالشروط الالمانية وهو ما تحقق فعلاً وفق اتفاقية عقدت بين الجانبين سميت (معاهدة برست - لوتوفسك) والتي تنازلت روسيا بموجبها عن مناطق واسعة غنية بالمنتجات الزراعية وبالمواد الاولية المهمة للصناعة (كالنفط والنحاس).

واعتقد الالمان انهم حققوا انتصاراً مهماً من جهة الشرق يتيح لهم التفرغ للجهة الغربية لاسيما ان الصلح مع روسيا اعقبه توقيع رومانيا لمعاهدة صلح مع المانيا.

الا ان معالم الهزيمة الالمانية كانت قد نسجت بالرغم من مكاسبها في الجبهة الروسية وذلك انطلاقاً من عوامل عدة:

1. النقص الحاد في المواد الغذائية والمواد الاخرى الضرورية لادامة المجهود الحربي نتيجة لطول فترة الحرب والحصار الشديد والصارم المفروض عليها من قبل السفن البريطانية.
2. دخول الولايات المتحدة الحرب بقوتها الكبيرة (اكثر من مليون جندي)وبمعداتها الحديثة وبأقتصادها القوي، الامر الذي اسهم في تقوية جبهة الوفاق الودي وعوض خروج روسيا من الحرب.
3. تأخر نقل القوات الالمانية من الجبهة الشرقية الى الجبهة الغربية بسبب تعقد المفاوضات مع روسيا فضلاً عن خشية الالمان من عودة روسيا للسيطرة على المناطق المهمة التي احتلتها لا سيما انها تتميز بغناها الزراعي والصناعي المهم والضروري لالمانيا التي تعاني من ازمة كبيرة في هذا المجال.
4. الهزائم العسكرية التي مني بها حلفاء المانيا لا سيما الدوله العثمانية والتي بدأت تتهاوى امام تقدم القوات البريطانية في العراق وفلسطين الى ان وافقت على الاستسلام فوقعت اتفاقية مردوس في 30 تشرين اول 1918.

هكذا ومع حلول عام 1918 استنفذت المانيا قواها وظهر تأثير التفوق العسكري والاقتصادي لدول الوفاق الودي انعكس ذلك على معنويات الجنود الالمان وقدرتهم

على الاستمرار بالحرب، الامر الذي ادى الى رفض اطاعة الاوامر الصادرة لهم من قـادتهم في الهجـوم على الاسطول البريطاني وذلك في 30 تشرين اول 1918. ثم بدأوا بانتفاضة كبيرة امتد تأثيرها بسرعـة لتصبح ثورة شعبية شاركت فيها مختلف القطاعات الالمانية.

ومع هذا الواقع الجديد اضطر القيصر الالماني للفرار الى هولندا وتم تأليف حكومة اعلنـت قيام الجمهورية بزعامة ايبرت. وطلبت الحكومة الجديدة عقد هدنة مع دول الوفاق وفق الشروط التي تضعها هذه الدول وقد تم توقيع الهدنة في 11 تشرين ثاني عام 1918.

ثالثاً- النتائج المباشرة للحرب:

أ- الخسائر المادية والبشرية الهائلة. أذ قتل اوجروح في هذه الحرب اكثر من 20 مليون انسان. وتم تدمير البنى الصناعية والعمرانية للدول الاوربية المتحاربة والتي كانت نتاج لجهود شعوبهم لعشرات السنين.

ب- انهيار امبراطوريات كبيرة: الروسية، العثمانية، النمساوية فضلاً عن الالمانية التي تحولت الى جمهورية.

ت- ترسيخ مبدأ حق تقرير المصير الذي وضعه الرئيس الامريكي وردو ولسن[1] والذي كان اساساً لتنامي الشعور القومي في اوربا والعالم. وتم بموجبه تأسيس دول جديدة في اوربا على انقاض الامبراطورية النمساوية منها جيكوسلفاكيا، هنغاريا، يوغسلافيا[2].

---

1 عند انتهاء الحرب اعلن الرئيس الامريكي ولسن عن مبادئ عدة اعتبرها اساساً لاستمرار السلم والامن في العالم ابرزها كان دعوه لمنح حق تقرير المصير للشعوب المستعمرة والمقهورة. الان هذا المبدأ وغيره جير لصالح الدول الاستعمارية الكبرى اذ عملت على الالتفاف عليه لاسيما بعد ان تنحت القوة الامريكية جانباً عندما رفض الكونغرس الامريكي الدخول في معاهدة فرساي وعصبة الامم وبالتالي العودة الى سياسة العزلة.على سبيل المثال رفضت بريطانيا مطالب المصريين بلاستقلال واعلنت الحماية على مصر وكذا فعلت فرنسا في سوريا.

2) بيير رينوفان، المصدر السابق، ص260.

الفصل الثالث

تسويات مؤتمر فرساي

وقضية التعويضات

الفصل الثالث

تسويات مؤتمر فرساي وقضية التعويضات

انعقد في باريس مؤتمر الصلح في 18 كانون الثاني 1919 وحضره مندوبون من 27 دولة وممثلي عدد من الشعوب الطامحة للاستقلال والحرية مستبشرين بأعلان مبادئ الرئيس الامريكي ولسن والتي من ابرزها حق تقرير المصير. وقد جاءت وفود الدول المنتصرة بالحرب وهي تحلم بتحقيق مجموعة من المطالب والتسويات جرى الاتفاق عليها او الوعد بها قبل واثناء الحرب، والان وقد انتهت الحرب اراد كل طرف ان يحصد ما وعد او تمنى وفقاً للقيم والاعتبارات المعلنه[1].

اولاً: الاتفاقيات المعقودة مع دول المهزومة:

1. معاهدة فرساي مع المانيا والتي وقعت في 28 حزيران عام 1919 فرضت بموجبها على المانيا:

أ- اعادة مقاطعة الالزاس واللورين الى السيادة الفرنسية.

ب- نتيجة لخشية فرنسا من تكرار العدوان الالماني عليها فقد طالبت بضم منطقتي السار وريننيا الى حدودها، الا أن المؤتمر اكتفى بوضع اقليم السار تحت الادارة الفرنسية لمدة 15 سنة ينظر بعدها بمصيره باستفتاء شعبي. اما منطقة ريننيا فقد قرر بقائها منزوعة السلاح بعمق 50 كم.

ت- تعديل الحدود الالمانية مع بلجيكا بمنحها اراضي المانية.

---

(1) هناك على سبيل المثال الوعود التي اعطيت لايطاليا في اتفاقية لندن في نيسان 1915 وهناك تسويات سايكس بيكو، والوعود التي اعطيت للعرب، فضلاً عن وعد بريطانيا لليهود (وعد بلفور) بمنحهم وطن قومي في فلسطين وغيرها من الوعود والمطالب التي واجهت المؤتمر الا ان النتيجة كانت الايفاء بالوعود التي تتماشى ومصالح الدول الكبرى واهملت التي لا تحقق تلك المصالح.

ث- اعادة الحياة لدولة بولندا[1] مع اعطائها منفذاً على البحر وهو ميناء داينزك الالماني ويكون تحت الادارة الدولية على ان تمنح بولندا ممراً داخل الاراضي الالمانية يربط اراضيها بالميناء المذكور الامر الذي ادى الى فصل اجزاء واسعة عن الاراضي الالمانية يقطعها الممر المذكور[2].

ج- السيطرة على المستعمرات الالمانية في افريقيا وتقسيمها بين الدول المنتصرة في الحرب , فضلا عن المستعمرات الالمانية في الشرق الاقصى التي سيطرت عليها اليابان.

ح- تحديد الجيش الالماني بمئة الف شخص مع منع المانيا من انتاج او امتلاك الاسلحة الثقيلة كالمدفعية والدبابات والطائرات والسفن البحرية ومصادرة الموجود من هذه الاسلحة.

خ- تشكيل لجنة للتعويضات عن خسائر الحرب تضم الدول الكبرى المنتصرة للنظر في قيمة التعويضات وطريقة معاهدة (سان جرمان) مع النمسا والتي وقعت في 10 ايلول من عام 1919 وتضمنت بنودها:

أ- حددت مساحة النمسا بـ 84 الف كم2 يقطنها 6,5 مليون نسمة.

ب- تحديد جيشها بثلاثين الف جندي مع مصادرة اسلحتها الثقيلة.

---

(1) ويذكر ان بولندا قد اختفت عن خارطة اوربا منذ عام 1795 عندما تم تقسيمها بين بروسيا والنمسا و روسيا وقد اقر مؤتمر فينا عام 1815 هذا التقسيم الا ان الحرب العالمية الاولى اتاحت الفرصة للبولنديين من اعادة بعث دولتهم عندما اعلن الزعيم البولندي بلسودسكي عام 1918 قيام جمهورية بولندا وتم تأييد ذلك من قبل مؤتمرفرساي الا ان هذه الدولة لم تشهد الاستقرار حتى احتلالها من قبل المانيا عام 1939

(2) وكان هذا الموضوع من الاسباب الرئيسية لاندلاع الحرب العالمية الثانية عام 1939 الامر الذي يؤكد ان بذور هذه الحرب قد وجد مع تسويات فرساي.

ت- اقتطاع اجزاء واسعة من اراضيها ومن الاراضي التي تسيطر عليها في البلقان لاقامة دول مستقلة جديدة ومن بين هذه الدول هنكاريا وحددت مساحتها بـ 92 الف كم2 وسكانها 8 مليون نسمة اما جيشها فلا يتعدى 35 الف جندي.كما اقتطعت من النمسا مقاطعة البوسنة والهرسك وساحل دلماشيا وادمجت مع مناطق اخرى لتشكل دولة يوغسلافيا(1).

2. المعاهدات مع الدولة العثمانية. قبل ان يقرر مؤتمر فرساي طبيعة معاهدة الصلح مع الدولة العثمانية كانت اراضي تلك الدولة قد اصبحت نهباً للدول المنتصرة في الحرب فبريطانيا وفرنسا سيطرت على المناطق العربية في الدولة العثمانية.

واحتلت ايطاليا منطقة اضاليا فضلاً عن احتلال اليونان لمناطق اخرى. لذلك فقد تم عقد اتفاقية سيفر في 10 آب 1920 والتي وقعها عن الدولة العثمانية السلطان محمد السادس دون ان يكون له اي رأي فيها.

أ- تنازل السلطان النهائي عن الاراضي العربية.

ب- تنازلت الدولة العثمانية عن منطقة (التراث) وجزر الدوديكانيز الى اليونان.

ت- تنازلها عن جزيرتي رودس واضاليا الى ايطاليا وهي مناطق غنية بالفحم.

ث- تبقى الاناضول تحت السيادة التركية على ان تمنح الحكم الذاتي لمنطقة كردستان.

ج- تحديد القوات التركية بـ 50 الف جندي والاستيلاء على اسطولها البحري.

ح- جعل منطقة المضائق منزوعة السلاح وتحت اشراف دولي. الا ان تركيا شهدت تغيرات داخلية مهمة تمثلت بسيطرة مصطفى كمال اتاتورك[1] على

---

(1) لمزيد من التفاصيل عن انشاء دولة يوغسلافيا انظر د. موسى محمد طويرش، الجذور التاريخية والسياسية لانهيار الاتحاد اليوغسلافي، مجلة كلية التربية، الجامعة المستنصرية، العدد 4 لسنة 2000.

1 تمكن مصطفى كمال وهو ضابط عثماني كبير من جمع عدد من الضباط والسياسين بعد هزيمة الدولة العثمانية في الحرب وشكلوا مجلسا وطنياً اعلن تشكيل حكومة وطنيه برئاسة مصطفى كمال واصبحت انقرة مقراً لهذه الحكومة، ولم يتمكن السلطان العثماني القضاء عليها نظراً للتأييد الشعبي الذي تمتعت به وفي 6 تشرين الثاني

السلطة بفضل التأييد الشعبي الكبير له وبفضل سياسته الخارجية التي تمكن من خلالها الحصول على اعتراف روسي بسلطته، كما تفاوضت معه فرنسا واتفقت معه ايطاليا وتمكن من دحر القوات اليونانية عسكرياً.

مع هذه التطورات اضطرت الدول الاوربية بدء التفاوض مع اتاتورك لتعديل معاهدة سيفر وذلك في لوزان عام 1923 وتم الاتفاق في 24 تموز في نفس العام على ما يلي:

1. استعادة تركيا لكامل سيادتها على الاستانة.
2. الاعتراف لتركيا بسيادتها على الاناضول ومنطقة التراث الشرقي مع اعطاء التراث الغربي الى اليونان.
3. حرية الملاحة في المضائق التركية مع الغاء الادارة الدولية عليها وتعهد الاتراك بعدم تسليح المنطقة او اقامة تحصينات عسكرية فيها.

من عام 1922 اعلنت الحكومة ان السلطان لايمثل الحكومة الشرعية لذا قررت خلعه واعلان تركيا دولة علمانية من خلال فصل الحكومة المدنية عن السلطة الدينية التي حددت مهامها بأدارة الشؤون الديني

ثانياً : انشاء عصبة الامم

نتيجة لثبوت فشل نظام توازن القوى التقليدي (والقائم على ادارة الدول الكبرى للعلاقات الدولية) في الحفاظ على السلام ومنع وقوع الحروب لا سيما بمستوى الحرب العالمية الاولى فقد ضمن الرئيس الامريكي ولسن مبادئه الشهيرة دعوة الى انشاء منظمة دولية تكون من اهم مهماتها حل المنازعات الدولية بالطرق السلمية وتشترك فيها جميع الدول داخل القارة الاوربية وخارجها. وبالرغم من تردد الدول الاوربية الكبرى قبول فكرة انشاء منظمة دولية فقد وافقت على تشكيل لجنة برآسة الرئيس الامريكي ولسن لوضع ميثاق لمنظمة دولية. وقد اقر مشروع الميثاق المقترح من قبل اللجنة المذكورة في 28 نيسان 1919. الا ان من المفارقة التأريخية الكبيرة ان الولايات المتحدة المتمثلة برئيسها ولسن هي التي اقترحت انشاء العصبة واصرت عليها واعدت مشروع ميثاقها الا انها لم تنضم اليها نتيجة عدم مصادقة الكونغرس الامريكي على اتفاقيات فرساي بشكل عام ومنها ميثاق العصبة، وكان ذلك من اهم اسباب ضعف عصبة الامم:

يتضمن الميثاق الاهداف التي تبنتها هذه المنظمة وتتلخص في الحفاظ على السلام والامن الدوليين وتعزيز التعاون الدولي بأتجاه التطور والتنمية.

اما مبادئها فيمكن اجمالها في التزام جميع الدول بعدم اللجوء للقوة في علاقاتها الدولية واحترام جميع الالتزامات المقره وفق القانون الدولي فضلاً عن اقامة علاقات جيدة بين اعضائها تقوم على اساس الاحترام المتبادل.

مع انشاء العصبة وقعت على ميثاقها (عهد العصبة) 32 دولة وهي الدول المؤسسة وانضم اليها فيما بعد عدد من الدول.

تشكيلات العصبة:

1. الجمعية: وهو القاعده الاوسع في تمثيل الدول اذ انها تضم ممثلي كافة الدول الاعضاء ولكل دولة صوت واحد في القرارات التي تتخذها وتكون مهمتها

مناقشة جميع القضايا الدولية المتعلقة بالسلام العالمي وبعض القضايا الاجرائية الخاصة بالمنظمة وكان مقر انعقادها في جنيف وتعقد سنوياً في شهر ايلول من كل عام في دورتها الاعتيادية ويمكن دعوتها استثنائياً.

2. المجلس: وهو الاداة التنفيذية للعصبة ويضم دول دائمية العضوية وهي الدول الكبرى (بريطانيا، فرنسا، ايطاليا، اليابان، وانظّمت فيما بعد المانيا والاتحاد السوفيتي) وهناك اعضاء غير دائمين ينتخبون لفترة محدودة وعددهم اربعة في عام 1920 ثم زيّد الى ست عام 1922 ومن ثم الى تسع عام 1926 واخيراً اصبح احد عشر عضواً عام 1936.

ويمتلك المجلس صلاحيات واسعة في فرض العقوبات العسكرية او الاقتصادية وتكون قراراته ملزمة وبالاجماع ما عدا الحالات الاستثنائية التي تطرق اليها ميثاق العصبة.

3. الامانة العامة او السكرتارية: وهو الجهاز الاداري الدائم الذي يدير شؤون المنظمة ويتخذ قرارتها ويرأسه الامين العام مع مساعدين.

تقييم العصبة:

بالرغم من قيام العصبة بمحاولات لمعالجة عدد من القضايا الدولية الا انها اثبتت فشلها في معظم واخطر القضايا الدولية لا سيما ما يتعلق في منع وقوع العدوان على الدول الضعيفة وبالتالي كان لهذا الفشل من بين اهم اسباب انهيار السلام العالمي ونشوب الحرب العالمية الثانية.

ويمكن اجمال اسباب فشلها في:

1. سيطرة الدول الاوربية الكبرى على عصبة الامم وتسيرها وفقاً لمصالحها واستخدامها كسيف مسلط على الدول المستعمَرة، وابرز مثال على ذلك هو (سياسة الانتداب) التي فرضتها العصبةوالتي كانت لاهداف استعمارية تصب في

مصلحة الدول الاوربية بالاضافة الى ذلك ان جميع المناصب الادارية في المنظمة اقتصرت على تلك الدول دون السماح لاشتراك دول اخرى من خارج اوربا.

2. عدم شمول المنظمة لجميع دول العالم فالولايات المتحدة (وهي من الدول المهمة في العلاقات الدولية) عادت الى عزلتها ولم تنظم الى العصبة كما ان المانيا انسحبت منها عام 1934 وطرد منها الاتحاد السوفيتي عام 1939 وكذلك انسحاب كل من اليابان وايطاليا. وكانت هذه الانسحابات تاتي بسبب اتخاذ العصبة لمواقف مناهضة لتطلعات تلك الدول الاستعمارية.

3. عدم أحترام قراراتها من قبل الدول الاعضاء، أذ أن قراراتها كانت تنتهك ولا يلتزم بها مما جعل منها منظمة ضعيفة تنقصها الشجاعة في تطبيق قراراتها.

المثال على ذلك فشل قراراتها ضد ايطاليا بسبب غزوها للحبشة وترددها في الوقوف بوجه العدوان الياباني على الصين ولم تتخذ اي خطوة في الوقوف بوجه سياسة هتلر التوسعية بعد ضمه للنمسا واحتلاله لجيكوسلوفاكيا. كما انها فشلت في الاستجابة لطلب العراق لحل مشاكله مع ايران عام 1934 الامر الذي اضطر الطرفان الى عقد مباحثات مشتركة لانهاء المشكلات المعلقة.

لقد كان ضعف العصبة كامناً في عدم ايمان الدول الاعضاء بضرورتها الامر الذي جعل الدول الكبرى لا تبذل اي جهد من اجل تقويتها وتطبيق قراراتها واضفاء المصداقية عليها. كما ان الدول الكبرى وجدت العصبة عائقاً امام سياساتها وتطلعاتها الاستعمارية وان قوة العصبة يعني تطبيق فعلي للقانون الدولي الذي كانت تلك الدول تخرقه في اسيا وافريقيا من اجل الحفاظ على مستعمراتها.

ثالثاً: مسألة التعويضات

كنا قد ذكرنا ان مؤتمر الصلح قد اقر مبدأ قيام المانيا بدفع تعويضات الحرب الى الدول المنتصرة وثم تشكيل لجنة عرفت (بالجنة التعويضات) كان من بين وظائفها تقدير قيمة التعويضات والآلية التي يتم فيها استحصالها. وقد اقرت هذه اللجنة في تموز 1920 ان قيمة التعويضات تقدر بـ 132 مليار مارك ذهبي توزع على الدول المنتصرة بالشكل التالي[1]:

- 52% لفرنسا وذلك كونها اكثر الدول تضرراً من الحرب.
- 22% لبريطانيا.
- 10% لايطاليا.
- وزعت النسب الاخرى على بلجيكا واليونان ورومانيا واليابان وغيرها.

وتدفع المانيا ملياري مارك سنوياً من هذه التعويضات مع ربع قيمة الصادرات الالمانية لتصل قيمة التعويضات المدفوعة سنوياً الى ثلاثة مليارات مارك ذهبي. وعلى الرغم من ان المانيا كانت تتحجج بضعفها الاقتصادي للتهرب من دفع التعويضات الا انها دفعت عام 1921 مليار مارك. الا ان الالمان استمروا بالشكوى من اوضاعهم الاقتصادية التي لا تسمح لهم بدفع التعويضات، وقد استمرت في هذا المجال الخلافات بين فرنسا الراغبة بالتشدد مع المانيا لاسباب كثيرة من اهمها الخشية من عودة قوتها وتهديد فرنسا مجدداً واسباب اخرى، وبين بريطانيا التي تدعو للتخفيف من الضغط على المانيا في هذه المرحلة, استغلت المانيا ذلك وقررت التوقف عن دفع التعويضات.

في نيسان عام 1922 عقد مؤتمر في (جنوى) لمناقشة موضوع التعويضات حضره مندوبا 29 دولة من بينها الاتحاد السوفيتي الا ان هذا المؤتمر فشل في التوصل الى صيغة

---

(1) د. رياض الصمد، العلاقات الدولية في القرن العشرين، ج1، (بيروت 1983)، ص143-144

موحدة في موضوع التعويضات الالمانية. السؤال هنا ما هي نتائج فشل مؤتمر جنوى على صعيد العلاقات الاوربية؟

كان هناك نتيجتين مهمتين لفشل هذا المؤتمر:

1. التقارب الالماني السوفيتي: عندما وجدت المانيا التشدد الاوربي ازاء تطبيق العقوبات ضدها لا سيما ما يتعلق بالتعويضات والتسلح، قررت التوجه للاتحاد السوفيتي الذي تشترك معه في ان كلاهما محارب من قبل الدول الاوربية أذ أن الاتحاد السوفيتي كان تحت حصار اوربي اقتصادي وسياسي بسبب طبيعة النظام الشيوعي فيه فوجدت المانيا ان التقارب مع السوفيت يحقق لها امران:

الاول: هو التلويح بهذه العلاقة لاثارة الدول الاوربية واجبارها على اتخاذ مواقف اكثر مرونه معها.

الثاني: هو ايجاد منفذ مضمون للتعاملات الاقتصادية والعسكرية اذ وجدت المانيا ان بامكانها اقامة المصانع الحربية المحضورة عليها على الاراضي السوفيتية ومن هذا المنطلق قرر الطرفان عقد معاهدة اطلق عليها (معاهدة رابللو) في نيسان عام 1922 ونصت على اقامة علاقة دبلوماسية بين الدولتين وتنازلهما عن الديون المترتبة بذمة كل طرف للطرف الاخر فضلاً عن اتفاقهما لتطبيق مبدأ (الدولة الاكثر رعاية) في العلاقة بينهما.

2. عندما وجدت فرنسا فشل الجهود الاوربية لاجبار المانيا على دفع التعويضات التي بذمتها لا سيما في (مؤتمر جنوى) قررت اخذ المبادرة واحتلال منطقة (الرور) او (الروهر) الغنية بالمناجم والمصانع وذلك في 11 كانون الثاني 1923. وكان الهدف المعلن لفرنسا هو استحصال حصتها من التعويضات، وكذلك معاقبة المانيا على تقاربها مع الاتحاد السوفيتي الذي وجدت فرنسا فيه تهديداً للسلام في اوربا.

وقد احتجت المانيا على هذا الاجراء، وجاء ذلك من خلال سحب سفيرها من فرنسا فضلاً عن دعوة العمال الالمان الى الاضراب عن العمل مع تعهد الحكومة الالمانية

بتعويضهم مالياً. الا ان فرنسا استطاعت ان تستوعب الرد الالماني من خلال تشغيل الاف الجنود الفرنسيين والبلجيكين للعمل في المناجم وكذلك الرد بقوة على اعمال الشغب التي حاول العمال الالمان القيام بها من خلال نفيهم خارج الاقليم.

وعلى الرغم من تعاطف بريطانيا والولايات المتحدة مع المانيا الا ان ذلك لم يؤثر على القرار الفرنسي في هذه المرحلة. وقد تكبدت المانيا نتيجة لاحتلالها الرور خسائر مادية كبيرة جداً من خلال التدهور الاقتصادي الكبير الذي شهدته والذي كان من ابرز معالمه تدهور قيمة العملة الالمانية من 33 الف مارك للدولار الواحد عام 1919 الى 132 مليون مارك للدولار الواحد عام 1923.

مشروع داوز

في عام 1924 حصلت مجموعة من المتغيرات ادت الى تغير موقف الدول الاوربية من المانيا ومحاولة مساعدتها للخروج من ازمتها الاقتصادية:

1. خروج الجناح المشدد في فرنسا من الحكم في الانتخابات عام 1924 والمتمثل بحكومة (بوانكاريه) ووصول التيار اليساري بزعامة (ادوراد هريو) والذي اتسمت سياسته بالمرونة ازاء المانيا.
2. دعوة كل من بريطانيا والولايات المتحدة لايجاد حل للقضية الالمانية بما لا يتسبب بأستمرار الازمة داخل اوربا وتداعياتها.
3. التخوف من استخدام الاتحاد السوفيتي للاوضاع في اوربا وتكوين تحالفات مناهضة لفرنسا وبريطانيا.
4. رغبة الولايات المتحدة في تنشيط الاقتصاد الالماني من خلال منحها قروض بهدف النهوض باقتصادها وبالتالي تمكينها من دفع ديونها الى كل من فرنسا وبريطالنيا اللتان عليهما مستحقات للولايات المتحدة الامريكية.

لهذه الاسباب واسباب اخرى قررت الدول الاوربية وباقتراح من بريطانيا تشكيل لجنه دولية من خبراء اقتصاديين من اجل ايجاد آلية جديدة للتعويضات الالمانية مع امكانيـة تنشـيط الاقتصـاد الالماني ليكون قادراً على الايفاء بألتزاماته الداخلية والخارجية وعرفـت هـذه اللجنـة بأسـم رئيسـها الامركي (داوز) وقد وضعت اللجنة تقريرها وفيه التوصيات التالية:

1. تخفيف الاقساط التي تدفعها المانيا كتعويضات من ثلاثة مليـارات مـارك الى مليـار مـارك سنوياً تتصاعد تدريجياً بعد خمس سنوات ليصل الى 2,5 مليار سنوياً.
2. منح المانيا قروضاً بقيمة 30 مليار مارك ذهب خلال فتره من 1924 - 1929 وذلك بضمان عدد من المنشأت الصناعية الالمانية.

كان من بين اهم نتائج اقرار مشروع (داوز) قرار فرنسا بالجلاء عن اقليم الرور الالماني وذلك خلال عامي 1925 - 1926. اما النتيجة الاخرى فهي تهيئة الاجواء الاوربيـة لاعـادة الـدور السـياسي لالمانيا في العلاقات الدولية وكان ذلك من خلال أقرار معاهدات لوكارنو.

معاهدات لوكارنو وعودة المانيا الى السياسة الاوربية

نشـطت الدبلوماسـية الالمانيـة في محاولـة جـادة لتخفيـف القيـود العسـكرية والسياسـة والاقتصادية عن المانيا والمقره بموجب معاهدة فرساي ونظام التعويضـات، وقـد قـاد هـذا النشـاط رئيس الحكومة الالمانية (ستراسمن) الـذي اسـتغل وجـود حكومـة فرنسـية غـير متشـددة برئيسـها (بريان) فدعاها بمذكرة في شباط عام 1925 الى عقد ميثاق او تعهد بين الدول الاوربيـة حـول عـدم استخدام القوة العسكرية في حل المنازعات الاوربية مع تعهد الماني بأحترام جميع الاوضاع في اوربـا ومنها الحدود الالمانية المقرة وفق معاهده فرساي. ودعت المذكرة الى عقد اجتماع اوربي لوضع هذا الميثاق او التعهد موضع التطبيق. وبناءاً على تلك المذكره وموافقة الحكومـة الفرنسـية عليهـا فقـد تقرر عقد مؤتمر في مدينة لوكارنو في سويسرا (5 تشرين اول من عام 1925) وحضره كل من رؤسـاء الوزارة في بريطانيا تشمبرلن وايطاليا موسوليني وفرنسا بريان والمانيا ستراسمن وبلجيكا فاندرفلد[1].

وفي 16 تشرين اول تم الاتفاق على توقيع مجموعة من المعاهدات تضمنت:

1. ضمان الحدود الالمانية مع كل من فرنسا وبلجيكا وفقاً لاتفاقية فرساي 1919.
2. تعهد بريطانيا وايطاليا بضمان البند الاول.
3. تتعهد جميع الاطراف بأستخدام القوة مجتمعة ضد اي طرف يخرق هذا التعهد.
4. التوقيع على معاهدة تحكيميـة تـتلخص بتعهـد جميـع الاطـراف بـأعتماد التحكـيم لحـل المشاكل التي تنشأ بينها.
5. تم وضع اتفاقية ثنائية فرنسية - تشيكوسـلوفاكية وفرنسـية - بولنديـة يتعهـد كـل منهـا بتقديم العون العسكري ضد اي محاولة المانية لتغير حدودها الشرقية.
6. تم التعهد لامانيا بأدخالها في عصبة الامم كعضو دائم العضوية في المجلس.

(1) د. رياض الصمد، المصدر السابق، ص377 وما بعدها.

وكان من بين نتائج هذه المعاهدات:

1. تطبيع العلاقات الفرنسية الالمانية.
2. انضمام المانيا لعصبة الامم كعضو دائم في 8 أيلول 1926.
3. انسحاب القوات البريطانية والفرنسية من منطقة كولون الالمانية كتعبير عن حسن النية.
4. توصلت اطراف لوكارنو الى ايجاد آليه جديدة للتعويضات وذلك من خلال تشكيل لجنة لمناقشة التعويضات سمُيت لجنة (يونغ) والتي قدمت مشروعها في آب من عام 1929 وذلك بتنازل فرنسا عن جزء من حصتها في التعويضات واعادة تقسيط مبلغ التعويضات ليمتد الى 58 سنة فضلاً عن المكاسب الاقليمية لالمانيا والمتمثلة بانسحاب القوات الدولية من منطقة رينيا والذي تم في ايلول 1929.

الفصل الرابع

التطورات السياسية في روسيا

وانعكاساتها الدولية

الفصل الرابع

التطورات السياسية في روسيا وانعكاساتها الدولية

لم تكن الثورة الروسية التي اندلعت في اذار من عام 1917 وليدة الصدفة او كرد فعل تطورات سياسية او عسكرية آنية وانما هي وليدة عهود طويلة من الاضطهاد والتخلف والاستبداد الذي تميزت به الحكومة القيصرية وعلى مدى قرون.

- التخلف السياسي الذي تميز به النظام القيصري وعدم مواكبة التطورات الفكرية والسياسية في اوربا والتي قطعت اشواطاً واسعة لا سيما بعد الثورة الفرنسية وثورات القرن التاسع عشر التي رسخت الانظمة الديمقراطية في اوربا فبقي النظام السياسي حبيس حكمه ومعتقداته القديمة بمصادرة الحقوق والحريات للشعب الروسي واخضاعه بالقوة العسكرية[1] اذ كان جيش القيصر يضطهد كل دعاة الحرية ويودعهم السجون لاسيما اصحاب المبادئ الاشتراكية التي نشطت في اواخر القرن التاسع عشر الامر الذي ادى الي مزيد من اعمال العنف خلال الاعوام 1890- 1898.[2]
- التخلف الاقتصادي الذي تميزت به روسيا، فلم تأخذ الثورة الصناعية انعكاساتها الاقتصادية والعلمية طريقها الى الدوله الروسية فبقيت اسيره للحلقات الصناعية والاقتصادية المتخلفة على رغم من محاولات الاسكندر الثالث ونيقولا الثاني (في العقد الاخير من القرن التاسع عشر) من ادخال بعض

1 أ.ج جرانت، اوربا في القرنين التاسع عشر والعشرين، ج1،ترجمة محمد علي ابو دره، القاهره - 1978، ص280.
2 د. محمد محمد صالح، تاريخ اوربا الحديث 1870- 1914، بغداد- 1968، ص116

مظاهر الثورة الصناعية الاوربية على روسيا الا ان الاخيرة ظلت بلداً زراعياً، اذ مثل القطاع الزراعي اكثر من ثلاث ارباع سكان روسيا.

- لقد كان لطبيعة المجتمع الروسي القائم على التناقض الطبقي الحاد اثراً في عرقلة انتقال روسيا الى مرحلة الدولة الصناعية، اذ وقفت الطبقات التقليدية المتنفذة حائلاً امام التطور الصناعي كونه يمثل تحدياً لنفوذهم وسلطاتهم الواسعة.

- بقاء النظام الاجتماعي وفق منظور القرون الوسطى من استبداد طبقي، فكان القيصر وحاشيته وطبقة النبلاء ورجال الدين هم الاقلية المستفيدة والمتنعمة، مع وجود اغلبية ساحقة من العمال والفلاحين المسحوقين مادياً واجتماعياً وهكذا بقيت روسيا طوال القرن التاسع عشر تئن من النظم والتقاليد الاقطاعية.

لقد نتج عن هذا الواقع المتخلف ازدياد نشاط الافكار والاراء الحرة لاسيما الحركات المرتبطة بالاحزاب الاشتراكية والتي ظهرت بقوة في اوربا في تلك المرحلة. اذ تأسس الحزب الاشتراكي الروسي عام 1898 وكان هدفه محدد وواضح هو استلام السلطة وتغيير المجتمع تغيراً جوهرياً[1].

وجائت هزيمة روسيا في حربها مع اليابان في 1904- 1905 لتوجد المناخ الملائم لتزايد النشاط الحزبي فيها والذي نجح في اشعال ثورة عارمة في روسيا عام 1905 والتي شملت جميع المدن والقرى، اذ قام الثوريون بأعمال نهب وحرق لبيوت الاغنياء والنبلاء الامر الذي اضطر معه القيصر لاتخاذ بعض الاصلاحات منح خلالها حرية الصحافة

---

1 انقسم الحزب الاشتراكي الروسي الى جناحين منذ مؤتمر لندن الذي عقد عام 1903، تزعم جناح الاكثرية (البلاشفة) فلادمير لينين وكان من دعاة استخدام العنف الثوري لتحقيق التغيير في روسيا في الوقت الذي اصر فيه الجناح الاخر وهم الاقلية (المناشفة) على استخدام الوسائل الليبرالية والاصلاحية التدريجية في التغيير وكان لهذا الانقسام انعكاساته في فشل ثورة 1905 و1911 وكذلك ثورة اذار 1917 الامر الذي دعى لينين الى تغيير اسم الحزب الى الحزب الشيوعي الروسي عام 1918.

فضلاً عن دعوة البرلمان للانعقاد وغيرها من الاجراءات غير الجذرية الى ان هدئت الثورة وتراجعت تأثيراتها.

وعندما اندلعت الحرب العالمية الاولى وما رافقها من اجراءات تعسفية كالتجنيد الالزامي وتسخير كافة الطاقات الاقتصادية للمجهود الحربي لتضيف معاناة جديدة للشعب الروسي لاسيما طبقة العمال والفلاحين الذين تحملو العبئ الاكبر اقتصادياً واجتماعياً او من خلال تجنيدهم وزجهم في اتون الحرب، الامر الذي انعكس بشكل سلبي على الواقع الروسي في المدن والارياف فكان ذلك سبباً في ظهور العصيان والاضطرابات لدى كل طبقات الشعب ومنهم الجنود وذلك بتحريض من الاحزاب الاشتراكية. لا سيما الحزب الاشتراكي الروسي الذي انتشرت تنظيماته بين الضباط والجنود. الامر الذي ادى لاندلاع الانتفاضة والثورة.

وتنقسم الثورة الروسية الى مرحلتين:

المرحلة الاولى:

الثورة البرجوازية: والتي بدأت بتضاهرات شعبية مطالبة بالاصلاح وتأمين الغذاء، تحولت الى اعمال عنف ومن ثم السيطرة على بعض مرافق الدولة. وعندما امر القيصر نقولا الثاني قواته بقمع الثورة رفضت هذه القوات تنفيذ الاوامر وانضموا الى المتضاهرين الامر الذي ادى الى استقالة القيصر وذلك في اذار من عام 1917.

نتيجة لتلك الاستقالة تشكلت حكومة مؤقته من 12 وزير برآسة الامير ليفوف الذي استقال ليشكل كرنسكي حكومة جديدة كان من ابرز سماتها:

1. انها استمرت بالحرب ضد المانيا على خلاف رغبة الشعب الروسي على الرغم من انها لم تحقق انتصارات تذكر في جبهات القتال.

2. لم تقم بأصلاحات جذرية في المجتمع الروسي كما كان ينتظر الشعب وذلك تحت مبرر استمرار الحرب وكذلك النظرة الاصلاحية البرجوازية التي كان يؤمن بها اعضاء حكومة كرنسكي.
3. تأييد الدول الغربية لاسيما الولايات المتحدة للتغير في روسيا على اعتبار ان النظام الجديد هو امتداد الانظمة الليبرالية الديمقراطية في الغرب كما انه حافظ على تعهداته بأستمراره بالحرب على المانيا.

المرحلة الثانية:

تمثلت بانتصار الجناح البلشفي (الثوري) في الحزب الاشتراكي الروسي بزعامة لينين على الاصلاحيين وذلك في اكتوبر 1917 بدعم من المانيا فقد استمرت حكومة كرنسكي بالحرب وعدم تحقيق اي انتصارات عسكرية بل العكس، اذ مني السوفيت بهزيمة كبيرة على يد الالمان في غالسيا، زادت من الاضطرابات الجماهرية فضلاً عن التمرد والعصيان في الجيش مما فسح المجال لاسقاط حكومة ويمكن توضيح ذلك من خلال ما يلي:-

1. ازدياد نشاط البلاشفة (الحزب الشيوعي الروسي) وتحول هذا النشاط من احتجاج وتضاهرات الى حمل السلاح لاسقاط حكومة كرنسكي واستلام السلطة وقد رفع البلاشفة شعار (السلام للجيش والارض للفلاحين والمصانع للعمال) وهو شعار الذي وجد قبولاً متصاعداً لدى قطاعات الشعب كافة.
2. اصرار المانيا ورغبتها الملحة على استغلال الاوضاع في روسيا لعقد الصلح معها ومن ثم التفرغ للجبهة الغربية لا سيما بعد دخول الولايات المتحدة الحرب في نيسان من عام 1917 وجاء تنفيذ ذلك عن طريق دعم البلاشفة وتسهيل

دخولهم الى روسيا ودعمهم مادياً أذ أن المانيا سهلت دخول لينين ومن معه الى روسيا من المانيا(1).

3. انتشار الفوضى والانتفاضات في العاصمة بطرس برغ وفي موسكو ورفض الجيش الانصياع لاوامرقمع تلك الانتفاضات وارتفعت الاعلام الشيوعية الحمراء.

4. في 7 تشرين الثاني من عام 1917 كان يوماً تأريخياً في حياة روسيا والعالم اذ تمكن البلاشفة (الشيوعيين) بزعامة فلادمير لينين من السيطرة على السلطة في محاولة عملية (الاولى من نوعها في العالم) لتطبيق مبادئ النظرية الماركسية والتي كانت وليدة الثورة الصناعية الاوربية الامر الذي كان له ردود فعل دولية هامة.

اتخذت الحكومة البلشفية بزعامة لينين عدة قرارات:

أ- مرسوم الارض: وفيه أممت الاقطاعات الزراعية من دون تعويض ووضعت اراضي الكنيسة والعائلة المالكة تحت سلطة ممثلي الفلاحين. كما شرعت بتمكين العمال من السيطرة على المصانع انتاجاً وتوزيعاً. وأممت المصارف الاهلية.

ب- مرسم السلام : بدأ ذلك بأصدار امر للقائد العام للجيش الروسي لوقف العمليات الحربية ضد المانيا وتم توقيع هدنة في كانون اول 1917. وقد دعت الحكومة الروسية حلفاءها لوقف الحرب والبدء بمفاوضات الصلح مع المانيا الا أن حلفاء روسيا رفضوا هذا النداء الامر الذي دعا روسيا للدخول في مفاوضات منفردة مع المانيا لعقد الصلح.

(1) كان لينين قد غادر روسيا بعد تقاطعه مع الحكومة كرنسكي وعدم تحقيق الاهداف في السيطرة على السلطة وبدأ يخطط بالتشاور مع المانيا للعودة الى روسيا وقيادة الثورة. لمزيد من التفاصيل انظر: عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، التأريخ الاوربي الحديث والمعاصر، (القاهرة – 1995)، ص259.

معاهدة بريست ليتوفسك[1]:

لقد كانت مفاوضات عقد الصلح بين المانيا وروسيا معقدة وطويلة وشابتها اوقات من التهديد بأستخدام القوة من قبل المانيا وذلك لاجبار الروس على اعطائهم التنازلات التي يطلبونها لا سيما تلك المناطق الغنية اقتصادياً والتي احوج ما تكون لها المانية هذه المرحلة. فقد زحف الجيش الالماني في شباط 1918 بأتجاه العاصمة الروسية الامر الذي ادى الى مسارعة الوفد الروسي برأسة تروتسكي بالعودة الى المفاوضات والموافقة على الشروط الالمانية وفق اتفاقية سميت (بريست ليتوفسك) في 3 اذار عام 1918:

1. تنازل روسيا عن سيادتها على بولونيا وليتوانيا واعطاء الحق لالمانيا بالتصرف في مصير هذه المناطق.
2. الاتفاق على استقلال اوكرانيا وفلندا.
3. ايجاد منطقة منزوعة السلاح في المناطق التي تخضع للسيادة الروسية.

نتائج الصلح مع المانيا:

لقد احتجت الدول المتحالفة لدى الحكومة الروسية على نقض روسيا لالتزاماتها وعقد صلح منفرد مع المانيا. الا ان خروج روسيا من الحرب لم يكن له تأثير حاسم أذ أن الولايات المتحدة قد عوضت عن ذلك برفدها جبهات القتال بأكثر من مليون جندي فضلاً عن معدات حديثة واقتصاد قوي الامر الذي ادى الى هزيمة المانيا.

ان هزيمة المانيا لم تثن الدول الغربية من محاولة افشال الثورة البلشفية. فقد ارسلت معظم الدول بقواتها الى داخل روسيا في محاولة منها لتحقيق اطماع اقليمية كما حصل

1 وهو اسم لمدينة تقع الحدود بين بولندا وروسيا في تلك المرحلة.

مع تدخل القوات اليابانية ابتدأ من نيسان من عام 1918 او بهدف انهاء التجربـة الشـيوعية خوفـاً من امتدادها داخل اوربا لا سيما انها وجدت لهـا صـدى داخـل ايطاليـا والمانيـا وفرنسـابعد انتهـاء الحرب. الا ان التدخل الخارجي في دعم قوات الحرس الابيض المناوئه للبلاشفة قد باء بالفشل وذلك لحسن تنظيم القوات البلشفية واندفاعها للدفاع عن ثورتها فضلاً عن وقوف العمال والفلاحـين مـع الحكومة الباشفية لاسباب تتعلق برغبتهم بالحفاظ على المكاسب التي حصـلوا عليهـا او لاعتبـارات قومية. فضلاً عن الانقسام الذي حصل بين الدول المتدخلة واعـتراف المانيـا وتركيـا بالنظـام الجديـد وذلك على الرغم من المعوقات التي وضعتها الدول الاوربية ضد روسـيا لاسـيما مـايتعلق بمـا اطلـق عليه (سياسة العزل) فضلاً عن تحريك الدول المجاورة للضغط على روسيا مثل بولندا التـي دخلـت في حرب مع روسيا والتي انتهت عام 1920.

الا ان روسيا تمكنت من الوقوف بوجه تلك الاجراءات بشكل حازم ومدروس مما مكنها مـن الصمود بوجه محاولات القوة الغربية التي وصمت الثورة البلشفية (بالرعب الاكبر)[1]. في عام 1921 انتهت الحرب الاهلية بأنتصار الحكومـة البلشـفية التـي بـدأت بالعمـل لمعالجـة الاقتصـاد الـروسي المتردي واتخاذ خطوات عملية لترسيخ سلطة الدولة.

في عام 1922 تقرر انشاء دولة الاتحاد السـوفيتي مـن 15 جمهوريـة تتمتـع بـالحكم الـذاتي تحت اسم (الجمهوريات الاشـتراكية السـوفيتية) وقـد وضـع دسـتور لهـذه الدولـة عـام 1923 اقـر بألاتحاد الاختياري لشعوب الجمهوريات الداخله فيه[2].

في عـام 1924 بـدأت الـدول الاوربيـة بـالاعتراف بالاتحـاد السـوفيتي وبـدأ هـذا توالـت الاعترافات الاوربية تباعاً بالدولة الجديـدة. في 10 ايلـول مـن عـام 1934 دخـل الاتحـاد السـوفيتي كعضو دائم في مجلس العصبة وذلـك بعـد ان وقـع الاتحـاد السـوفيتي عـدة اتفاقيـات مـع الـدول الاوربية والولايات المتحدة الامريكية.

1 لمزيد من التفاصيل انظر رياض الصمد، المصدر السابق، ص186
2 د. فاضل حسين، المصدر السابق، ص240.

الفصل الخامس

التطورات الداخلية في ايطاليا والمانيا

بعد الحرب

الفصل الخامس

التطورات الداخلية في ايطاليا والمانيا بعد الحرب

اولاً : ايطاليا

تمكنت ايطاليا من تحقيق وحدتها الجغرافية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر وتحديداً خلال الاعوام 1859 – 1861 والتي تمكن خلالها ابرز القادة الايطالين وعلى رأسهم كافور وغاريبالدي من النجاح في تحقيق الانتصار على القوى الخارجية المؤثرة على الولايات الايطالية كالنمسا وفرنسا فضلاً عن القوى الداخلية المسانده لها[1]،وقد اصبح فكتور عمانوئيل الثاني اول ملك للمملكة الايطالية الموحدة.

لقد حاولت ايطاليا لا سيما مع بداية القرن العشرين لان يكون لها موقعاً في التنافس الاستعماري الذي احتدم في تلك المرحلة،وعلى الرغم من فشلها في احتلال اثيوبيا عام 1896 الا انها تمكنت من الاستيلاء على اريتيريا والصومال الايطالي ومن ثم احتلال الاراضي الليبية عام 1911. كما انها عملت على ان يكون لها موقعاً في الصراع والتنافس الاوربي اذ دخلت في تحالفات عديدة منها الحلف الثلاثي مع النمسا والمانيا عام 1882 والذي تجدد عام 1887، وكان هدف تحالفاتها وتحركاتها هو الحصول على المكاسب المادية والاقليمية وهكذا فأن دخولها الى الحرب العالمية الاولى والذي جاء بعد مساومات مع طرفي الحرب والتي انتهت بعقد اتفاقية لندن في نيسان من عام 1915، كانت تأمل بالحصول على مكاسب اقليمية في اوربا وافريقيا كما كانت تأمل بالحصول

1 كان الفضل الاول في بذر النزعة الوحدوية للشعب الايطالي يعود الى ماتزيني الذي عمل من خلال جمعية ايطاليا الفتاة على دفع الشباب الايطالي روحياً وفكرياً باتجاه الوحدة

على جزء مناسب من التعويضات المادية. الا ان واقع الحال بعد انتهاء الحرب كان يشير الى خيبة امل كبيرة للشعب والحكومة الايطالية التي لم تحقق الشي الكثير من احلامها التوسعية لا سيما في النمسا والدولة العثمانية. ونتيجة لذلك فقد انسحب الوفد الايطالي من مؤتمر الصلح في محاولة منه للضغط على الاطراف المشاركة الا ان هذا الانسحاب لم يؤثر شيئاً على اعمال المؤتمر.

وفي الوقت الذي لم تحصل ايطاليا على مكاسب مهمة من الحرب على المانيا فقد عانت داخلياً من اضطرابات ومشاكل اقتصادية واجتماعية عميقة أثرت بشكل حاسم على مستقبل ايطاليا. ويمكن اعادة سبب تلك الاضطرابات الى عوامل عديدة:

1. توقف المعونات التي كانت تقدم لايطاليا من الدول المتحالفة معها الامر الذي انعكس سلبياً على الاقتصاد الايطالي.
2. ضئالة حجم حصة ايطاليا من التعويضات حيث لم تتجاوز 17% وهو الحال الذي لا يتناسب مع التضحيات التي قدمتها ايطاليا.
3. زيادة حجم البطالة الى نسب مرتفعة نتيجة توقف عدد كبير من الاعمال وتسريح العمال.

كان من نتيجة ذلك ان سادت موجة عارمة من الاضطرابات بين الفلاحين والعمال اتسمت بالعنف وبمحاولة السيطرة على الاراضي والمصانع كما انتشرت المنظمات السياسية ذات العقائد المختلفة من اشتراكية او شيوعية او غير ذلك أتخذ بعضها الاحتجاج المسلح اسلوباً في التعبير عن آرائهم ومطاليبهم.

في هذه الاجواء المضطربة ظهرت الحركة الفاشية التي تزعمها موسوليني[1] واطلق على جماعته (اصحاب القمصان الرمادية) واختط لنفسه خطاً مناوئاً للمد الشيوعي الذي

(1) ولد موسوليني 29 تموز 1883 لاب حداد وام معلمة، وكان ذا طبيعة مشاكسة ومزاج حاد، سجن مرتين في شبابه، عمل في الصحافة، ثم دخل الى الجيش اثناء الحرب العالمية الاولى وجرح فيها،واستخدم كلمة الفاشية (وتعني كلمة الفاشية عصبة او حزمة من العصي) وهي كلمة لها مدلولاتها التأريخية في روما القديمة كرمز لقوة السلطة والدولة.

بدأ ينشط في ايطاليا مستغلاً الظروف الاجتماعية المضطربة والتحركات التي كانت تنذر بايجاد نظام مشابه للنظام في الاتحاد السوفيتي الامر الذي اخاف عدد من الطبقات الاجتماعية ونتيجة لهذا الموقف المناهض للشيوعية آزره اصحاب المصانع ورؤس الاموال الذي يخشون على مصالحهم من الطروحات الشيوعية. لذا فقد وجد له قاعدة مهمة في المجتمع الايطالي تمثلت:

أ- بالجماهير المطالبة بالحقوق والأمن والرفاه الاقتصادي.

ب- بأصحاب المصانع والاثرياء الذي وجودوا فيه حماية من المد الشيوعي الذي يهدد مصالحهم.

ت- الملكيين الذي استطاع استمالتهم بعد اعلانه احترامه للملكية والنظام والقانون، بعد ان كان في بداية حركته مؤيداً للجمهورية.

وفي الواقع ان كل طروحاته تلك ما هي الا وسيلة للحصول على التأييد الكافي الذي يوصله الى السلطة ليتمكن بعد ذلك من تحقيق برامجة التي يؤمن هو بها والمنسجمة مع طموحاته الشخصية والاستعمارية[1].

وقد استخدم الفاشيون مختلف الاساليب السياسية والاسلوب المسلح لكسب مناصرين او للتخلص من مناؤين لهم اذ قاموا بأعمال القتل والحرق والتخريب ضد كل جهة لا تتوافق وطروحاتهم وفي 27 تشرين الثاني من عام 1922 اعلن موسوليني:(اما ان تعطى الحكومة لنا او ان نستولي عليها بالزحف على روما) وبالفعل امر موسوليني

(1) وهذا ما يقوم به مختلف القادة المغامرين والطموحين عندما يغرون الناس بافكار قومية او دينية او طائفية ليس لشيء سوى لكي يتمكنوا من الوصول للسلطة وعندها يبدأون بتنفيذ برامجهم التي تنسجم ليس مع طروحاتهم التي وصلوا بها للسلطة وانما التي تنسجم وطموحاتهم الشخصية والامثلة في التأريخ كثيرة.

اتباعه بالزحف على روما من مختلف انحاء ايطاليا في مسيره اطلق عليها (مسيرة ذوي القمصان الرمادية) ومع حالة من الاضطراب والفوضى استقالت الحكومة وقرر الملك فكتور عما نوئيل اسناد منصب رئاسة الوزراء الى موسيلني في 30 تشرين ثاني عام 1922.

اهم الاعمال التي قام بها موسوليني

1. على الصعيد الداخلي:

أ- ركز السلطة في يده اذ قلص من سلطات البرلمان الايطالي واتخذ لنفسه لقب الزعيم (الدوتشي) واعتبر ان سلطة الزعيم هي بديلاً عن الديمقراطية الغربية التي اعتبرها نوع من الانانية والعبث والنزاع الطبقي.

ب- اختط لنفسه منهجاً خاصاً انتقد فيه الاتظمة الليبرالية والشيوعية واكد على وجوب قيام (الدولة النقابية) والتي تقوم على تشكيل برلمان يمثل النقابات الحرفية العاملة في المجتمع الايطالي اذ قسم الحياة الاقتصادية الى 22 قسماً وعلى اساس نوعية عمل كل قسم (البنائين، النساجين، المدرسين، الخ) ولكل قسم نقابة خاصة به ينتخبون ممثلين لهم في مجلس وطني لمناقشة السياسيات الاقتصادية في الدولة.

ت- بدأ في وضع خطة شاملة لأصلاح الاقتصاد بهدف بناء الدولة وتحقيق الاكتفاء الذاتي، وذلك توسيع الاراضي الزراعية من خلال استصلاحها الامر الذي انعكس على انتاج تلك الاراضي من الحبوب وخاصة القمح فضلاً عن محاولاته لبناء صناعات وطنية والتوسع في انتاج الكهرباء الضرورية للصناعة.

2. على الصعيد الخارجي:

1. حاول بعث النزعة القومية الايطالية بهدف تحفيز الشعب الايطالي لتقبل طموحاته التوسعية اذ بدأ ذلك بتشديد قبضته على ليبيا وقمع ثورة عمر المختار وانتهت باعدامه عام 1931، ثم تحول للتفكير في احتلال الحبشة وعندما حانت الفرصة عام 1936 نفذ فكرته واحتل تلك الدولة في محاولة منه لترسيخ وجوده في افريقيا ومنافسة كل من المانيا وفرنسا وبريطانيا التي لها مستعمرات داخل افريقيا.
2. عمل على ايجاد صلات مع الانظمة المشابهة لتوجهاته السياسية والاستعمارية فكان ذلك سبباً في تأسيس محور روما - برلين - طوكيو اذ اجتمعت هذه الانظمة على اسس مشتركة سوف تكون قاعدتها في شن الحرب العالمية الثانية.
3. وقف بقوة الى جانب فرانكو في الحرب الاهلية الاسبانية (1936 - 1939) التي ادت الى انتصار الأخير وكان ذلك ينسجم مع طموحاته وتوجهات موسيليني التوسعية.

ثانياً: التطورات السياسية في المانيا

جاءت نتائج الحرب العالمية الاولى بتداعيات خطيرة على الواقع الاوربي بشكل عام والمانيا بشكل خاص. فبالاضافة الى الانهيار الاقتصادي والدمار الذي لحق بالبنى العمرانية والصناعية للدول المتحاربة كان هناك خطر اكبر يهدد الدول الاوربية المنتصرة منها والمنهزمة تمَثل بالحركات الثورية التي تتبنى الافكار الفاشية او الشيوعية كبديل للنظام الليبرالي السائد في اوربا. وقد لقيت هذه الحركات قبولاً لدى اعداد كبيرة من الشعوب الاوربية (عدا بريطانيا) وذلك لخيبة الامل التي عاشتها تلك الشعوب من انظمتها ومن حالة الدمار والانهيار الشامل الذي انعكس بشكل كبير على الحياة اليومية للمواطن الاوربي.

وعلى الرغم من تحقيق هذه القوى السياسية لانتصارات لها في ايطاليا وروسيا الا انها فشلت في تحقيق اهدافها في دول اخرى.

ففي المانيا التي وقعت عليها الهزيمة وقع الزلزال اذ تغير الواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي بشكل كامل. فالنظام الامبراطوري تحول الى نظام جمهوري عندما تنازل وليم الثاني عن العرش بعد رفض الجيش قمع التمرد الذي حصل في القوات البحرية وامتد الى فئات اخرى من الشعب، اذ تم تشكيل حكومة جديدة برئاسة (أيبرت) انضمت اليها مختلف الاحزاب الليبرالية بهدف منع تدهور الاوضاع الداخلية لا سيما بعد ان تشكلت مجالس عمالية استقلت في سلطتها في عدد من المدن ومن بينها بفاريا وميونخ. وكان من اهم مهام حكومة أيبرت هو توقيع الهدنة مع دول الوفاق الودي.

لقد جاءت شروط الهدنة قاسية على الشعب الالماني اذ استسلم الاسطول البحري وتمت السيطرة على معدات القوتين البرية والجوية. وسيطرت الدول المنتصرة على أراضي المانية في شرقها وغربها وأراضي أخرى خارج المانيا.

في كانون الثاني من عام 1919 دعا أيبرت الى عقد مؤتمر يضم جميع الولايات الالمانية في مدينة (فيمار) وذلك بعيداً عن برلين التي كانت تضج بالاضطرابات. وتم الاتفاق خلال هذا المؤتمر على مسودة دستور عرف (بدستور فيمار) الذي نظم الحياة السياسية في المانية حتى عام 1930.

لقد كان من الصعوبة تحويل الشعب الالماني من الاجواء العسكرية التي سبغت الحياة السياسية والاجتماعية لاربعين عاماً مضت الى الاجواء السياسية الديمقراطية السلمية، لذا فقد استمرت في المانيا التنظيمات العسكرية المتعصبة والتي اخذت على عاتقها تصفية جميع العناصر التي اقرت الهدنه ووافقت على مؤتمر فرساي[1].

لجأ أيبرت الى القوات العسكرية لقمع الأنتفاضات والتمردات في المدن الالمانية لا سيما في برلين. وكان ولاء الجيش هنا ليس لحكومة فيمار وانما خوفاً من تسلط العناصر الشيوعية او الفاشية ودعماً لوحدة المانيا المهدده.

ووفق دستور فيمار فقد جرت انتخابات عام 1919 والتي اصبح فيها أيبرت رئيساً للجمهورية وتم تشكيل حكومة أئتلافية تضم الاشتراكين والمحافظين واجهت هذه الحكومه مهمات جسام أهمها التصدي للواقع الاقتصادي المتدهور بل المدمر نتيجه للحرب والهزيمة التي لحقت بالمانيا. فضلاً عن نظام التعويضات الذي اوجب على المانيا دفعها لمبالغ هائله في الوقت الذي خسرت فيه مناطق صناعية مهمة طبقاً لمعاهدة فرساي مثل منطقه السار و سيليسيا وكذلك منطقة الرور الصناعية نتيجة الاحتلال الفرنسي لها عام 1923.

---

(1) ظهر عام 1919 ما سمي (بالفيلق الحر) وهو منظمة عسكرية قامت بتصفية العديد من الشخصيات الالمانية من بينهم زعيم حزب الوسط (ماتياس ايرينجر) الذي وقع اتفاق الهدنة متهمتاً اياه بالخيانه، كما تم اغتيال وزير الخارجية الالماني (راتبناو). لمزيد من التفاصيل انظر: براين بوند، المصدر السابق، ص155.

لقد عانى الاقتصاد الالماني من معدلات التضخم العالية لا سيما بعد انخفاض قيمة المارك الى مستويات متدنيه جداً (الدولار يساوي 132 مليون مارك عام 1923).

في عام 1924 تشكلت حكومة جديدة برأسة ستراسمن تمكنت من خلال اتصالاتها مع الولايات المتحدة والدول الاوربية من تخفيف الضغوط الاقتصادية على المانيا. وذلك يأيجاد آلية جديدة لدفع التعويضات فضلاً عن تمكنها من الحصول على قروض بقيمة 33 مليار مارك طبقاً لمشروع داوز وكذلك اقناع فرنسا بالانسحاب من اقليم الرور المهم اقتصادياً لالمانيا. الامر الذي انعكس ايجابياً على الواقع الاقتصادي الالماني الذي اخذ بالتحسن الى ان تعرضت المانيا لاثار الازمة الاقتصادية العالمية عام 1929.

صعود النازيين الى السلطة

يرى العديد من الباحثين ان شخصية هتلر[1] هي اساس الحركة النازية وانه من (اهم البواعث التي حققت للنازية اهدافها). الا ان البعض الاخر يرى ان الظروف التي سادت المانيا والوسط الاجتماعي المضطرب كان المجال الرحب الذي سمح لهتلر بالبروز وتكوين تنظيمات سياسية تقوم على اساس التعصب العرقي ومحاولة اعادة امجاد الماضي مستغلين الواقع النفسي للمجتمع الالماني المصدوم بالهزيمة لعسكرية وآثارها المذلة التي

---

(1) ادلوف هتلر من مواليد 1889 في قرية نمساوية ومن عائلة بسيطه تميزت حياته بالشعور المستمر بالفشل والاحباط. وبدأ هذا الفشل في المدرسة ثم عندما لم يتم قبوله في كلية الفنون اذ كان يطمح ان يكون رساماً. بعد وفاة والديه (عمره 19 سنه) عاش حياة من البؤس والتشرد اذ سكن في الاكواخ القذرة ووقف في طابور (الحساء الشعبي)المجاني الذي يقدم للفقراء. وعندما دخل الى الخدمة العسكرية رأى هزيمة الجيش الالماني بأم عينيه.

هذا الواقع من الهزيمة والفشل كان يتناقض مع طموحاته واحلامه التي ترجمها في كتابه (كفاحي). لقد عمل وحيداً ولم يتزوج ولم تكن لديه عائلة. وركز على بناء شخصية بشكل ذاتي. نقلاً عن فكتور فرنر، الحرب العالمية الثالثة، ترجمة هيثم الكيلاني، (بيروت - 1980)، ص50-60

تضمنها شروط الهدنة ومعاهدة فرساي مما ولد لديه الرغبة في الانتقـام[1]. بالاضـافة الى ان النظـام الالماني الذي قاد الحرب العالمية الاولى فشل في اقامة نظام ديمقراطي ناضج وكان التركيز على البنـاء العسكري للشعب بهدف تحقيق طموحات استعمارية. مما هيأ الاجواء لظهور شخصـيات طموحـه مثل هتلر وجدت طروحاته صدى اوسع في اوساط الشعب الالماني[2] .

وعلى هذا الاساس ظهر الحزب الوطني (النازي) والتي كانت اهدفه تقوم على اعـادة القـوة العسكرية الالمانية واعادة مستعمراتها والغاء معاهدة فرساي وكل التنـازلات الالمانيـة التـي حوتهـا. فضلاً عن محاربة اليهود بأعتبارهم سبباً للازمات الاقتصادية التي عـانى منهـا المجتمـع الالمـاني وقـد تزعم هذا الحزب ادلوف هتلر الذي وجد فيه المجال الملائم للعمل على تحقيق اهدافه التـي تؤكـد معظم الدراسات انها اهداف تتعلق بالطموح الشخصي اكثر منها الطموح الوطني.

لذا يعد المؤرخون ان الاوضاع في المانيا بعد الحرب وشخصية هتلر هي التي طبعت المرحلـه ما بين الحربين ليس في المانيا فحسب وانما في اوربا والعالم.

---

(1) اشار عدد من الدراسات النفسية الى ان هتلر كان متاثراً بالمشاعر العدوانية التي تولدت لديـه بسـبب حـالات الفشل والاخفاق فمن اقواله (ان الفضيلة هي الدم) وكـذلك قولـه (كـل شيء متوقـف عـليّ في جـوهرة وعـلى وجودي على جانب كبير من الاهمية نقلاً عن: صادق الاسود، علم الاجتماع السياسي، (بغداد -1980)، ص294.

(2) يمكن ايراد دليل على ذلك هو ان استقرار الاوضاع في بريطانيا مثلاً لم تسمح بظهور قادة مغـامرين عـلى مثـال هتلر وموسيلني وان هؤلاء لم يكونوا لينجحوا لو أنهم ظهروا في المجتمع البريطاني او مجتمع مشابه له بالنضج السياسي والاستقرار.

كيف وصل النازيون الى السلطة:

1. في عام 1923 حاول هتلر وحزبه النازي القيام بأنقلاب عسكري ضد حكومة فـيمار، الا ان هذه المحاولة فشلت وسجن هتلر لعدة اشهر.
2. خلال الفترة اللاحقة بين 1923 - 1929 ونتيجة لاستقرار الاوضـاع في المانيـا واوربـا بشـكل عام، لا سيما بعد تطبيع العلاقات الالمانية الاوربية وحصول حالة من الانتعاش الاقتصادي في المانيا فقدت النازية وهتلر التأييد الذي كانت تتمتع به في المرحلة التي اعقبت انتهـاء الحرب.
3. مع ظهور بوادر الازمة الاقتصادية العالمية عام 1929 (انظر الفصل القادم) وتاثر المانيا بها بشكل مباشر نتيجة لقرار الولايات المتحدة ايقاف القروض والمسـاعدات[1] وازديـاد نسـبة البطالة لتصل الى ستة ملايين عاطل عـن العمـل عـام 1932 بمـا نسـبته 44% مـن نسـبة العماله في المانيا، فضلاً عن اعلان اكبر مصارف برلين افلاسه في تشرين اول عام 1931. كـل ذلك ادى الى ازدياد النشاط السياسي للحزب النازي مستغلاً الاوضـاع الناشـئه عـن الازمـه وعجز الحكومة الالمانية عن معالجةنتائجها. اذ اعلن برنامجاً طموحـاً دعـا فيـه الى اتخـاذ اجراءات اقتصادية وسياسية سريعة وقد عزز نشاطه السـياسي بأنشـاء مليشـيات مسـلحة عملت على دعم الحزب والوقوف بوجه معارضيه ومن بينها فرقة (s.s.).
4. ونتيجة لهذا النشاط السياسي المدعوم بالقوة المسلحة حقق الحزب النـازي وجـوداً مـؤثراً في الساحة السياسية عندما حصل في انتخابات عـام 1930 عـلى (107) مقعـداً في البرلمـان بعد ان كان قد حصل على 12 مقعد فقط في الانتخابات السابقة.

---

(1) فاضل حسين، المصدر السابق، ص286.

5. شجع هذا الانتصار الحزب النازي على ترشيح هتلر الى منصب الرئاسة في انتخابات عام 1932 في مواجهة الرئيس (المُسن) هند بيرغ. وبرغم فشله في الحصول على المنصب الا ان الاصوات التي حصل عليها تدل على بداية تأثر المجتمع الالماني بأفكار وطروحات النازيين المتوافقة مع المشاعر القومية المتصاعدة في المانيا.

6. في عام 1932 عانت المانيا من ازمة سياسية نتيجة لافرازات الازمة الاقتصادية، تمثلت ببروز خلافات حادة بين رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء (برونند) وكذلك بين الحكومة المركزية وحكومات الولايات. وفي ظل هذه الاجواء ونتيجة لمساومات عديدة قادها السياسي الالماني (الفون بابن) مع هتلر وتمكن الاخير من كسب رجال الاعمال وقادة الجيش وكذلك نتيجة لفشل الاحزاب الاخرى في تكوين جبهة قوية لمواجهة النازية. استطاع هتلر من فرض نفسه واجبار الرئيس هندنبرغ على تعينه مستشاراً (رئيساً للوزراء) وذلك في 30 كانون الثاني عام 1933.

7. عد المؤرخون وصول النازية الى السلطة متمثلة بزعيمها ادلوف هتلر كارثة حقيقية ليس على الشعب الالماني فحسب وانما على السلام الاوربي والعالمي بشكل عام. فبالنسبة لالمانيا عمل هتلر ومن الايام الاولى لوصوله الى السلطه على اتخاذ الخطوات العملية للانفراد بالحكم، فكانت الخطوه الاولى حله للبرلمان واجراء انتخابات جديدة في 5 ايار من عام 1933. اتصفت هذه الانتخابات بتزايد نشاط الأجهزة النازية السياسية والعسكرية للحصول على الأغلبية (من بينها منظمه العاصفةS.S والحرس الخاص S.A). وبهدف ابعاد الخصوم بشكل جماعي لجأ هتلر الى استغلال حرق مبنى البرلمان في 27 شباط 1933 للتنكيل بالحزب الشيوعي وقادته وصحفه. كما استغل هذا الحدث لتعطيل الحريات التي تكفل لباقي الاحزاب النشاط السياسي لاسيما ان الجميع كان

يستعد للانتخابات، الامر الذي سمح للنازيين بالحصول على الاغلبية في البرلمان.

8. بعد انعقاد دورة البرلمان الجديد تمكن هتلر من الحصول على موافقة النواب على منحه صلاحيات واسعة سمحت له للانفراد بالسلطة والقيام بحملة واسعة لتطهير المؤسسات الالمانية (عسكرياً ومدنياً) من جميع المعاديين للنازية وقد تم حل اغلب الاحزاب العاملة في الساحة السياسية وتم الاستيلاء على مقراتها كما قام الحزب النازي بالاستيلاء على مراكز نقابات العمال.

9. كان من اهداف هتلر التي سعى اليها وضّمنها برنامجه السياسي هو الاستعداد التام لاعادة قوة المانيا وتنمية قدراتها والعمل على التوسع واعادة المناطق التي سلبت منها. لذلك فقد عمد الى اعداد الشعب اعداداً عسكرياً. اذ اخضع العمال في المصانع الرئيسة الى نظام وقيود شبه عسكرية (فقد تقرر ان تدار المصانع والثكنات العسكرية وفق اساليب مشابة)[1]. كما عمد الى عسكرة التعليم اذ اعد برنامجاً ينشئ الطلبة ليكونوا مقاتلين في المستقبل. وعمل على بناء قواته العسكرية بشكل يهيؤها للمهمات التي خطط لها، اذ اعاد العمل بالتجنيد الالزامي وبدأ بأعادة بناء القوات البحرية والجوية. كما عمل على تأسيس طرق مواصلات حديثة تربط شرق المانيا بغربها من خلال بناء الطرق والسكك الحديد.

10. في 2 آب من عام 1934 توفي الرئيس هند نبرغ ولم يسمح هتلر بأنتخاب رئيس جديد اذ استولى على صلاحيات رئيس الجمهورية وكان ذلك آخر مراحل السيطرة التامة على السلطة في المانيا والانطلاق نحو تنفيذ سياسته الخارجية التي تسببت في اشعال الحرب العالمية الثانية

(1) نقلاً عن براين بوند، المصدر السابق، ص157.

الفصل السادس

الازمه الاقتصـــــادية العالمية

وآثارها على الدول الكبرى

الفصل السادس

الازمه الاقتصادية العالمية وآثارها على الدول الكبرى

يقصد بالازمة الاقتصادية العالمية الانهيار السريع والمفاجئ في سوق الاسهم والبورصات المالية الذي بدأ في الولايات المتحدة الامريكية عام 1929 وامتد ليشمل مختلف الدول الاوربية وادى الى نتائج ليس على الصعيد الأقتصادي فحسب بل وعلى الصعيد الاجتماعي والسياسي. ففي 29 تشرين اول من عام 1929 اغرقت الاسواق المالية في نيويورك بالاسهم المعروضة للبيع نتيجة للذعر الذي اصاب اصحاب تلك الاسهم بسبب عدد من الاجراءات التي اتخذتها الحكومه الامريكية الامر الذي ادى الى انخفاض قيمتها الى مستويات متدنية جداً[1]. ونتيجة لذلك اعلنت العشرات من المصارف والشركات افلاسها وسرح العمال وارتفعت نسبة البطالة الى مستويات عالية جداً وتفشت حالة الكساد الاقتصادي الى درجة ان اثمان المنتجات الزراعية او الصناعية لم تعد تغطي حتى نسبة ضئيلة من قيمتها الحقيقية الامر الذي اشاع عملية أتلاف المزروعات وقتل المواشي تخلصاً من التكاليف التي قد تنفق عليها والتي لا تتناسب مع اسعارها في السوق والتي قد تعادل صفراً.

(1) عن بداية الازمة الاقتصادية وتطوراتها انظر: د. رياض الصمد، المصدر السابق، ص256.

اسباب الازمة:

أ- يعزي العديد من الباحثين في التأريخ والاقتصاد سبب الازمة الى الوثبة الأقتصادية الكبيرة التي حققتها الولايات المتحدة خلال الحرب العالمية الاولى نتيجة انفتاح الاسواق الاوربية والعالمية على البضائع الامريكية بعد توقف الشركات الاوربية عن نشاطها الاقتصادي بسبب الحرب. الا ان هذا الانتعاش الاقتصادي ما لبث ان بدأ يتراجع مع عودة الدول الاوربية الى ممارسة نشاطها الاقتصادي بشكل فعال بعد الحرب مما اغُلق في وجه البضائع الامريكية اسواق كانت ميداناً للنشاط الأقتصادي الامريكي. الامر الذي انعكس سلباً على اسعار المنتجات الامريكية التي بدأت بالتدهور خلال عقد من الزمان الى ان وصلت الى حالة الكساد العام.

ب- هناك من يعيد اسباب الازمة الى توجه الامريكيين بمختلف مستوياتهم الأقتصادية، نتيجة للانتعاش الأقتصادي والرفاهية التي عاشوها خلال وبعد الحرب، الى شراء الاسهم والسندات المالية كونها تحقق لهم ربحاً مضموناً ومريحاً لذلك فقد وضع المستثمرون الأمريكيون كل ما يملكون من اموال في تلك الأسهم وعندما انهارت اسواق البورصة ولاسباب نفسية أو اقتصادية او ما تتعلق بالمضاربات فقد خسروا كل أموالهم نتيجة فقدان قيمة تلك الاسهم مما كان له تداعيات واسعة على حياتهم، كونهم اصبحوا في ليله وضحاها مفلسين يحاولون بيع ما يملكون من مقتنيات ومنازل بأقل الأثمان لادامة حياتهم الأمر الذي دعا العديد منهم الى محاولة الأنتحار.

ت- سياسة العزلة التي اتبعتها الولايات المتحدة الامريكية بعد انتهاء الحرب وخسارة ولسن الأنتخابات ومجئ الجمهورين للسلطة. اذ ادت تلك السياسة الى فقدان الامريكيين للاسواق الاجنبية. مثلاً اصدرت الحكومة الامريكية قانون (فوردني - مكمير) عام 1922 والذي رفعوا فيه الرسوم الكمركية على البضائع الاوربية

الامر الذي دعا الدول الاوربية الى اصدارقوانين الحماية الكمركية التي ادت الى ضعف التبادل التجاري بين الولايات المتحدة واوربا.

الأ ان عدد من المؤرخين لا يؤيد هذا الطرح،اذ يشير هؤلاء الى استمراراندماج الولايات المتحدة مع اوربا اقتصادياً ويدلل على ذلك بمشروع داوز عام 1924 الذي اقر تقديم القروض الى المانيا. وكذلك مؤتمر واشنطن الذي دعت اليه عدد من الدول في 12 تشرين اول 1921 بهدف وضع آلية للمصالح الدولية في الصين ومنها المصالح الامريكية. وهناك (مشروع كيلوك) والذي قدمه وزير الخارجية الامريكي عام 1928 الى الدول الاوربية والذي يقضي بتحريم الحرب كونها تضر بالمصالح الحيوية لجميع الاطراف. واياً كانت الاسباب والتي نترك للاقتصاديين مهمة توضيحها الأ أن ما يهمها هنا هو كيف أثرت هذه الازمة على التطورات السياسية والاجتماعية في الدول الكبرى.

اولاً - الولايات المتحدة الامريكية:

كان من اهم نتائج هذه الازمة هو ارتفاع عدد العاطلين عن العمل في الولايات المتحدة ليصل عام 1930 الى ثلاثة ملايين عاطل ارتفع عام 1933 ليصل الى خمسة عشر مليون عاطل عن العمل. واعلنت المئات من المصارف والشركات افلاسها. وعلى الرغم من محاولة الرئيس الامريكي هوفر أتخاذ الاجراءات المناسبة للحد من تأثير الازمة الأ أن تداعياتها كانت اكبر من قدراته واجراءاته، ومن بينها دعم القطاعات العامه وانشاء (المجلس الاتحادي للتسليف) وغيرها. الأ أن الشعب الامريكي اقتنع بان الحكومة الجمهورية برآسة هوفر غير قادرة على معالجة الازمة لذلك فقد تحول تأييد الشعب الى الديمقراطين الذي قدموا برنامجاً وخططاً بمساعدة عدد من الخبراء الاقتصاديين للخروج من الازمة مع تقديمهم مرشح طموح هو فرانكلين روزفلت[1] والذي تمتع بتأييد شعبي واسع اذ حصل على اصوات 23 مليون من اصل 38 مليون امريكي.

---

(1) هو الرئيس (31) للولايات المتحدة الامريكية ولد عام 1882 اصيب اثناء حياته بمرض شلل الاطفال الا انه استطاع مقاومة هذا المرض مما اعطى لشخصيته بعدا انسانياً جديداً توضح بشكل بارز في اصعب فترة عاشتها الولايات الامريكية (1933 -1945) وكذلك في علاقاته الخارجية مع اوربا والاتحاد اليوفيتي، عن شخصية

وحال وصوله للسلطه شرع بسلسلة من الاجراءات، مستنداً الى تأييد جماهيري واسع، اطلق عليها (النهج الجديد) ويقصد به النهج الذي تضمن عدد من التشريعات الاصلاحية والتي قد تتناقض مع الاسلوب الامريكي المعتمد على (الحرية الاقتصادية) الأ أنه عند تنفيذه وبخطوات سريعة اعطى ثماره التي احس بها الشعب الامريكي.

أ- قامت حكومة روزفلت بتوفير تسهيلات من القروض والمنح في ميدان الزراعة والصناعة وصلت الى ملايين الدولارات بهدف اعادة الحياة الى الشركات والمصانع.

ب- استيعاب اعداد كبيرة من العاطلين عن العمل من خلال تشييد الطرق وانشاء الجسور.

ت- دعم البنوك من خلال ضمان الدولة لمدخرات العملاء الى حد خمسة آلاف دولار للعميل الواحد.

ث- فرض القوانين التي تتيح للدولة السيطرة على الاسهم والسندات والاشراف على تداولها بما لا يسمح بأنهيارها كما حصل عام 1929.

ج- فرض الضرائب المناسبة على افراد الطبقة الغنية والشركات الكبرى.

ح- اصدر الكونغرس قانوناً للاغاثة الزراعية ينص على منح اعانات مالية للمزارعين بشرط ان يلتزمون بالخطط التي اعدتها الحكومة لتنفيذ الاهداف الزراعية بعيدة المدى كالحفاظ على التربة وزراعة المحاصيل الاستراتيجية وغيرها، وكانت الاموال تعطى كالسلف للمزارعين مباشرة عن طريق (رابطه القروض للسلع).

روزفلت انظر: بيير رينوفان وجان باتست، مدخل الى التاريخ العلاقات الدولية، ترجمه فايز نقش، (بيروت - 1982)، ص385.

خ- بذل مساعي خارجية من خلال نشاط وزير الخارجية (كوردل هل) لفتح الاسواق العالمية امام المنتجات الامريكية، لذلك فقد جرت مفاوضات مع عدد من الدول ادت الى عقد مجموعة من الاتفاقيات التي وفرت في سنه واحدة اسواقاً واسعة للمنتجات الامريكية.

د- تخفيض قيمة الدولار بهدف زيادة الصادرات الامريكية الى الخارج ورفع قيمة التعرفة الكمركية على البضايع الاجنبية بهدف منع منافسة تلك البضائع للسلع الامريكية.

ذ- اصدار مجموعة من القوانين من أجل القضاء على البطاله وتنظيم العمل فقد تم اصدار قانون الانعاش الوطني لعام 1933 وفيه انقاص ساعات العمل، رفع الاجور، منع عمل الاحداث. كما تم اصدار قانون عام 1935 للضمان الاجتماعي والذي يحمي العاطلين عن العمل وغير القادرين عليه (كالمسنين).

ثانياً: فرنسا:

عانت فرنسا من آثار الحرب العالمية الاولى والتي ادت الى انهيار شامل في الاقتصاد والبنية الصناعية والزراعية. وقد عملت الحكومات المتعاقبة بعد انتهاء الحرب على اتباع العديد من السياسات والاجراءات الهادفة الى معالجة الاوضاع المتردية في فرنسا. وخلال الفترة من عام 1919 حتى عام 1926 نجحت تلك المحاولات في اشاعة حالة من الانتعاش والنمو الاقتصادي استمر في تصاعد حتى عام 1929.

عندما حصلت حالة الكساد الاقتصادي العالمي نتيجة الازمة الاقتصادية عام 1929 لم يصل تأثيرها بشكل مباشر وسريع الى فرنسا، الأ أنه عندما حلت سنة 1930 بدأت تلك الاثار تنعكس على الاقتصاد الفرنسي. ففي ذلك العام بدأت الاوضاع الاقتصادية بالتدهور من خلال تراجع مستوى التجارة الخارجية نتيجة لاجراءات - الحماية الكمركية - التي اتخذتها الدول الاخرى لحماية اقتصادها كما ان نسبة البطاله بدأت بالارتفاع لتصل عام 1935 لاكثر من مليوني عاطل عن العمل. وحتى العمال

الذين كانوا في العمل كانوا يعملون بشكل وقتي اي انهم معرضين للطرد من العمل في اي وقت، كما ان الانتاج الصناعي تراجع بشكل كبير واصبح يقرب من مستويات الانتاج قبل الحرب العالمية الاولى.

لقد انعكست الاوضاع الاقتصادية المتردية على الواقع الاجتماعي والسياسي:

1. عاشت الحكومات الفرنسية حاله من عدم الاستقرار تمثل بقصر فتره تلك الحكومات وفشلها في تطبيق برامجها الخاصة بمعالجة الاوضاع الاقتصادية. على سبيل المثال للفترة من 1932 - 1934 تعاقبت أربع وزارات، وفي عام 1935 وحده تغيرت الوزارات خمس مرات[1] مما عكس عجز الدولة عن القيام بمهامها وسط التدهور الاقتصادي السائد.
2. تزايد نشاط الحركات السياسية بأتجاهات مختلفة، فهناك المنظمات الفاشية والتي تعمل على تقويض النظام الجمهوري البرلماني في فرنسا واقامة نظام مشابه للنظام الديكتاتوري في ايطاليا. وهناك الشيوعيون الذين يعملون وفق خط الاتحاد السوفيتي في اشاعة الفكر الشيوعي واقامت انظمة شيوعية في اوربا. في عام 1934 استغلت تلك الحركات السياسية حالة الاضطراب والهياج الشعبي بسبب (فضيحة ستافسكي المالية)[2] من اجل تحقيق اهدافها، وحصلت مصادمات بين هذه القوى واجهزة الشرطة.
3. في هذه الاجواء غير المستقرة واحداث الشغب قررت القوى الاشتراكية الاصلاحية والشيوعية تكوين تحالف لمواجهة المد الفاشي المتصاعد في فرنسا واطلق على هذا التحالف (الجبهة الشعبية) ترأسه الاقتصادي الاشتراكي

(1) د. فاضل حسين، المصدر السابق، ص348.

(2) وهي الفضيحة التي نشأت عن بيع المجلس البلدي بمدينة بايون الفرنسية سندات مالية لا قيمه لها بمساعده رجل اعمال يدعى ستافسكي. وبعد اكتشاف الفضيحه انتحر الرجل المذكور، الأ ان المعارضين اتهموا الحكومة بالفساد والرشوه وطالبوا بتغيرات جذريه في النظام السياسي لفرنسا.

اليهودي (ليون بلوم). وقد قدمت الجبهه برنامجها الأصلاحي للشعب في انتخابات عام 1936. كان رد الفعل الشعبي أزاءه ايجابياً أذ تمكنت الجبهة الشعبية من الحصول على اكثر من خمسة ملايين ونصف مليون صوتاً اهلها للحصول على اغلبية في البرلمان وبالتالي تشكيل الحكومة.

4. لم ينه وصول (الجبهة الشعبية) بزعامة بلوم الى السلطة حالة عدم الاستقرار السياسي والاجتماعي،. فقد عارض أصحاب المصانع والمصارف سياسة بلوم الاشتراكية. كما قام العمال بأضرابات واسعة عمت مختلف مناطق فرنسا. الامر الذي ادى الى تفاقم الازمة الاقتصادية وتمثل ذلك بهبوط اسعار الاسهم وقيام اصحاب رؤوس الاموال بتهريب اموالهم الى خارج فرنسا.

لقد حاول بلوم تنفيذ برنامج اصلاحي يقوم على عدد من الاجراءات من بينها:

أ- زيادة اجور العمال.

ب- تعهده بتشريع قوانين الضمان الاجتماعي.

ت- تحديد ساعات العمل الاسبوعية بـ 40 ساعة.

ث- دعم الحركة النقابية.

ج- اصدار تشريعات أقتصادية لاصلاح الاوضاع المالية فضلاً عن دعم الفلاحين ومحاولة انعاش الصناعة.

الأ أنه بالرغم من هذه الاجراءات فقد استمرت حالة التراجع الاقتصادي متمثلة بأنخفاض قيمة الفرنك بالمقارنه مع العملات الاخرى واستمرار هروب الاموال خارج البلاد فضلاً عن انخفاض قيمة الانتاج. لذلك فقد أستمرت الاضرابات العمالية كما استمر كبار الرأسماليين واصحاب المصانع والشركات في الامتناع عن التعاون مع بلوم بأعتباره يمثل خطراً على مصالحهم ويهيء الى تحويل فرنسا الى (اتحاد سوفيتي) آخر. كما عانت (الجبهة الشعبية) من الانقسامات الداخلية تمثلت بأنشقاق الشيوعيين عن الجبهة ورفض التعاون مع بلوم.

لهذا ونتيجة لامتناع مجلس الشيوخ منح الحكومة صلاحيات واسعة لتغير برنامجها ونتيجة الانقسامات الداخلية فيها سقطت حكومة بلوم بعد سنة واحده على تشكيلها. ليعود المعارضون الى السلطة برأسة (ادوارد دالاديه) والتي كان من أبرز مهامها مواجهة الاوضاع الدولية التي استجدت لاسيما ما يتعلق بأنبعاث الخطر الالماني. **ثالثاً: بريطانيا:**

لابد الأشارة في البدء الى حقيقة تاريخية وهي ان بريطانيا تمتلك نظاماً سياسياً ديمقراطياً متماسكاً يعود تأريخه الى اكثر من قرنين من الزمان تمكن خلالها المجتمع البريطاني من بناء نظامه السياسي بعيداً عن العنف.

وقد ساعد على ذلك نتائج الثورة الصناعية التي بدأت في بريطانيا والتي اسهمت في اشاعة نوعاً من الرخاء الاقتصادي ومن ثم الاستقرار السياسي والنضوج الفكري. قد وصلت بريطانيا في نهاية القرن التاسع عشر الى استقرار تام في النظام الدستوري والذي كفل لجميع المواطنين حق التصويت وابداء الرأي والمناقشة السياسية والاقتصادية فضلاً عن قوانيين الضمان الاجتماعي وغيرها.

لذا فأننا لا نرى هزات او اضطرابات داخلية عنيفة في بريطانيا كتلك التي حدثت في الدول الاوربية الاخرى كفرنسا وايطاليا والمانيا. ويعزى بعض المحللين الاوضاع المستقرة في بريطانيا الى واقعها الجغرافي المنعزل عن محيطها الاوربي كون ان بريطانيا هي جزر تحيطها البحار من جميع الجوانب الامر الذي ساعد على اعطاء بريطانيا خصوصية متميزة عن باقي الدول الاوربية[1]. عندما حصل الانهيار المالي في عام 1929 كان حزب العمال في السلطة بزعامة رامزي ماكدونالد. وكما هو الحال في باقي الدول الكبرى عانت بريطانيا من ازدياد نسبة البطالة والتي وصلت الى ثلاثه ملايين عاطل عن العمل

(1) عام 1707 تحول اسم انكلترا الى بريطانيا وذلك لاتحادها مع ويلز واسكتلندا. في عام 1801 تحول اسمها الى المملكه المتحده وذلك لاتحادها مع ايرلندا. الأ أن الجزء الشمالي انفصل عنها عام 1924. ويحيط بحر الشمال بريطانيا من الشرق فيما يحدها المحيط الاطلسي من الغرب.

فضلاً عن هروب الاموال الى الخارج، كما ان التجاره الخارجية بدات تتعطل نتيجة الاجـراءات التـي اتخذتها الدول الاخرى لحماية منتجاتها.

ونتيجة لتـدهور الوضـع الاقتصـادي حـاول ماكدونالـد وضـع آليـة وصـفها بعـض اعضـاء حكومته بالقاسية لمعالجة الازمة. لذلك ونتيجة لتلك الاعتراضات شكل ماكدونالد وزارة ائتلافية مـع حزب المحافظين اطلق عليها وزارة (الاتحاد الوطني) استطاعت الحصول على نصر كبير في انتخابـات عام 1931.

فما هي اجراءات تلك الوزارة لمعالجة الازمة:

1. تخفيض النفقات الحكومية وتبني سياسية (الاقتصاد في النفقات) من خلال الضـغط عـلى خطط الحكومة الخدمية والاعانات وغيرها.
2. اتخاذ عدد من الاجراءات الماليـة كتخفـيض قيمـة الجنيـه والخـروج مـن قاعـدة الـذهب كغطاء للعملة.
3. حث الدول المنضوية تحـت منظمـة (رابطـة الشـعوب البريطانيـة الحـرة) او الكومنولـث بأعطاء المنتجات البريطانية الافضلية على صناعات باقي الدول.
4. محاولة امتصاص البطالة من خلال تطبيق التجنيد العسكري.

المهم في الامر ان الازمة الاقتصادية في بريطانيا لم تصاحبها اضطرابات شعبية عنيفة ولم يكن للاحزاب الشمولية (كالحزب الفاشي او الشيوعي) اي تأثير يذكر في الشـارع البريطـاني. وعـلى الـرغم من بعض الاحتجاجات التي حصلت عام 1932 نتيجة الاجراءات الحكومية الأ أن هذه الاحتجاجات لم يكن لها تأثير كبير نتيجة رسوخ النظام الديمقراطي في بريطانيا.

الفصل السابع

الاوضاع الدوليـــــة بين عامي

1939 -1931

الفصل السابع

الاوضاع الدولية بين عامي 1931 -1939

أولاً: الاحتلال الياباني لمنشوريا

يعود الأهتمام الياباني بالصين الى القرن التاسع عشر عندما بدأت الدولة اليابانية بناء قوتها العسكرية والاقتصادية ليصبح قوة مؤثرة في منطقة الشرق الاقصى تعمل على مد نفوذها الى المناطق الاسيوية المحيطة بها. وترُجم ذلك عملياً عام 1895 عندما اجتاحت القوات اليابانية الاراضي الصينية وتمكنت من احتلال أجزاء واسعة منها، الأ أن التنافس الدولي حول الصين وقف حائلاً امام تطلعات اليابان اذ انذرت كل من بريطانيا وفرنسا وروسيا والمانيا الحكومة اليابانية بوجوب الانسحاب من الاراضي الصينية والا واجهت اجراءات رادعة من قبل تلك الدول الامر الذي اضطر معه اليابان للاستجابة للانذار والانسحاب من الاراضي الصينية(1).

ومع بداية القرن العشرين وفي محاولة منها لاستغلال الاوضاع الداخلية غير المستقرة في الصين لتحقيق اهداف عملت الحكومة اليابانية على احتضان الحركه الثورية الصينية بزعامة (صن يات صن) والتي كانت تعمل بكل الوسائل المتاحة للتخلص من السيطرة الاستعمارية الغربية على الصين وتوحيد البلاد. واعلن صن عن تأسيس حزب

---

(1) ان الانسحاب الياباني من الصين لم يكن مؤشر لضعف القدرات العسكرية اليابانية وانما كونها قد حققت جل اهدافها ومن اهمها السيطرة على كوريا بشكل كامل والتي تمثل المدخل البري لليابان الى اسيا فضلاً على انها رسمت الخطوات اللازمة لتحقيق اهدافها في المستقبل والمتعلقة بمد نفوذها الى كل من منشوريا وسيبيريا
د. ميلاد المقرحي، تأريخ اسيا الحديث والمعاصر، (بنغازي – 1997)، ص53 ؛ عبد الرزاق مطلك الفهد، تاريخ العالم الثالث، (بغداد - 1991)، ص364.

الشعب الصيني على الاراضي اليابانية واقامة جيش وطني صيني بمساعدة من الضباط اليابانيين[1].

في عام 1905 خاضت اليابان حرباً مع روسيا حول منطقة منشوريا الغنية بالموارد، انتهت بأنتصار ياباني تمثل بتمكن اليابان من تأسيس وجود لها في منشوريا من خلال سيطرتها على خط السكك الحديدية في منشوريا الجنوبية مع منحها حق حماية هذا الخط بقوات عسكرية يابانية.

في الحرب العالمية الأولى أجبرت اليابان الصين على توقيع أتفاقية في 14 آيار من عام 1915 حصلت بموجبها على امتيازات مهمة في منشوريا الجنوبية.

وعلى الرغم من موافقة اليابان على نصوص الاتفاقيات التي تم عقدها في مؤتمر واشنطن عام 1922 والقاضية بتعهد اليابان بالانسحاب من الاراضي الصينية استجابة لرغبة الدول الكبرى، الأ أنها استمرت بالضغط على الصين التي تعهدت بالحفاظ على المصالح اليابانية.

عندما حصلت الازمة الاقتصادية العالمية عام 1929 واتجهت الدول الكبرى لمعالجة شؤونها الداخلية فضلاً عن تاثير الازمة على الاقتصاد الياباني الامر الذي دعا الحكومة اليابانية للبحث عن الوسائل الممكنة لمعالجة اثار الازمة. ترافق هذا مع وصول قادة سياسيين ذا نزعة عسكرية الى السلطة في اليابان، كل هذه العوامل دفعت بالحكومة اليابانية بالتخطيط لاعادة السيطرة على منطقة منشوريا الصينية. ولكي تجد مبرراً يعفيها من التزاماتها التي اقرتها في مؤتمر واشنطن عام 1922 فقد استغلت حادثة (قد تكون مفتعلة) تمثلت بأنفجار قنبلة على خط سكك الحديد جنوب منشوريا والذي تديره اليابان

---

1 تمكن صن يات صن بمساعدة اليابان من اسقاط الامبراطورية في الصين واعلان الجمهورية عام1911 الا ان صراعا على السلطة قد نشب في الصين ادى الى ابتعاد صن عن السلطة حتى عام1920 ليعود مجدداً الى السلطة الا انه توفي عام 1925 ليخلفه تشان كاي شك الذي تزعم الجناح الليبرالي في الحرب الاهلية الصينية ضد ماو والتي استمرت حتى عام 1949.

لم تؤدِ الى اي اضرارتذكر ولكنها اعتبرت هذه الحادثة كافية لتبرير اجتياح القوات اليابانية الاراضي الصينية بحجة حماية مصالحها في منشوريا وذلك في 18 أيلول 1931. ولكي يكرس هذا الاحتلال ويصبح تواجد القوات اليابانية فيه دائمي فقد اعلنت اليابان استقلال اقليم منشوريا وعينت فيه حكومة وضعت على راسها احد الامراء الصينيين المعزولين.

لم تتوقف اليابان عند هذا الحد، فقد استمر نشاطها العسكري في الصين وقامت بأحتلال مناطق واسعة من الاراضي الصينية، واصبحت عملياتها العسكرية عند قيام الحرب العالمية الثانية عام 1939 جزء من عملياتها العسكرية لمواجهة الحلفاء.

السؤال هنا ما هو الموقف الصيني والدولي من الاحتلال الياباني وما هي اثاره على السلام العالمي؟

1. بسبب عجزها عن رد الاحتلال عسكرياً فقد لجأت الصين الى عصبة الامم وطالبت بتدخلها لسحب القوات اليابانية من اراضيها. الأ ان العصبه كانت أضعف من ان تتخذ موقف حاسم تجاه الموضوع، واكتفت بتشكيل لجنه دوليه أوصت بأعادة السيادة الصينية على منشوريا. الأ أن اليابان استهانت بقرارات العصبة بل وقررت الانسحاب منها.
2. لم يكن موقف الدول الكبرى بمختلف عن موقف العصبة وذلك من خلال الاكتفاء بالمطالبة المجردة، دون اتخاذ اي اجراءات عمليه، لليابان بالانسحاب من الأراضي الصينية، فالولايات المتحدة التي كانت من اكثر الدول تضرراً من الاجراء الياباني نتيجة لاهمية الاسواق الصينيه للمنتجات الامريكية الا ان الحكومة الامريكية عجزت عن اتخاذ موقف حازم ضد اليابان، لا سيما بعد وصول فرانكلين روزفلت الى السلطة عام 1933 والذي ركز جهوده لاصلاح الاوضاع الداخلية واثار الازمة الاقتصادية ولم يعر اهتماماً الى المشاكل الدولية واكتفى بعدم الاعتراف بالامر الواقع الذي حاولت اليابان فرضه في الصين.

اما الدول الاوربية فكانت جميعها منشغلة بمعالجة ازمتها الداخلية

واكتفت بالاعتماد على عصبة الامم لمعالجة القضية. وحتى بعد ان توسع النشاط العسكري الياباني في الصين ومحيطها الاقليمي لم تتخذ الدول الاوربية الاجراءات اللازمة ضد اليابان فكانت الاوضاع الاوربية والتهديدات الالمانية للسلام الاوربي هو اكثر ما يشغلها خلال المرحله التي سبقت الحرب العالمية الثانية.

3. شجع الموقف الدولي المتراخي من ازمة منشوريا الحكومة اليابانية على الاستمرار في سياستها تجاه الصين وكذلك في اتجاه الدول المحيطة بها. اذ رفعت شعار (آسيا للاسيويين) وبدأت اليابان بتقديم الدعم المادي والعسكري لشعوب المنطقه تحت مبرر مقاومة النفوذ الغربي الذي عدوه استعمارياً.

4. أتفقت السياسه اليابانية هذه مع السياسة الالمانية التي انسجمت معها في امور عده:

أ- طبيعة النظام الديكتاتوري.

ب- النزعة العسكرية التوسعية.

ت- العداء مع الدول الديمقراطية في الغرب.

الامر الذي سمح بظهور محور برلين - طوكيو والذي كان اساساً للتحالف الذي حصل خلال الحرب العالمية الثانية وانظمت اليه ايطاليا لنفس الاسباب السابقة.

ثانياً: الغزو الايطالي للحبشة:

منذ ان توحدت ايطاليا عملت على ان تكون لها حصة في التوسعات الاستعماريه التي اتسمت بها العلاقات الدولية خلال القرن التاسع عشر ومن هذا المنطلق ارسلت بجيوشها الى الحبشة عام 1896 بهدف السيطرة على تلك المنطقة المهمة جغرافياً واقتصادياً. الأ أن القوات الايطالية منيت بهزيمه كبيرة على يد الجيش الحبشي في موقعة عدوة. وفي عام 1911 تمكنت ايطاليا من السيطرة على السواحل الليبية الأ أنهم لم يتمكنوا من السيطرة على جميع الاراضي الليبية لما لقيته القوات الايطالية من مقاومة باسلة من الشعب الليبي.

وعند مجيء الفاشيين الى السلطة عملوا على بعث هذه النزعه التوسعية وبدأ ذلك بقمع المقاومة الليبية والسيطرة على كامل الاراضي الليبية لاسيما بعد القضاء على ثورة عمر المختار واعدامه في ايلول عام 1931.

وفي عام 1935 ونتيجه للموقف الدولي المتخاذل من العدوان الياباني على منشوريا وفشل عصبة الامم في الوقوف بوجه القوة الفاشية لليابان، شجع ذلك موسيلني على القيام بمغامرة عسكرية لاحتلال الحبشه (اثيوبيا) والتي فشلت ايطاليا في السيطرة عليها سابقاً، ففي 3 تشرين اول استغلت ايطاليا حوادث عسكرية بسيطة في المنطقة لترسل جيشها الى الحبشة وتمكنت تلك القوات مستغلة تفوقها العددي فضلاً عن معداتها الحربية الحديثة من تحطيم المقاومه الحبشية واحتلال العاصمة اديس ابابا واعلنت الحبشة جزء من الاملاك الايطالية.

لم يخرج الموقف الدولي من هذا العدوان عن ما عرف عنه من سلبيه في مواجهة الانظمة الديكتاتورية التوسعية، فقد اعلنت عصبة الامم عن رفضها للعدوان الايطالي وقررت في تشرين اول من عام 1935 فرض عقوبات اقتصادية وعسكرية على ايطاليا الا ان هذه العقوبات لم تنفذ بشكل حازم من قبل الدول الكبرى كما ان ايطاليا رفضت قرار العصبة وانسحبت منها.

وقد تزامن الاجراء الايطالي في الحبشة مع تنامي القوة العسكرية الالمانية وتهديدها للسلام الاوربي الامر الذي جعل اوربا تسير بتجاه الانقسام بين انظمة دكتاتورية وتوسعية متوثبة للحرب وبين انظمة ديمقراطية باحثة عن السلام باي ثمن كان.

ثالثاً: الحرب الاهلية الاسبانية:

بدأت الازمة الاسبانية عام 1931 أثر انهيار النظام الملكي الذي كان على رأسه الملك (الفونسو الثالث عشر) بثورة شعبية قادها الاشتراكيون والشيوعيون الذين أعلنوا قيام النظام الجمهوري ولكن الامر لم ينته بهذا الاعلان، اذ انقسم الشعب الاسباني بين مؤيد للنظام الجديد وبين معارض له ومؤيد للملكية كرجال الدين ورجال الاعمال ورفض قادة الجيش، الامر الذي انعكس سلبياً على الاوضاع الاقتصادية والسياسية في البلاد التي اتسمت بعدم الاستقرار والعنف.

في عام 1936 لجأ دعاة عودة الملكية الى الثورة ضد النظام الجمهوري وبرز في هذه الثورة شخصية عسكرية كانت قد أبعدت من قيادة الجيش على يد الجمهوريين الا وهو الجنرال فرانكو[1] الذي كان يشغل منصب رئيس الاركان قبل ان يبعد الى جزر الكناري.

بعد اعلان الثورة انتقل فرانكو الى مراكش وانضم اليه هناك اعداد من الضباط الاسبان، بعدها انتقل الى الاراضي الاسبانية ليقود الثورة. لم تمض عدة اشهر على اعلان الثورة حتى تمكن فرانكو من السيطرة على اكثر من نصف البلاد. جرت حرب اهلية طاحنة في اسبانيا استمرت ثلاث سنوات راح ضحيتها اعداد كبيره من ابناء الشعب

(1) فرانكو: ولد في عام 1892 دخل الاكاديمية العسكرية 1907 وتخرج منها برتبة ملازم عام1912 وخدم في منطقة مراكش تبوء عدة مناصب في الجيش الاسباني وكان اخرها تعينه رئيس لاركان الجيش الاسباني عام1935 ثم حاكماً لجزر الكناري عام1936 وعندما نشبت الحرب الاهلية غادر فرانكو سراً ليقود الجمهوريينً في تلك الحرب

الاسباني فضلاً عن الدمار الهائل الذي حل بالبلاد السؤال المطروح هنا هو عن موقف الدول الكبرى من هذه الحرب؟

1. انقسم الواقع السياسي في اسبانيا الى طرفين متحاربين:

الطرف الاول: الملكيون وهم من كبار الصناعيين وملاك الاراضي ورجال الدين وعدد من القادة العسكريين.

الطرف الثاني: الجمهوريين من شيوعيين واشتراكيين ومجموعات اخرى جمعتهم اما المصلحة او المعتقد.

2. استند كل طرف من هذه الاطراف الى قوة دوليه تمده بالمال والسلاح فقد استند الطرف الاول الى ايطاليا والمانيا وذلك لان لهذه الدول مصالح اقليميه واقتصادية في اسبانيا فضلاً عن رغبتهم في دعم فرانكو لاقامة نظام سياسي فاشي على وفق منهجهم بالتالي يكون عوناً لهم في مواجهة فرنسا وبريطانيا. اما الطرف الثاني فقد استند الى المساعدة الروسية التي كانت تهدف الى خلق قاعدة شيوعية داخل اوربا. اما بريطانيا وفرنسا فلم يخرجا عن موقفهما المتراخية ازاء الاوضاع في اوربا، فقد حاولا اتباع الاساليب السلمية لمنع الاطراف الدولية المتورطة بالحرب من تحقيق اهدافها. فقد اقترحت الحكومة الفرنسية بتبني سياسة (عدم التدخل) في المشكلة الاسبانية، وبالرغم من موافقة جميع الاطراف على هذا الامر الأ أنه كان التزاماً شكلياً فقط. اما عصبة الامم فظلت حبيسة سلبيتها ازاء المشكلات الدوليه ولم يكن لها اي دور في المشكله الاسبانية.

3. ادت الحرب الاسبانية الى تعميق الانقسام الاوربي ووضوح اهداف كل طرف الأ أن بريطانيا وفرنسا كانت تأملان بنجاح الوسائل السلميه في كبح جماح السياسية الالمانية والايطالية في اوربا.

4. انتهت الحرب الاسبانية قبيل نشوب الحرب العالمية الثانية بأنتصار فرانكو ولكن مع تدمير شبه كامل للمدن الاسبانية مع اعداد هائله من الضحايا. واعلن

فرانكو نفسه رئيساً لحكومة ديكتاتورية بعد الغى النظام الجمهوري[1] ولم تشترك اسبانيا في الحرب العالمية الثانية الى اي من الاطراف المتحاربة.

رابعاً: التحول في السياسة الخارجية الالمانية وتداعياته:

منذ العام الاول لتسلم هتلر السلطة في المانيا اتجه لتنفيذ برنامج كان قد هدف اليه وضمنه في كتابه (كفاحي) وفيه ثلاثة نقاط اساسية:

1. الغاء تسويات فرساي واعادة بناء القوة العسكرية الالمانية.
2. ضم الأقاليم التي فيها جاليات المانية الى دولة المانيا لتكون قوية وموحدة.
3. تأمين المجال الحيوي لالمانيا والذي يعني العمل على استمرار بقاء المانيا قوية من خلال توسيع اراضيها على حساب الدول الاخرى لا سيما في اوربا الشرقية، وذلك بهدف تأمين احتياجاتها من الموارد الزراعية والصناعية فضلاً عن السيطرة على المناطق المهمة عسكرياً.

ولتحقيق هذه الاهداف خطى هتلر خطوات مدروسة:

1. في البدء عمل على تطمين الدول الاوربية الى ان ساسته غير عدوانية، فعقد معاهدة عدم اعتداء مع بولندا لمدة عشرة سنوات في 26 كانون الثاني من عام 1934 على الرغم من ان بولندا مسيطرة على اراضي المانية (ممر داينزك).
2. استفاد من استفتاء في اقليم السار التي تسيطر عليه فرنسا، اذ وفق نتيجة هذا الاستفتاء عاد الاقليم الى السيادة الالمانية في 17 آذار عام 1935 مما مثل انتصاراً سياسياً لهتلر[2] وزاد في شعبيته الداخلية، كما انه كان مناسبة لاعلان هتلر على ان علاقاته مع فرنسا سوف تتحسن.

---

(1) استمر حكم فرانكو حتى عام 1974 عندما اعيدت الملكيه الى اسبانيا بعد وفاة فرانكو.

(2) اتفقت المانيا وفرنسا على تسوية خلافاتهما حول منطقة السار بان تدفع مبلغ (900) مليون مارك الى فرنسا كتعويض عن المنشأت الفرنسيه في الاقاليم.

3. في الوقت الذي كان فيه هتلر يهُدأ مخاوف الدول الاوربية شرقاً وغرباً كان يعمل سراً لبناء قدراته العسكرية وقد حاول في بادئ الامر استحصال موافقة الدول الكبرى على اعادة تسليح المانيا الأ أن هذه الدول رفضت هذا الامر لذلك جاء قرار هتلر بالانسحاب من عصبة الامم في 14 تشرين اول عام 1933 احتاجاجاً على هذا الموقف.

ورداً على الخطوات البريطانية والفرنسية في بناء جيوشها خلال عام 1935 فقد اعلن وزير الخارجية الالماني علناً ان المانيا مستعدة الى اعادة بناء قوتها الجوية. في 15 آذار من نفس العام اعلنت فرنسا رفع مدة الخدمة العسكرية الى سنتين وفي اليوم التالي اعلن هتلر ان بلاده قررت فرض الخدمة الالزامية وزيادة الفرق العسكرية الالمانية الى 36 فرقة. الامر الذي اعتبر بداية للتطبيق العملي للسياسة النازية، كون القوة العسكرية ستكون الاداة التي يعمل من خلالها هتلر على تنفيذ برنامجه التوسعي الطموح.

4. كان اعلان هتلر في اذار من عام 1935 بمثابة بالونة اختبار لمدى قدرة الاطراف الاوربية في الوقوف بوجه السياسة الالمانية وقد نجح هتلر في هذا الاختبار. اذا وضحت له صورة اوربا المترددة وغير الحازمة في مواجهة سياسته، مما مثل له اشارة البدء في تطوير مواقفه بأتجاه تحقيق الاهداف التي يعمل على تحقيقها.

لم تخرج السياسة الاوربية عن الشجب والادانة كما حصل في بيان عصبة الامم في 17 نيسان والذي رفض اجراءات هتلرفي خرق التعهدات الدولية.

كما اجتمع قادة كل من فرنسا وايطاليا وبريطانيا في 14 نيسان واخرجوا بيان مشابه لاعلان العصبة دون اتخاذ اي اجراء رادع ضد المانيا.

5. نتيجه للموقف الاوربي المتخاذل والدبلماسية البريطانية (الهادئه) حيال السياسة الالمانية المتصاعدة، وقناعة هتلر بأن فرنسا لن تقدم على عمل عسكري ضد المانيا فقد اعلن انسحابه من اتفاقيات لوكارنو في 27 شباط عام 1936 وذلك بأدعاءه ان فرنسا قد خرقت هذه الاتفاقيات بعقد معاهده تحالف مع روسيا. واعلن في الوقت ذاته عن اعادة تسليح المنطقة المحاذية للحدود الفرنسية الالمانية

في ريتينيا والتي جُعلت منطقة منزوعة السلاح بموجب اتفاقية فرساي والاتفاقيات اللاحقة.

ومرة اخرى يكون الموقف الفرنسي والدولي عاجزاً امام خرق هتلر للاتفاقيات الدولية، ففرنسا فشلت في اتخاذ موقف حازم نتيجة لانقساماتها الداخلية فضلاً عن نصيحة بريطانيا للحكومة الفرنسية بضرورة الاعتدال والحكمة وعدم التورط في حرب جديدة واكتفى مجلس العصبة بشجب قرار المانيا دون اي اجراءات رادعه وقد حاول هتلر من تخفيف وقع قراره من خلال دعوته لعقد معاهدات عدم اعتداء مع فرنسا وبلجيكا لمدة 25 عام ودعوته الى اشاعة روح السلام في اوربا وتعهده بالعودة الى عصبة الامم.

الأ أن ذلك كله يدخل ضمن سياسة هتلر المخادعة في تضليل الدول الكبرى ومنعها من اتخاذ موقف موحد رادع ضد سياسته.

6. نتيجه لظهور المانيا قوية عسكرياً وسياسياً مقابل ضعف الدول الاوربية الاخرى نجحت الدبلوماسية الالمانية في اقامة علاقات خارجية هي اشبه ما تكون تحالفات او محاور:

أ- في 11 تموز 1936 عقدت اتفاقية مع النمسا تتضمن تنسيق المواقف بين الدولتين مما يعني اعترافاً نمساوياً بتصاعد قوة المانيا وانها باتت تشكل خطراً يجب تجنبه.

ب- اقامة محور روما - برلين، اذ ان النظامين متشابهين بعدة امور عقائدياً وسياسياً لذلك رأى الجانبان ان ينسقا موقفهما بالشكل الذي يضمن تحقيق جميع الاهداف التي يطمحون اليها. وكان ذلك في تشرين اول عام 1936 عندما اتفق الطرفان على مجموعه من القضايا تخص تأييد كل طرف لمطالب الطرف الاخر في مناطق اوربا والبحر المتوسط. اي انه كان (اتفاق لتنسيق المواقف واقسام النفوذ

بينهما)[1] وكان التعاون بين الجانبين واضحاً في مواقف كثيرة منها الحرب الاهليه الاسبانيه.

ت- اقامة محور برلين - طوكيو وذلك من خلال اقامة حلف بينهما في 25 تشرين ثاني 1936 واعلن ان هذا الحلف هو لمقاومة الشيوعيه العالمية في اسيا واوربا.

ضم النمسا

تعود العلاقة بين المانيا والنمسا الى فترات تأريخية سابقة لا سيما ان الاصول العرقية لعدد كبير من الشعب النمساوي هي المانيا بالاصل حتى ان الزعيم الالماني هتلر من مواليد احدى القرى النمساوية[2]

وقد كانت من بين اهداف هتلر ضم النمسا الى الاراضي الالمانية وكان ذلك بموجب خطوات محدوده ومدروسة:

1. في عام 1931 وقعت المانيا والنمسا اتفاقية للتعاون الاقتصادي لا سيما ما يتعلق بالغاء الحواجز الكمركية على الدولتين، وكان ذلك تعبيراً عن رغبة الشعبين بالوحدة بين الدولتين ونظراً لردود الفعل الاوربية المناوئه لهذا التقارب فقد جمد عند حد التعاون الاقتصادي.

بعد وصول هتلر الى السلطة والقيام باجراءاته الصارمة داخل المانيا حصل رد

---

(1) رياض الصمد، مصدر سابق، ص305,

(2) في عام 1815 كانت الولايات الالمانية والنمسا ضمن الاتحاد الجرماني الذي تترأسه النمسا بزعامة مترنيخ وتنافسها على تلك القيادة ولاية بروسيا التي كانت تطمع بتزعم الولايات الالمانية بعيداً عن النمسا، اذ انشأت بروسيا اتحاداً كمركرياً بين الولايات الالمانية ولم تدخل النمسا فيه وذلك في عام 1851. وعند اعلان الوحده الالمانية عام 1871 اصبحت المانيا القيصرية دولة مستقلة عن امبراطورية النمسا والمجر الا ان التعاون بينهما استمر لاسيما خلال الحرب العالمية الاولى.

فعل لدى الشعب النمساوي ضد اي عملية اتحاد او تقارب مع المانيا خشية ان تشملهم تلك الاجراءات.

الا ان هتلر لجأ الى دعم الحزب النازي النمساوي ودفعه للقيام بأنقلاب عسكري في النمسا عام 1934 الأ أن هذا الانقلاب فشل بالرغم من اغتيال رئيس الحكومة النمساوية (دولفوس) وذلك نتيجة للموقف الحازم الذي اتخذ نمساوياً واوربياً ضد محاولات هتلر للسيطرة على النمسا.

2. عام 1936 تغيرت الاوضاع الداخلية في اوربا لصالح المانيا لا سيما بعد التخاذل الدولي ازاء الاحتلال الياباني للصين والايطالي للحبشة وكذلك ازاء اعادة تسليح المانيا مما اجبر القادة النمساويين (من اجل التخلص من الضغوط الالمانية) على توقيع اتفاقية مع المانيا في 11 تموز تعهد فيها الطرفان على التعاون فيما بينهما، وكذلك العفو عن النازيين في النمسا.

ليس هذا فحسب وانما تعهدت النمسا بموجب هذا الاتفاق بالسماح للدعاية النازيه بان تنشط في النمسا، والموافقة على تعيين وزيرين من اعضاء الحزب النازي النمساوي في الحكومة النمساوية.

3. وعلى الرغم من اعتقاد الحكومة النمساوية انها قد تمكنت من ابعاد الخطر الالماني عن النمسا الأ أنه كان في حقيقة الامر الخطوه الاولى في ظم المانيا للنمسا.

4. في شباط من عام 1938 اتخذ هتلر خطوات عملية اكثر حده لتحقيق هدف ضم النمسا. فقد أمر هتلر رئيس الحكومة النمساوي (شوشينغ) بضرورة تعيين (النازي انكارت) وزيراً للداخلية مهدداً بأتخاذ تدابير عسكرية ضد النمسا في حالة الرفض. الامر الذي اجبر الحكومة النمساوية على الموافقة على ذلك.

5. شعر (شوشنغ) بأن هتلر يسير بأتجاه ضم النمسا بطريقة او بأخرى لذا فقد دعا الشعب النمساوي الى الاختيار بين الالتحاق بالمانيا او التمسك بالاستقلال

وذلك من خلال استفتاء قرر اجراءه في 13 آذار 1938. الأ أن هتلر ومـع اعتقـاده الراسـخ بان الشعب النمساوي سيرفض الاتحاد مع المانيـا فقـد ضـغط بقـوة لمنـع هـذا الاسـتفتاء مهدداً بالاجتياح العسكري. لذا فقد عدلت الحكومة النمساوية عن قرار اجراء الاستفتاء.

6. ونتيجة للاذعان المستمر من قبل الحكومة النمساوية لمطالب هتلـر ولاعتقـاد الاخـير بـأن اوربا اضعف من ان تقف بوجهه فقـد وجـه انـذاراً بتعيـين انكـارت المـوالي لهتلـر رئيسـاً للحكومة.

وعند استجابة الرئيس النمساوي لهذا الطلب عين انكارت رئيساً للحكومة، كان اول عمـل قام به الاخير هو طلبه من الجيش الالماني دخـول النمسـا والـذي حصـل في 13 آذار 1938 واعلن هتلر رسمياً ضم النمسا الى المانيا.

7. وكعادة الدول الاوربية وعصبة الامم فقد كـان موقفهـا ضـعيفاً ومتخـاذلاً نتيجـة لعوامـل عديدة تتعلق بمشاكل بريطانيا وفرنسا الداخلية، فضلاً عن ضعف العصـبة وعـدم قـدرتها على فعل اي شيء ازاء الاوضاع الدولية المتصاعدة في التأزم.

كما أن ايطاليا التي كانت تدافع عن النمسا قد دخلت في حلف مع المانيا اعتباراً من تشرين اول عام 1936 كان من اهم نتائجه تخلي ايطاليا عن منطقة وسط اوربا لصالح النفوذ الالماني.

سياسة المانيا ازاء جيكوسلفاكيا

تأسست دولة جيكوسلفاكيا على انقاض امبراطورية النمسـا والمجـر التـي جـزءت الى عـدة دول وفـق اعتبـارات قوميـة او سياسـية او جغرافيـة. وقـد ضـمت الدولـة عـدد مـن

الاقاليم النمساوية مثل سيلزيا ومورافيا وبرهيميا. كما ان جيكوسلفاكيا ضمت اكثر من ثلاثة ملايين الماني يقطنون اقليم السوديت وهو محاذي للحدود مع المانيا[1].

وقد اصبح موضوع السوديت اشبه بمسمار جحا الذي سوف يستغله هتلرالى اقصى مدى لتحقيق احلامه التوسعية في هذه الدولة وفق خطوات محدودة:

1. دعم هتلر اولاً الحزب النازي الذي تأسس في السوديت بزعامة (سونارد هنلين) واصبحت له مكانة كبيرة في جيكوسلفاكيا سياسياً واعلامياً. وقد دعا هذا الحزب عام 1938 باستقلال السوديت عن جيكوسلفاكيا. وكان دعم هتلر لهذا الحزب ناتج عن محاولة خلق المبررات الكافية للتدخل في جيكوسلفاكيا بحجة حماية الالمان في هذه الدولة كون ان تدخله المباشر قد يثير الدول الاخرى التي لها معاهدات ثنائية مع الجيك.
2. في ايلول من عام 1938 اعلن هتلر انه عليه مساعدة الالمان في اقليم السوديت من اجل حقهم في تقرير المصير. وان على جيكوسلفاكيا الموافقة على مطالبهم.

لقد اثبتت فرنسا عجزها عن الوقوف بوجة السياسة الالمانية التي أخذت بالتصاعد في مسعاها للتوسع والهيمنة داخل اوربا وكان الموقف الفرنسي هذا نابعاً من عدة اسباب من بينها عدم اطمئنانه لمواقف الدول الاخرى التي قد تخذل فرنسا في حالة نشوب حربا مع المانيا. كما ان فرنسا كانت في وضع داخلي منقسم وتعيش ازماتها السياسية والاقتصادية التي اضعفت من موقفها. لذلك فقد وافقت فرنسا على تفويض بريطانيا للقيام بدور الوسيط لحل المشكلة.

3. في 12 ايلول 1938 تصاعد العنف في اقليم السوديت الامر الذي دعا هتلر الى تهديد جيكوسلفاكيا بأمكانية استخدامه للقوة العسكرية اذا لم يعطي الالمان حقوقهم في السوديت. مما استدعى تدخل مباشر من رئيس الوزراء البريطاني

(1) A. M. Gathorne – Hardy, short history of international Affairs 1919 – 1939, (London – 1963), p350.

(تشمبرلن) الذي طلب لاجتماع مع هتلر لايجاد حل للقضية. وقد عقد هذا الاجتماع في 15 ايلول في المانيا.

4. في هذا الاجتماع طلب هتلر من ضيفه موافقة بريطانيا على ضم اقليم السوديت الى المانيا وان هذا المطلب سيكون الاخير بأعتبار أن المانيا قد تمكنت من حل جميع مشاكلها مع الدول المجاورة لها. واذا لم توافق بريطانيا على ذلك فان المانيا ستكون مضطرة للجوء الى القوة لحل الازمة. وقد وعد رئيس وزراء بريطانبا هتلر بأستحصال موافقة فرنسا وجيكيا حول الامر.

5. وبعد محادثات بريطانية - فرنسية وافقت الحكومتان في 19 ايلول على اصدار مذكرة تطالب الحكومة الجيكية باجراء استفتاء في المناطق ذات الاكثرية الالمانية استعداداً لتخلي عنها. وكتعبير عن خطورة الموقف والتخوف الكبير الذي تشعر به فرنسا وبريطانيا من احتمال نشوب الحرب في اوربا فقد وجهت هذه الدول انذاراً الدول الى حكومة (براغ) في جيكوسلفاكيا بضرورة التخلي عن السوديت والأ فأنها لن تلقى مساعدتها في حالة نشوب حرب مع المانيا. انه لامر غريب ان يوجه الانذار الى جيكوسلفاكيا ولم يوجه الى المانيا التي تهدد بالعدوان على دولة مستقله ذات سيادة. وقد رضخت براغ للانذار ووافقت على حل مشكلة السوديت.

6. في 23 ايلول اجتمع تشمبرلن مرة اخرى مع هتلر لابلاغه بموافقة جميع الاطراف لحل الازمة الأ أن تشمبرلن فوجئ بمطالب جديدة من هتلر تخص كل دوله جيكوسلفاكيا الامر الذي ادى الى فشل اللقاء وتصاعد وتيرة المواجهه بعد اعلان جيكوسلفاكيا التعبئة العامة ورد هتلر على ذلك بألاعلان انه سوف يعلن التعبئة العامة والاستعداد للحرب اذا لم تنفذ مطالبه. وشعر العالم ان الحرب واقعة لا محال.

7. اقترح رئيس وزراء بريطانيا كحل امثل عقد مؤتمر يضم جميع الاطراف الدولية المعنية لحل الازمة فأشترط هتلر ان يكون الاجتماع في مدينة ميونخ الالمانية وان لا يدعى اليه مندوب جيكي.

8. في 29 ايلول عقد المؤتمر في ميونخ بحضور موسوليني، هتلر، تشمبرلين ورئيس وزراء فرنسا دالاديه. وتم الاتفاق على ضم المناطق التي تسكنها اغلبية المانية الى المانيا مع الموافقه على اجراء استفتاء على المناطق التي يسكنها الالمان بنسبة 50%.

9. كان اجتماع ميونخ المسمار الاخير الذي دق في نعش السلام الاوربي والعالمي بشكل عام لانه اعطى دليلاً واضحاً لهتلر بضعف فرنسا وتردد بريطانيا في الوقوف بوجه اي عمل يقوم به مهما كان، مما شجعه في المضي قدماً وبسرعه نحو تحقيق حلمه بالسيطرة على كامل اوربا. فكان المؤتمر هزيمة لفرنسا ولجميع المواثيق والتعهدات التي تم الاتفاق عليها لمنع عودة المانيا الى سياستها العدوانية.

10. تمكن هتلر في الشهور القليلة التي تلت اجتماع ميونخ من التوصل الى عدد من الاتفاقيات والتسويات والمناورات مع دول اوربية انتهت الى اختفاء دولة جيكوسلفاكيا من الخارطة بعد ان سيطر هتلر على مناطق بوهيما ومورفيا وذلك في 5 آذار من عام 1939 وضمها الى الاراضي الالمانية كما حصلت بولندا على قسم من اراضيها، واعلنت سلوفاكيا (وهي جزء من دولة جيكوسلفاكيا) استقلالها وطلبت من الحكومة الالمانية رسمياً حمايتها، - الامر الذي مثل انتصاراً معنوياً كبيراً لهتلر شجعه على الاقدام بأتجاه اتخاذ الخطوة الاخطر في اهدافه التوسعية الا وهي احتلال بولندا.

الفصل الثامن

الأزمـــه البولندية وأنـــدلاع

الحرب العالميه الثانية

الفصل الثامن

الأزمه البولندية وأندلاع الحرب العالميه الثانية

اولاً: الأوضاع الدولية عام 1939

جاءت نتائج مؤتمر ميونخ، التي اعطت أنطباعاً بأن الجبهة البريطانية والفرنسية تريد ارضاء هتلر بأي ثمن من أجل أبعاد شبح الحرب عن اوربا والحفاظ على أوهام السلام، بنتائج عكسية لما هدفت اليه الدول الديمقراطية التي توقعت ان طموحات هتلر قد يتم ترويضها على الرغم من ان الثمن كان تفكيك دولة ذات سيادة هي جيكوسلفاكيا.

لقد شجع هذا الانطباع هتلر على التمادي في سياسته التوسعية في اوربا اذ انه بدأ بالسيطرة على مناطق لا يوجد فيها سكان المان، بعد أن كانت مبرراته تشير الى انه يعمل على السيطرة على المناطق في النمسا وجيكوسلفاكيا لان فيها أغلبية المانية. إلأ أنه في عام 1939 سيطر على بوهيما وسلوفاكيا وهي ليست المانية (لا جغرافياً ولا ديمغرافياً).

عندها ايقنت كل من بريطانيا وفرنسا ان هتلر ماض الى السيطرة على جميع اوربا وان هدفه القادم قد تكون فرنسا أو بريطانيا أو أي دولة أوربية اخرى لذا أشار رئيس الوزراء البريطاني تشمبرلن في 17 آذار من عام 1939 (أن التفاوض مع هتلر اصبح مستحيلاً لانه لابد في النهاية من الحرب ... والحرب افضل من الاستسلام)[1]

لذا أتخذت بريطانيا وفرنسا عدة خطوات عملية للوقوف بوجه هتلر الذي أستعد عسكرياً واقتصادياً للحرب، أذ بلغ عدد جيوشه أكثر من مليونين جندي * مع تفوق في

(1) رياض الصمد، مصدر سابق ص372

* في الوقت الذي كان فيه الجيش الفرنسي لا يتجاوز 750 الف جندي

المعدات العسكرية بناها هتلر خلال السنوات القليلة السابقة في جميع اصناف قواته لا سيما الطائرات والمدرعات، مع بناء شبكة مواصلات متطورة تربط شرق المانيا بغربها[1] ومن تلك الخطوات البريطانية - الفرنسية:

1. اصدرت الحكومتان البريطانية والفرنسية تصريحات بضمان استقلال كل من بلجيكا وهولندا وبولندا وذلك في نيسان من عام 1939 ويتضمن هذا الضمان تقديم المساعدة الممكنة ضد اي عدوان خارجي.
2. توقيع معاهدة دفاعية مع تركيا بهدف السيطرة على المناطق الاستراتيجية لاسيما مضايق البحر الاسود وذلك في 11 ايار 1939. وقد اشار الأتفاق الى تقديم المساعدة والعون بين الأطراف الثلاثة في حالة العدوان الخارجي.
3. المساعي البريطانية الفرنسية لكسب الاتحاد السوفيتي الى جبهتهما اذ جرت مفاوضات ثلاثية كان الهدف منها هو ضمان استقلال بولندا وأقامة تحالف بينهما ضد الخطر الفاشي والنازي في شرق اوربا. الأ أن هذه المفاوضات فشلت بسبب الأطماع السوفيتية في بولندا فضلاً عن أزمة الثقة المتوارثه بين الدول الديمقراطية والدولة السوفيتية والتي تعود الى حقب سابقة.

أما المانيا فقد اتخذت من جانبها اجراءات عدة كانت ذا نتائج مهمة وحاسمة في اندلاع الحرب العالمية الثانية.

1. أقامت تحالف ثنائي مع ايطاليا في 22 ايار عام 1939 والذي أطلق عليه (بالتحالف الفولاذي) وتضمن الاتفاق المشاركة العسكرية الفعالة للطرفين في اي حالة حرب يشترك فيهما احد الاطراف اي انه تحالفاً هجومياً. كما تضمن الأتفاق التنسيق السياسي والأعلامي بين الطرفين في المشاكل الدولية.
2. بعد فشل المفاوضات بين بريطانيا وفرنسا مع الاتحاد السوفيتي سعى هتلر الى جر السوفيت الى مفاوضات تهدف الى عقد تحالفاً ثنائياً معهم أو على الاقل

(1) بييررينوفان، المصدر السابق ص580

تحييد موقفهم في حالة اندلاع الحرب. وقد وجد السوفيت ان العرض الالماني كان مغرياً بما فيه الكفاية ليوافقوا على اتفاقية عدم اعتداء بين الطرفين لمدة عشر سنوات وذلك في 21 آب من عام 1939. تضمن الأتفاق فقرة خاصة بالتزام الحياد في حالة دخول اي طرف حرباً مع دولة اخرى.

وقد كان العرض الالماني الذي اغرى السوفيت هو البروتوكول السري الملحق باتفاقية عدم الاعتداء المعلنة ويقضي هذا البروتوكول بتقسيم بولندا بين المانيا والاتحاد السوفيتي، اذ حقق هذا الاتفاق حلماً سوفيتياً طلما طالبت به الحكومة السوفيتية.

لقد عد المؤرخون الاتفاق الالماني السوفيتي السبب المباشر في تأزيم الاوضاع في اوربا وايصالها الى حالة الحرب، اذ اعطى هذا الاتفاق فضلاً عن تخاذل الدول الديمقراطية في ردعها للسياسة الالمانية فيما أطلق عليه (سياسة الأسترضاء) المبرر والدافع لهتلر لكي ينفذ خطة في بولندا على الرغم من اعلان بريطانيا وفرنسا ضمان استقلال تلك الدولة، الأمر الذي سؤيدي الى اعلان الحرب بين الدول الاوربيه وفقاً للاتفاقيات والتحالفات التي تمت عام 1939.

ثانياً: احتلال بولندا

كان من بين قرارات مؤتمر فرساي اعطاء ميناء (داينزك) مع ممر اقتطع داخل الاراضي الالمانية لايجاد أتصال بري بين الميناء والاراضي البولندية (انظر الخارطة رقم 1). الامر الذي جعل استعادة الميناء والممر حجر زاوية في السياسة الالمانية إلأ أن هتلر وفي محاولة منه لتهدئة المخاوف الاوربيه من سياسة اعادة تسليح المانيا وكذلك استعداداً لتحقيق هدفه في ضم اراضي النمسا وجيكوسلفاكيا فقد عقد مع بولندا عام 1934 اتفاق عدم اعتداء بين الدولتين لمدة عشر سنوات الا انه وبعد ان تمكن من تحقيق جميع اهدافه داخل المانيا وخارجها التفت الى هدفه المهم في اعادة توحيد الاراضي الالمانية من خلال اعادة ميناء وممر (داينزك) وفق الخطوات التالية:

- في تشرين الاول من عام 1938 ثارت اضطرابات في بعض المناطق البولندية التي تسكنها اقليات المانيه (ويعتقد ان هتلر لم يكن ببعيد عن اثارة هذه الاحداث). ادت هذه الاضطرابات الى نزوح اعداد من سكان هذه المناطق الى المانيا.

- استغلت المانيا هذه الازمة للمطالبة بأعادة الميناء والممر الى المانيا وذلك من خلال مفاوضات مباشرة مع بولندا. وعلى الرغم من هذه المفاوضات فقد تخوفت بولندا من النوايا الالمانية نتيجة النشاط العسكري البحري الالماني في بحر البلطيق واستعدادها للحرب.

- في 6 نيسان اتفقت بولندا مع بريطانيا على ضمان الاخيرة لاستقلال بولندا كما فعلت الامر ذاته فرنسا في 13 نيسان.

- ردت المانيا على هذه الاتفاقيات بالغاء اتفاقيتها مع بولندا لعام 1934 (اتفاقية عدم الاعتداء) مما يعني رفع الحواجز امام المانيا للاعتداء على بولندا.

- تمكنت المانيا من ضمان حياد الاتحاد السوفيتي من خلال الاتفاقية المشار اليها سابقاً (23آب 1939).

- في 30 آب 1939 رفض هتلر استقبال المندوب البولندي الذي جاء للتفاوض حول ايجاد الحلول المناسبه للازمه.

- مع الاول من ايلول أجتاحت القوات الالمانية الاراضي البولندية بجزءها الغربي. وعندما رفضت المانيا الانذار الفرنسي والبريطاني بالانسحاب من بولندا اعلنت الدولتين في 3ايلول الحرب على المانيا لتبدأ اكثر الحروب تدميراً ودموية في التأريخ البشري الحديث المعاصر.

- في 17 ايلول دخلت الجيوش السوفيتية الجزء الشرقي من بولندا تنفيذاً للاتفاقيه المبرمه مع المانيا ليتم احتلال جميع الاراضي البولندية مع نهاية شهر ايلول.

ثالثاً: الحرب العالمية الثانية ومراحلها

لا بد اولاً اعطاء ايجاز عام للأسباب التي ادت الى اندلاع الحرب:

1. تكمن جذور الحرب العالمية الثانية في التسويات التي تمت في معاهدة فرساي، لاسيما ما يتعلق منها في المانيا اذ شعر الالمان بالاذلال والمهانة فضلاً عن شعورهم بالغبن لاقتطاع اجزاء من اراضيهم الى الدول المنتصرة في الحرب والى بولندا فضلاً عن الاستيلاء على المستعمرات الالمانيه. مما اوجد تصميماً لدى الالمان وعلى رأسهم الحزب النازي الذي تزعمهُ هتلر على الانتقام لهذا الاذلال وكذلك على اعادة جميع الاجزاء التي اقتطعت من المانيا.

2. شخصية هتلر الطموحه وايمانه بسياسة (المجال الحيوي) الذي وضعها الألماني هاوسهوفر وتبناها هتلر والتي تقض بالتوسع العسكري الألماني لضمان قوة المانيا وكفائتها الاقتصادية وتفوقها العنصري وفي ذلك يقول هتلر: (أن الأمر يتعلق بمجالنا الحيوي في الشرق وبضمان تموينا ...)[1].

3. نمو الانظمة الديكتاتورية في ايطاليا والمانيا واليابان وتركيز سياستها على تقوية جيوشها على التوسع الأستعماري مما أوجد ما أطلق عليه محور برلين - روما - طوكيو. في الوقت ذاته كان التخاذل والانقسام يسود القوتين الاساسيتين في اوربا وهي بريطانيا التي حاولت عزل نفسها عن المشاكل الاوربية والانشغال بمعالجة اوضاعها الاقتصادية وفرنسا التي عانت من انقسامات داخلية حادة والازمات الأقتصادية والاجتماعية والسياسية والتي ادت الى ضعف موقفها وضعف أستعدادتها العسكرية للمواجهة. واعتقد قادتها أن (خط ماجينو) الذي بنيّ على الحدود االالمانية الفرنسية كافياً لصد اي هجوم الماني الأمر الذي اثبت خطأه.

4. ابتعاد الولايات المتحدة عن المشاكل الدولية وتركيزها على أوضاعها الداخلية الامر الذي سمح للانظمة الديكتاتورية ان تبدو قوية امام الانظمة

(1) بيير رينوفان، المصدر السابق، ص753.

الديمقراطية الراغبه بالسلام في اوربا والتي بدأ موقفها ضعيفاً بغياب القوة الامريكية الاقتصادية والعسكرية.

5. فشلت عصبة الامم في معالجة القضايا الدولية لاسيما وقف الأعتداءات التي قامت بها ايطاليا في الحبشه واليابان في الصين والمانيا في اوربا مما كان له اثراً سلبياً على مفهوم الأمن الجماعي الذي أتخذته شعاراً لها نتيجة لغياب الوسائل الفاعلة والارادات الدولية لتنفيذ هذا المفهوم، فضلاً عن ذلك فقد كانت العصبة اداة استعمارية بيد الدول الكبرى لتثبيت سيطرتها على العالم. على سبيل المثال تشريع سياسة الانتداب التي اضفت صفة قانونية على الاحتلال الاستعماري لدول عديدة كاالعراق وسوريا ولبنان وفلسطين وغيرها.

6. سياسة التهدئة والاسترضاء التي اتبعتها كل من بريطانيا وفرنسا أتجاه السياسة العدوانية الالمانية رغبة في ابعاد شبح الحرب المدمرة عن اوربا (لا سيما في مؤتمر ميونخ) الامر الذي جعل هتلر يقتنع بان هذا الموقف الاوربي ما هو الا ضعف إو خوف من القوة الالمانية. لذا كان ذلك دافعاً قوياً له لتجاوز جميع الاتفاقيات والالتزامات الدولية او الاخلاقية في الأستمرار بسياسة الهيمنة على اوربا.

7. الأتفاقية الالمانية السوفيتية (آب 1939) التي أمنت لالمانيا جبهتها الشرقية واعطتها الدافع المادي والمعنوي لاحتلال بولندا. على الرغم من ان سياسة هتلر ازاء الاتحاد السوفيتي كان تكتيكاً مرحلياً هدف من خلاله تجاوز المرحلة الاولى من الحرب بالسيطرة على اوربا ومن ثم الالتفات الى الاراضي السوفيتيه لأكمال خطته بالسيطرة على اوربا والشرق الاوسط وهي المنطقة التي أطلق عليها علماء الجيوبولتكس (قلب العالم).

وسياسة هتلر هذه واضحة للمتتبع التأريخي للأحداث فقد عقد هتلر معاهدة عدم اعتداء مع بولندا عام 1934 لتهدئة مخاوفها ومخاوف الدول الاوربية من السياسات

الالمانية الداخلية والخارجية. ونرى نفس السياسة اتبعها مع النمسا لحين احتلالها. الامر كذلك مع بريطانيا وفرنسا التي وقع هتلر معها معاهدة عدم اعتداء لمدة عشر سنوات بعد مؤتمر ميونخ ليحصل على طموحاته في جيكوسلفاكيا وبعدها اتفاقية مع بولندا والمجر حول تقسيم جيكوسلفاكيا، واخيراً مع الاتحاد السوفيتي. وفي كل هذه الحالات لم يلتزم هتلر بتعهداته وانما كانت تلك التعهدات لاهداف مرحلية سرعان ما يخرقها بعد ان تنتفي الحاجة منها.

مراحل الحرب

المرحلة الاولى: 1939 - 1941

بدأت الحرب رسمياً في 3 ايلول من عام 1939 عند اعلان كل من بريطانيا وفرنسا الحرب على المانيا. الأ أن الاشهر الاولى لاعلان الحرب لم تشهد معارك مهمة بين الاطراف المذكورة وذلك لاعتبارات عديدة:

أ- المحاولات الدولية لتطويق الازمة وانهاء حالة الحرب قبل ان تتفاقم. اذ حاول هتلر كسب الوقت (كما هي سياسته دائماً) بحلول مرحلية من خلال عروض السلام التي تقدم بها الى بريطانيا، الأ أن رئيس وزراء بريطانيا تشمبرلن اعلن في 12 تشرين اول من عام 1939 (ان عروض السلام الالمانية جاءت بعد اعتداءات غير مقبولة ... كما انها غامضه وغير مدعومه بضمانات حقيقية لرفع الظلم عن بولندا وجيكوسلفاكيا ...)[1]. اما الرئيس الفرنسي فأجاب على مبادرات المانيا للسلام (ان السلام القائم على العدل هو الوحيد المقبول لدى فرنسا، وان اي عرض لا يحقق العداله فهو سلام كاذب وزائل)[2]

(1) د. رياض الصمد، المصدر السابق، ص395.

(2) المصدر نفسه، ص396.

ب- ان الدول المتحاربة لم تكمل استعداداتها الحربية بشكل كامل لا سيما فرنسا وبريطانيا وكذلك ايطاليا التي لم تكن مستعدة بشكل كاف لانتشار قواتها في افريقيا.

الأ أن الاشهر الاولى من عام 1940 شهدت نشاطاً عسكرياً متصاعداً كان بمجمله لصالح القوات الالمانية. لذا يمكن اجمال العمليات العسكريه في تلك المرحلة كما يلي:

1. تواصل التعاون السوفيتي الالماني في السيطرة على مناطق عديدة في اوربا لاسيما في منطقة بحر البلطيق. اذ تمكنت الحكومة السوفيتية من اجبار استونيا ولتوانيا ولاتيفيا على اقامة قواعد عسكرية على اراضيها. وانتقلت الحكومة السوفيتية بأتجاه فلندا التي احتلتها في 3 تشرين الثاني بعد رفضها في نيسان 1940 لمطالب السوفيتية.
2. قيام المانيا بأحتلال الدنمارك والنروج وذلك لقطع الطريق امام الخطط البريطانية لمحاصرة المانيا. وبالرغم من محاولات الحلفاء مقاومة الاحتلال الالماني الأ أن هذه المحاولات فشلت في انقاذ النروج من الاحتلال.
3. في آيار من عام 1940 أتسع نطاق الحرب عندما إجتاحت القوات الالمانية الاراضي البلجيكية والهولندية بهدف الالتفاف على الاراضي الفرنسية واحتلالها. اذ ان فرنسا كانت تحتمي وراء خط دفاعي حصين (خط ماجينو) بني على الحدود الفرنسية الالمانية وقد ادى هذه الالتفاف الى انهيار الجيش الفرنسي وانتفاء اهمية هذا الخط واندفاع القوات الالمانية بتجاه باريس.
4. في حزيران من عام 1940 تشكلت حكومة فرنسية جديدة وافقت على توقيع الهدنة مع المانيا، وهي الحكومة التي ترأسها (بيتان) واتخذ من مدينه (فيشي) مقراً لها. وحاولت انقاذ ما يمكن انقاذه من الاراضي الفرنسية. لقد كانت شروط الهدنة مذله اذ تضمنت سيطرة المانيا على الاجزاء الشمالية من فرنسا المطلة على

المحيط الاطلسي وتجريد الجيش الفرنسي مـن السـلاح وتسريـح اغلـب افـراده مـع تعهـد فرنسي بدفع نفقات الاحتلال الالماني.

ان الهزيمة الفرنسية كانت متوقعة لاسباب عديـدة تتعلـق بالانقسـامات الداخليـة والواقـع الاقتصادي المتردي وضعف القدرات العسكرية بالمقارنة مع الاستعدادات العسكرية الالمانية.

5. في حزيران من عام 1940 اعلنـت ايطاليـا الحـرب الى جانـب المانيـا بعـد ان ايقنـت مـن التفوق الالماني وتنفيذاً للتعهدات المشتركة.

6. بعد ان تمكنت من احتلال فرنسا وسيطرتها على معظم اوربا اتجهت الى الهدف الاهم في خطتها وهو اسقاط بريطانيا واخراجها من المعادلة العسكرية. في هذه الاثناء تشـكلت في بريطانيا حكومه وحده وطنية برأسة ونستن تشرشل وأخذت على عاتقها مواجهة العدوان الالماني ورفعت شعار (النصر او الموت بكرامة). وكانت المانيـا قـد اعـدت خطـه عسـكرية اطلق عليها (اسد البحر) لاحتلال بريطانيا (التي لم تتعرض للاحتلال طيلة تأريخها).

وبدأت الخطة بقصف جوي مكثف للمدن البريطانية في تموز 1940 لاسيما الصناعية منهـا والساحلية. وذلك بهدف تهيئـة الاجـواء لانـزال جـوي عـلى السـواحل البريطانيـة والتقـدم لاحـتلال الجزيرة.

الأ أن صمود البريطانين واصرارهم عـلى رد العـدوان فضـلاً عـن تفـوق دفاعـاتهم الجويـة واستبسال جنودهم كل ذلك ادى الى فشـل خطـة هتلـر مـما دفعـه للعـدول عـن أكـمال تنفيـذها وتأجيلها الى مرحلة اخرى من الحرب.

7. بعد دخول ايطاليا الحرب ركزت على تنفيـذ طموحاتهـا الاسـتعمارية لا سـيما في منطقـه شمال افريقيا مسـتغلة هزيمـة فرنسـا وانشـغال بريطانيـا بالـدفاع عـن نفسـها. لـذا فقـد اندفعت الجيوش الايطالية من الحبشة بأتجاه الصومال والسودان، واجتاحت قوات اخرى الاراضي المصرية من جهة ليبيا (التي كانت تحتلها القوات الايطالية منذ عام 1911).

في تشرين اول مـن عـام 1940 وللاهميـة الحيويـة لتلـك المنـاطق بالنسـبة للحلفـاء فقـد اندفعت بريطانيا لدعم قواتها هناك، ونتيجة لما عرف عن الجيش الايطالي مـن ضـعف في القـدرات والبناء والتنسيق فقد تمكنت القوات البريطانية من رده واخراجـه مـن الاراضي المصريـة مـع بدايـة كانون اول من عام 1941. الامر الذي دعا المانيـا الى نجـدة حليفتهـا وارسـال قـوات المانيـة بقيـادة رومل تمكنت من استعادة المبادرة والتقدم مجدداً بأتجاه مصر التي اوشكت على السقوط بيد دول المحور مع حلول حزيران عام 1941.

8. في هذه المرحلة ايضاً تمكنت المانيا من اخضاع منطقة البلقان سلمياً كما حصل مع رومانيا وهنغاريا وبلغاريا وعسكرياً كما حصل مع يوغسلافيا واليونان.

تميزت المرحلة الاولى من الحرب بأندفاع قوات المحور لتحقيق انتصارات مهمة اعطت انطباعـاً (اولياً) ان المانيا مقدمةً عـلى تحقيـق طموحاتهـا بتسـيّد العـالم، لاسـيما بعـد ان اسـتطاعت مـن كسـب حكومات دول مهمة في الشرق الاوسط مثل شاه ايران رضا بهلوي وحكومة الدفاع الوطني برأسـة رشـيد عالي الكيلاني في العراق. الامر الذي شجع الالمان للذهاب بعيداً في خططهم وأكمال الطـوق عـلى منطقـة البحر المتوسط والخليج العربي من خلال اختراق الاراضي السوفيتية والاندفاع بأتجاه الشرق الاوسـط عـبر ايران والتقاء مع القوات الالمانية في مصر. الأ أن الرياح تسير غالباً بما لا تشتهي السفن.

المرحلة الثانية: 1942 - 1945

مع نهاية عام 1941 وصلت المانيا الى قمة انتصارتها، والوصول الى القمة يعني من الناحية العملية (في كثير من الاحيان) بداية الانحدار من الجهة الاخرى. وتكمـن هـذه الحقيقـة في الغـرور الذي اصاب هتلر واعتقد فيه انه بعد ان اخضع اوربا وحيّد الولايات المتحدة الامريكية (الى حد ما) لم يبقى له سوى أخضاع الاتحاد السوفيتي تحت مبررات عده من اهمها كونه المنافس الوحيد له في اوربا الشرقية فضلاً عن الاهمية الاستراتيجية العسكرية والاقتصادية التي تمتلكها الاراضي السـوفيتية بالنسبة للخطط الالمانية ان كان في اوربا او حتى في الشرق الاوسط وأسيا بشكل عام.

ولكن اخفاق هتلر في حساباته فيما يتعلـق بالسـيطرة عـلى الاتحـاد السـوفيتي او الحيـاد الامريكي قد ادت الى تغير مسار الحرب بشكل كامل:

1. الهجوم على الاتحاد السوفيتي:

بدأ هتلر يتململ من النشاط السوفيتي في اوربا الشرقية وعمل على ايجاد المبررات الكافيـة لخرق المعاهدة الالمانية السوفيتية لعام 1939. لذا فقد دعا وزير الخارجية السوفيتي مولوتـوف الى برلين (13 تشرين اول 1940) للتباحث في الاوضاع الدوليه. وقـد طلـب هتلـر الموافقـة عـلى اتفـاق جديد بين البلدين لتنسيق المواقف في اوربا او ما يتعلق بالموقف من الحلفاء. ولدراسـتنا لشخصـية هتلر فأنا نرى انه كان متأكداً من ان السوفيت سوف لن يوافقوا على مشـاريعه ومطاليبـه وبالتـالي سيكون ذلك كافياً لالغاء الاتفاق السابق معهم. وهذا ما حصل بالفعل فقد فشلت المفاوضات بـين الجانبين الامر الذي دعا هتلر لتصعيد الموقف مع الاتحاد السوفيتي واعداد الخطط اللازمة لاجتياح الاراضي السوفيتية وفق خطة اطلق عليها (برباروسا) تـقضي بـدخول الاراضي السـوفيتية مـن عـدة جهات وهيأ لذلك بالسيطرة على دول اوربا الشرقية سلمياً او بالقوة وهي الدول المحاذيـة للحـدود السوفيتية وبدأ ببناء قواعده العسكرية فيها.

في يوم الاحد 22 حزيران عام 1941 اصدر هتلر أوامـره باجتيـاح الاراضي السـوفيتية (وهـذا التاريخ هو نفسه الذي غزا فيه نابليون روسـيا 1812) وذلـك بجـيش كبـير جـداً يصـل تعـداده الى أربعة ملايين جندي مجهز بأحدث الاسلحة. لم تجد القـوات الالمانيـة صـعوبة كبـيرة في الوصـول الى مسافات شاسعة من الاراضي السوفيتية حتى انهم بلغوا مشارف موسكو مع بداية شهر تشرين ثاني 1941 وبدأوا بمحاصرتها الامر الذي استمر عدة اشهر.

الأ أن متغيرات جديده ظهرت ادت الى تراجع القوات الالمانيـة ومـن بينهـا دخـول الولايـات المتحدة الامريكية الحرب.

2. دخول الولايات المتحدة الامريكية الى الحرب:

مع ان الولايات المتحدة قد اعلنت حيادها في الحرب لاسباب تتعلق بأوضاعها الداخليـة، الأ أن الرئيس الامريكي فرانكلين روزفلت (1933 - 1945) كان لا يخفـي تعاطفـه مـع دول الحلفـاء. اذ استحصل موافقة الكونغرس الامريكي لارسال خمسين مدمرة حربية الى بريطانيا في ايلول عام 1940. ومع تمادي هتلر وحلفاءوه في سياستهم التوسعية واساليبهم القاسية التي اتبوعها في معاركهم تمكن الرئيس روزفلت من الحصول على موافقة الكونكرس على قانون (الاعارة والتاجير) في آذار مـن عـام 1941 الذي سمح للولايات المتحدة تقديم المساعدات العسكرية الى دول الحلفـاء عـلى اسـاس انهـا ضحية للعدوان، وتقدر المساعدات التي قدمت الى بريطانيا حوالي 40 مليار دولار.

في ذات الوقت اتبعت سياسة الشدة مـع دول المحـور لا سـيما اليابـان التـي تعتبرهـا دولـة معتديةً حتى قبل اندلاع الحرب العالمية الثانيـة (لاحتلالهـا للصـين) لـذلك اتخـذت عـدة اجـراءات ضدها منها القرار الذي اتخذته في 26 ايلول عام 1941 بمنـع تصـدير المعـادن والبـترول الى اليابـان، وكذلك ابداء المساعدة اللازمة الى المقاومة الصينية ضد الاحتلال الياباني الامر الذي ادى الى ان يعقد اليابان في 27 ايلول ميثاقاً ثلاثياً مع ايطاليا والمانيا للتعاون المشترك. عندما فشلت اليابـان مـن ثنـي الامريكان عن سياستهم المتشددة آزائهم والتي اثرت سلبياً على اقتصادهم قـرروا اللجـوء الى القـوة معتقدين ان الولايات المتحده غير مستعده للحرب وان اوربا منشغلة في حربها ضد المانيا.

وانطلاقاً من ذلك قامت الطائرات اليابانية بالهجوم على اهـم المـوانئ الامريكيـة في جزر هاواي وهو ميناء بيرل هاربر (انظر خارطـة رقـم - 2) صـباح يـوم 7 كـانون اول مـن عام 1941 وكان من نتائجه غرق وتدمير 8 مدمرات أمريكيـة وثـلاث طـرادات فضـلاً عـن عدد كبير من السفن الصغيرة كما تم تدمير عدد كبير من طائرات الجـيش الامـريكي تقـدر بأكثر من 200 طـائرة امـا الخسـائر البشريـة فقـد بلغـت 2117 قتيـل و1272 جـريح مـع

960 مفقود. في 8 كانون اول اعلن روزفلت رسمياً الحرب على دول المحور بعد ان طالبه جميع الامريكيين بمختلف اتجاهاتهم بأتخاذ هذا الموقف.

الهزائم العسكرية لدول المحور

لقد مثلت نهاية عام 1941 بداية للهزائم العسكرية لدول المحور:

1. على الجبهة السوفيتية كان لشجاعة الشعب والقوات الروسية دور كبير في ايقاف القوات الالمانية من التقدم ومنعها من احتلال العاصمة موسكو. وعندما حل الشتاء الروسي القاسي كان نشاط القوات السوفيتية يتصاعد يقابله تضائل للنشاط الالماني الذي برزت صعوباته في التمويل والمعدات وضعف معنويات الجنود. كما ان المساعدات البريطانية والامريكية كان لها اثر في تزايد نشاط السوفيت المقاوم للالمان.

   لقد حاولت القوات الالمانية استعادة المبادرة وتعديل خططها العسكرية وذلك بالهجوم على مدينة ستالينغراد*، الأ أنها اصطدمت بمقاومة عنيفة في كانون اول عام 1942 ليحقق السوفيت انتصاراً تاريخياً في هذه المدينه ولتبدأ من هناك الهزيمة الكبرى للجيش الالماني[1].

2. في الشرق الاوسط توالت الهزائم الالمانيه ففي العراق تمكنت القوات البريطانية من احتلال العاصمة بغداد واسقاط حكومة الدفاع الوطني في ايار 1941 ومن هناك زحفت بأتجاه سوريا لاخضاعها لسيطرة الحلفاء بعد أن كانت تسيطر عليها قوات حكومة فيشي الموالية للالمان. ثم زحفت القوات

---

* ستالينغراد:وهي ميناء على نهر الفولغا تعتبر مركزاً لطرق الموصلات والصناعة الثقيلة، بقيت عصية على الجيش الالماني بالرغم من تدميرها وكان الانتصار السوفيتي فيها بداية الانهيار للجيش الالماني عرفت منذ عام 1961 بأسم فولغوغراد.

(1) جرانت، المصدر السابق، ص250

البريطانية والسوفيتية صوب ايران واحتلتها واطاحت بالشاه رضا بهلوي وتم تنصيب ابنه محمد رضا بدلاً عنه وذلك في آب من عام 1941[1] اما في مصر فقد أوقف الحلفاء التقدم الالماني بمعركة فاصلة هي معركة (العلمين) في 23 تشرين اول من عام 1942 هزم خلالها الجيش الالماني وتراجع الى ليبيا وتم القضاء عليه بشكل نهائي اما بالقتل او الاستسلام.

3. بعد ان تم تحطيم الجزء الاكبر من الاسطول البحري والجوي الامريكي في (بيرل هاربر) تمكن الاسطول الياباني من تسيد منطقة المحيط الهادي[2] الأ أن هذه الحاله لم تستمر طويلاً فقد استطاع الامريكيون من اعادة بناء قواتهم البحرية بشكل جيد وبدأوا يحققون انتصارات متواليةعلى القوات اليابانية لا سيما في عام 1943 بقيادة الجنرال ماك آرثر.

4. في منتصف عام 1943 ظهرت بوادر الضعف والانهيار في صفوف المحور، فبعد الهزائم اليابانية في المحيط الهادي وشرق اسيا والهزائم الايطالية - الالمانية في شمال افريقيا انتقلت العمليات العسكرية الى اراضي المحور نفسها وبالذات في ايطاليا. اذ استثمر الحلفاء الانتصار الكبير في شمال افريقيا لتلاحق قواتهم القوات الايطالية المهزومة. ففي 10 تموز شن الحلفاء هجوماً على جزيرة صقلية بأكثر من 160 الف جندي و600 دبابة حملتها اكثر من ثلاثة آلاف سفينة (انظر الخارطة رقم - 3). وبعد هذه المعركة بدأ الوهن والضعف على الجيوش الايطالية التي كانت تهرب من المواجهة اما بالاستسلام او الهزيمة لهذا لم يجد الحلفاء عناء كبير للسيطرة على الاجزاء الجنوبية من ايطاليا. وكانت

---

(1) روح الله رمضاني، سياسة ايران الخارجية (1941 - 1973)، ترجمة على حسين فياض، (البصرة - 1984)،ص43

(2) تمكنت اليابان من احتلال مناطق عديدة خلال عامي 1941 - 1942 مثل هونك كونغ وماليزيا وسنغافور وبورما والفلبين واندنوسيا وغيرها.

لهذه الانتصارات وقعها الكبير داخل ايطاليا، اذ حدثت فيها ازمة سياسية وذلـك عنـدما اتهم مجلس الفاشيست الاعلى موسيلني بالتقصير وطالبوه بالاسـتقالة وهـذا مـا حصـل بالفعل اذ قدم موسيلني استقالته وعين (بـادوليو) بـدلاً عنـه[1]. وبـالرغم مـن التـدخل الالماني لحماية ايطاليا من السقوط الأ أن ذلك لم يمنع من السيطرة على ايطاليا واحتلال عاصمتها في حزيران من عام 1944.

5. في حزيران من عام 1944 اتفقـت الـدول الحليفـة عـلى البـدء بفـتح الجبهـة الغربيـة لتحطيم المانيا بشكل مباشر عبر تحريـر فرنسـا. وعـين ايزنهـاور قائـداً لقـوات الحلفـاء وتمكنت القوات الحليفة من تحقيـق انتصـارات مهمـة مـن خـلال انـزال قـواتهم عـلى الاراضي الفرنسية ومن ابرزهـا منطقـة النورمانـدي* ولم يمضي سـوى ثلاثـة اشـهر حتـى تمكنت تلك القوات من تحرير الاراضي الفرنسية بمساعدة مباشرة من الثوار الفرنسـيين بقيادة الجنرال ديغول (رئيس حكومة فرنسا الحرة في المنفى). بعدها تمكن الحلفـاء من تحرير الاراضي البلجيكية والهولندية ولم يبقى سوى احتلال المانيا.

---

(1) صدر الامر بعد قبول استقالته بسجن موسيلني الا ان الالمان تمكنوا من انقـاذه مـن معتقلـه في احـد الفنـادق الايطالية في منطقة (غران ساسو) وسط ايطاليا وذلك بانزال جوي حول الفندق ونقل الى المانيا وشكل حكومـة اتخذ من (فيرونا) مقراً لها الأ أنها كانت حكومة ضعيفة وليس لها تاييد داخل ايطاليا.

* انزال النورماندي: تقرر خلال مؤتمر طهران (تشرين الثاني 1943) المبادرة بانزال القـوات الحليفـة عـلى السـواحل الغربية لفرنسا في منطقة النورماندي وقد استعد الحلفاء لهذا الانزال من خلال انشاء الموانئ الصناعية ونقلها الى سواحل فرنسا واستخدامها في انزال القوات المهاجمـة وكانـت بقيـادة ايزنهـاور ويسـاعده مـونتغمري وتـم الانزال في ايار عام 1944 وكان بداية لتحرير فرنسا سريعاً والتقدم بأتجاه المانيا

6. في نفس الوقت كانت القوات السوفيتية تتقدم في شرق اوربا بعد انهاء تحرير اراضيهم اذ استولت تلك القوات على دول البلطيق (ليتوانيا واستونيا ولاتيفيا) وعلى بولندا كما تم الاستيلاء في صيف عام 1944 على رومانيا وبلغاريا وهنغاريا اما يوغسلافيا فقد تعاونت قوات المقاومة الوطنية بزعامة جوزيف بروزتيتو مع القوات السوفيتية لطرد الالمان. مع بداية عام 1945 كانت اوربا الشرقيه بكاملها تحت السيطرة السوفيتية.

7. أتفق الحلفاء في مؤتمر يالطا (4 شباط 1945) على توزيع المهام بينهم لاحتلال المانيا اذ قسمت الاراضي الالمانية الى اربعة اقسام يتم احتلالها احتلالاً مشتركاً بين بريطانيا والولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وتدعى فرنسا للاشراف على المنطقة الرابعه.

8. في 8 شباط 1945 بدأ الهجوم على الجبهة الغربية في الوقت الذي تواصل فيه تقدم القوات السوفيتية شرق المانيا وتمكنت تلك القوات من دخول برلين في 16 نيسان 1945 التي قاتلت ببسالة الى ان استسلمت بعد الاعلان عن انتحار هتلر.

9. اما اليابان فقد استمرت في حربها في اسيا والمحيط الهادي وقد بدأت قوات الحلفاء بتحقيق انتصاراتها على اليابان منذ عام 1943. وتواصلت انتصارات الحلفاء بأحتلالها للاجزاء الاسيوية التي وقعت تحت الاحتلال الياباني مثل الفلبين وفرموزا. الأ أن اصرار اليابان على الاستمرار في القتال حتى بعد استسلام المانيا جعل الحلفاء يقررون في بوتسدام (26 تموز 1945) توجيه انذاراً نهائياً لليابان، وعندما تجاهلت اليابان الانذار قررت الولايات المتحدة توجيه ضربتها النووية جوياً الى المدن اليابانية فقد ضُربت مدينة هيروشيما في 6 آب 1945 اما ناكازاكي فضُربت بعد ثلاثة ايام الامر الذي ادى الى استسلام اليابان بعد خسائر بشرية ومادية هائلة جداً، وذلك عندما وقعت وثيقة الاستسلام في 2 ايلول 1945 على ظهر المدمرة الامريكية (ميسوري)

مع الجنرال ماك ارثر وكان ذلك ايذاناً بدخول عنصر جديد في العلاقات الدوليه الا وهو السلاح النووي.

رابعاً:-اهم المؤتمرات التي عقدت أثناء الحرب:

1. ميثاق الاطلسي: وهو الميثاق الذي وقعته الولايات المتحدة الامريكية ممثلة برئيسها روزفلت وبريطانيا ممثلة بتشرشل في 14 آب 1941 على ظهر المدرعة الانكليزية (امير ويلز) وتضمن تأكيد الدولتين عن دفاع الدولتين عن الانظمة الديمقراطية. وتعهدهما بتقديم العون الى الاتحاد السوفيتي لمواجهة الزحف الالماني.
2. مؤتمر واشنطن: وهو المؤتمر الذي عقد بين الزعيمين الامريكي والبريطاني (روزفلت وتشرشل) في كانون اول من عام 1942 وقد تم فيه اعلان تصريح الامم المتحدة والذي تضمن تعهد الدول الموقعة عليه بالوقوف بوجه دول المحور وعدم توقيع معاهدة صلح منفردة معها وقد وقع هذا الميثاق (26) دولة في يوم اعلانه.
3. مؤتمر طهران: عقد في 28 تشرين ثاني من عام 1943 بين الرئيس السوفيتي ستالين* والامريكي روزفلت والبريطاني تشرشل وكان المؤتمر مناسبة لاظهار

* ستالين: هو جوزيف فساريونفتش (1879- 1953) ولد في مدينة جورجيا اطلق عليه اسم استالين (وتعني مصنوع من الصلب) لقوته وصلابته. تعلم في مدرسة لاهوتية(دينية) قبل ان يطرد منها لنشاطه السياسي، انظم الي البلاشفة (الشيوعين) عام 1903 كان ملاحق من قبل البوليس القيصري واتهم بسرقة بنك في مدينة تفليس عام 1906، نفي الى سيبريا ولكنه عاد بعد ثورة عام 1917، عمل وزيراً في وزارة لينين عقب الثورة وانتخب عام 1922 اميناً عاماً للحزب الشيوعي الروسي وتمكن بعد موت لينين عام 1925 من الاستيلاء على السلطة وطرد منافسيه عرف عنه دكتاتوريته وقسوته الشديدة حتى انه كان يصدر قرارات الاعدام بأعدا كبيرة تعد بالالاف.

مزيد من العزم والقوة في مواجهة دول المحور وتعهد ستالين خلال هذا المؤتمر بمحاربة اليابان[1].

4. مؤتمر يالطا: (هي منطقة في القرم في الاتحاد السوفيتي): وعقد بين ستالين وروزفلت وتشرشل في 4 شباط 1945 وفيه تمت مناقشة تشكيل منظمة الامم المتحدة وآلية ادارتها كما تم مناقشة قضية تقسيم المانيا وتم الاتفاق ايضاً حول الحدود السوفيتية مع بولندا.

5. مؤتمر بوتسدام: (وهي منطقة في داخل الاراضي الالمانية): وجاء هذا المؤتمر الذي عقد في 16 تموز من عام 1945 بعد حدثين مهمين الاول هو استسلام المانيا والثاني وفاة روزفلت ومجئ هاري ترومان الى السلطة في الولايات المتحدة.

واتفق هذا المؤتمر في كيفية التعامل مع المانيا واستحداث مجلس وزراء خارجية للدول الكبرى لمناقشة معاهدات الصلح مع الدول المحورواتفق الجميع على مواصلة الضغط على اليابان من اجل استسلامها[2].

(1) كان اجتماع طهران ودياً فلاول مرة يلتقي الزعماء الثلاثة، وساد الود والتقارب اجواء المؤتمر اذ قدم تشرشل هدية بأسم ملكة بريطانيا عبارة عن سيف الى ستالين بأعتباره بطل معركة ستالينغراد. كما اهدى ستالين هدية الى الرئيس روزفلت. ويذكر ان الوفد الامريكي ضم 80 شخص والبريطاني. 70 اما السوفيتي فكان ثلاثة اشخاص فقط.

(2) من الطريف ان نذكر هنا ان تشرشل عاد الى لندن خلال انعقاد المؤتمر وذلك لخسارته في الانتخابات البريطانية ليحل محله وفد جديد مكون من (ايتلي وبيفن) كما ان ستالين غاب عن جلسات المؤتمر الاخيرة بسبب اوضاعه الصحية اذ اصيب في بداية المؤتمر بأزمه قلبيه، ثم برر غيابه في نهاية المؤتمر بأصابته بنوبة برد.

تقييم الحرب ونتائجها المباشرة

1. لقد كشفت نهاية الحرب عن عمق المأساة التي عاشتها البشرية على مدى اكثر من خمس سنوات من الحرب المتواصلة، اذ لم تقتصر ويلات هذه الحرب على قارة اوربا وحدها (على الرغم من انها تسببت فيها) وانما طالت معظم مناطق العالم لا سيما في اسيا وافريقيا. ويتجسد ذلك في عدد الضحايا الهائل من البشر مدنيين وعسكرين، فقد فاق عدد قتلى هذه الحرب (70) مليون انسان واكثر من هذا العدد من الجرحى والمشردين (وصل عدد اللاجئين في مخيمات بدائية عام 1945 الى 11 مليون انسان) كما دمرت آلة الحرب التي ابدع الانسان في صنعها وتطويرها لتكون اكثر قدرة على القتل والتدمير، مدن بكاملها ومراكزصناعية كان يمكن ان تسهم في دعم الرفاه والتقدم الانساني.

وكان استخدام السلاح الذري ذات التدمير الشامل قد ساهم في تعميق الاثار الانسانية للحرب، اذ لم يميز هذا السلاح بين انسان واخر، بين عسكري او مدني صغير ام كبير. كما ان تلك الاسلحة لا تبقي على المدنية باي شكل من اشكالها عمرانية كانت ام صناعية، بل انها لاتبقي على اي اثر للحياة في المنطقة المستهدفة بشرية ام حيوانية ام زراعية.

لقد افصحت هذه الحرب عن قدرة الانسان غير المحدودة على عمل اي شي من اجل قتل اخية الانسان لا لشي سوى من اجل شهوة التسلط والسيطرة والطموحات المريضة.

2. بروز الفلسفة القومية العنصرية المقيته والتي نمت في المانيا منذ عقود ونضجت مع وصول النازيين الى السلطة. وتتمثل السياسة العنصرية الالمانية بالنظرة الدونية التي ينظر بها الالمان الى سواهم من البشر وكانت هذه النظرة اساساً لسياستهم واساليبهم البالغة القسوة والبشاعة في التعامل مع الشعوب التي يحتلونها.

فقد كان القادة الالمان يشحنون جنودهم بالكراهية ضد الشعوب الاخرى على اعتبار ان ذلك سيكون دافعاً قوياً لتحقيق النصر في الحرب. على سبيل المثال ابلغ هتلر قادته العسكرين وجنوده بانها ستكون حرب ابادة لان الاعداء مجرد وحوش.

اما القائد الالماني الشهير هملر فقد ابلغ شرطته السريه(ان تدمير ثلاثين مليون سلافي شرط اساسي في خطط المانيا في الشرق) وذكر في خطاب اخر يقول (لايهمني ان تعيش الامم في رخاء ام تموت جوعاً سوى اني احتاجها عبيداً لحضارتنا وبعد ذلك لا يهمني امرها.)[1]

كما ان الالمان قاموا بتدمير قرى ومدن بكاملها اثناء زحفهم في اوربا والاتحاد السوفيتي (سياسة الارض المحروقة) وقاموا بقتل الاسرى فضلاً عن ذلك عملوا على نقل اعداد هائلة من ابناء الشعوب المحتلة الى المانيا لاستغلالهم في الصناعة الحربية، اذ تشير الدراسات الى وجود اكثر من 4 ملايين اجنبي يعملون داخل المانيا في اعمال السخرة. هذا بالاضافةالى استغلال الشعوب لخدمة الالمان عند احتلال اراضيهم وفي ذلك يقول هتلر (ينبغي ان لا يعرفوا الا ما يكفي لفهم علامات الطرق لكي لاتدهسم عجلاتنا)[1]

3. تغير النظام الدولي الذي كان سائداً قبل الحرب تغيراً جذرياً وذلك من خلال:

أ- تراجع القوى التقليدية عن دورها العالمي ومنها بريطانيا وفرنسا والمانيا لما لحق بها من تدمير هائل جعلها تنكفئ لمعالجة اثار الحرب اقتصادياً وعمرانياً وعسكرياً.

(1) براين بوند، المصدر السابق، ص190.

(2) كان يطلق على الروس والسلافين عموماً مصطلح (unterrnesch) وتعني دون البشري، واعتبرهم وزير الدعاية الالماني (غوبلز) بانهم (مزيج من الحيوانات)، لمزيد من التفاصل انظر المصدر نفسه، ص190-215.

ب- بروز الولايات المتحدة كقوة عظمى في العالم نتيجة دخولها المتاخر في الحرب وحفاظها على قوتها الاقتصادية والعسكرية فضلاً عن بعد اراضيها عن العمليات العسكرية.

ت- ظهور العامل الايديولوجي كعامل محرك للعلاقات الدولية، اذ ان احتلال الاتحاد السوفيتي لاوربا الشرقية واقامت انظمة شيوعية فيها مثل تحدياً للتوجه الليبرالي والراسمالي الذي تنتهجه الولايات المتحدة وحلفائها الغربيين واعتبروا التحرك السوفيتي خطراً يجب مواجهته.

ث- مع القاء القنبلة النووية على اليابان اصبح امتلاك السلاح الذري له اثره الحاسم في العلاقات الدولية، اذ اطلق على المرحلة اللاحقة بمرحلة (الرعب النووي).

4. اثناء الحرب تم عقد عدة مؤتمرات اتفق خلالها على انهاء وجود عصبة الامم وانشاء منظمة بديله تكون اكثر قوة وفاعلية للحفاظ على السلام العالمي.

وفي 25 نيسان من عام 1945 انعقد مؤتمر سان فرانسسكو في الولايات المتحدة الامركية حضره مندوبون عن (51) دولة لاقرار ميثاق منظمة الامم المتحدة الذي يتألف من ديباجة و(111) مادة. واقر الميثاق مجموعة من المبادئ والاهداف تتركز في العمل على فض المنازعات بالطرق السلمية، واحترام مبدأ المساوات والسيادة بين جميع الدول الاعضاء في المنظمة، واقرارمبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية، مع التزام الدول تقديم العون والمساعدة لتنفيذ قرارات المنظمة.

وتتألف المنظمة من الجمعية العامة وتتكون من مجموع الاعضاء تجتمع سنوياً في شهر ايلول ولها مهام محددة تتعلق بأقرار الميزانية وقبول الاعضاء الجدد ومناقشة الاوضاع الدولية. الا ان قرارات هذه الجمعية التي تكون بالاغلبية هي مجرد توصيات غير ملزمة.

اما مجلس الامن فهو الجهاز الاكثر فاعلية في المنظمة ويتألف من خمسة عشر عضواً خمسة منهم دائمين وهم (الولايات المتحدة، الاتحاد السوفيتي، فرنسا، بريطانيا، الصين) لهم حق نقض القرارات (الفيتو) اضافة الى عشرة أعضاء غير دائمين يسمّون من قبل الجمعية بشكل دوري. وهناك الامانة العامة وهي الهيئة الادارية المسؤولة عن ادارة المنظمة يرئسها الامين العام[1]

(1) شغل هذه المنصب: تريغفالي (نرويجي 1946 - 1952)، همر شولد (سويدي حتي 1961)، يوثانت (بورما حتى 1971)، فالد هايم(نمساوي الى 1980)، ديكويلار(بيرو الى 1991)، بطرس غالي (مصري الى 1996)، كوفي عنان افريقي حتى عام 2005

الفصل التاسع

التطورات الدولية ما بعد الحرب

واندلاع الحرب الباردة

الفصل التاسع

التطورات الدولية ما بعد الحرب واندلاع الحرب الباردة

اختلف الباحثون في اعطاء تعريف محدد في الحرب الباردة[1] فمنهم من عرفها (فن استخدام القوى العسكرية للتاثير على ارادة العدو بدون استخدام الحروب) وعرفها الكاتب المصري محمد طه بدوي بانها (صراع دولي غير مسلح يقوم على التهديد بأستخدام القوة مما يؤدي الى زيادة حدة التوتر الدولي)[2].

ويمكن ان نعطي تعريفاً للحرب الباردة هو (مجموعة المواقف والسياسيات التي تبنتها الدولتين العظمتين في العالم الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي بعد الحرب العالمية الثانية، المعادية لبعضهما والتي تهدف لتحديد قوة ونفوذ وتاثير كل طرف للطرف الاخر، ويكون ذلك من خلال خلق تفوق عسكري "سباق تسلح"، استخدام الاقتصاد والاعلام والحرب النفسية، تكوين التحالفات الاقليمية والدولية فضلاً عن التدخل المباشر او غير المباشر في المنازعات الاقليمية "الحرب بالنيابة"..).

بدأت الحرب البارده بمفهومها المذكور نتيجة شعور الولايات المتحدة بتفوقها العسكري وقدراتها الاقتصادية عززه الشعور بالخشية من النفوذ السوفيتي الذي اخذ في

(1)) يشير الباحثون إلى أن أول من استعمل كلمة الحرب الباردة برنادر باروخ وهو من الساسة الأمريكيين عندما أشار في خطبة له في (نيسان 1947) إلى الأوضاع بين الولايات المتحدة و الاتحاد السوفيتي بأنها (حرب باردة) ثم تلقف هذا المصطلح عدد من الكتاب والصحفين للتعبير عن الحالة بين المعسكرين.

(2) نقلاً عن حسن فتح الباب، المصدر السابق، ص348.

الاتساع في اوربا الشرقية لذا قرر الرئيس الامريكي ترومان * اتخاذ موقف متشدد من الاتحاد السوفيتي اطلق عليه سياسة (القبضة الحديدية) وجاء هذا الموقف بعد مذكرة للسفير الامريكي في الاتحاد السوفيتي "كينان" عام 1946 طلب من حكومته اتخاذ سياسة مشددة ازاء السياسه السوفيتية كتب يقول (ان على الولايات المتحدة اتباع سياسة الاحتواء بشكل محكم ومخطط له بقصد مواجهة الروس بالقوة وذلك بهدف منعهم من استعباد شعوب اوربا الشرقية[1].

ونتيجة لذلك صرح الرئيس الامريكي ترومان بانه (لا اشك بان روسيا تحاول غزو تركيا والاستيلاء على مضائق البحر الاسود والمتوسط، وانه اذا لم تواجه روسيا بقبضة حديدية ولغة قوية فان حرباً اخرى ستنشب، اننا لن نقبل الوفاق او المصالحة بعد الان ويجب ان نصل بالقوة الى القرار في شان ما تدين لنا به روسيا بموجب قانون الاعارة والتاجير).

ان هذا التصريح شديد اللهجة قد افصح عن حقيقتين اولاً انهاء حالة التردد في اتخاذ موقف حاسم في انهاء مبدأ العزلة الامريكية والدخول بقوة في تسيير العلاقات الدولية.

ثانياً الاعلان رسمياً عن بدأ مرحلة من الصراع ذات طابع جديد بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي لا يقوم على اساس المواجه العسكرية المباشرة وانما يعتمد سياسة الاحتواء.

---

* هاري ترومان الرئيس الثاني والثلاثون لولايات المتحدة كان نائب للرئيس روزفلت قبل وفاته يعرف عنه تشدده في سياسته الليبرالية المعادية لمعسكر الشيوعي اعلن مجموعة من الخطط بدعم حلفائه وله دور كبير في انشاء دولة اسرائيل والاعتراف بها عند اعلان قيامها مباشرة.

(1) ويذكر ان كينان عين في موقع مهم في وزارة الخارجية الامريكية لتنفيذ التوصيات التي وضعها، المصدر نفسه ص348.

اولاً: - مشروع مارشال وبداية المواجهة

سارت العلاقات الأمريكية السوفيتية على وفق خط تصعيدي بدأ بمجموعة من الخطب والرسائل المتبادلة التي أفصحت عن تباعد في المواقف بين المعسكرين. وكانت الولايات المتحدة تدفع بشكل متسارع باتجاه تعميق هذا التباعد مستفيدة من تفوقها العسكري والاقتصادي لتحقيق مجموعة من الغايات والأهداف لاتخرج عن الوقوف بوجه المد الشيوعي الأخذ في النمو على الصعيد الاجتماعي والسياسي ليس في اوربا فحسب وانما في أنحاء أخرى من العالم لاسيما في أسيا.

الا ان الخطوات العملية لهذا التباعد جاءت عند إعلان وزير الخارجية الأمريكي الجنرال مارشال عن مشروعه المعروف في دعم الدول الأوربية التي كانت تعاني من انهيار اقتصادي شامل يهدد استقرارها الداخلي مما قد يهيئ الأجواء لتأثيرات شيوعية كانت ناشطة في مجتمعات تلك الدول.

ففي 5 حزيران من عام 1947 اعلن مارشال عن خطط لاعانه الدول الاوربية بشكل عام ودون استثناء، الا انه في ذات الوقت وضع شروطا محددة للدول التي تقبل بهذه المساعدات ومن أهمها تمكين الولايات المتحدة من مراقبة هذه الدول مباشرة،الأمر الذي سترفضه الدول المدعومة من قبل الاتحاد السوفيتي، مما يعني أن هذه المساعدات قد فصلت لتشمل الدول الأوربية ذات الأنظمة اللبرالية والمدعومة أمريكيا.

وعلى الرغم من استشارة كل من فرنسا وبريطانيا للاتحاد السوفيتي حول موضوع الأستفادة من مشروع مارشال وذلك في اجتماع عقد بين هذه الأطراف في باريس في 27 حزيران ألا أن السوفيت اعترضوا بشدة على هذه المساعدات وعدوها في غير مصلحة الدول الأوربية كونها تنقص من سيادتها واستقلالها. فضلا عن أن هذا المشروع سوف يجر دول أوربا الشرقية إلى النظام الاقتصادي الرأسمالي مما يعني تناقضا واضحا مع النهج الشيوعي الذي يعمل الاتحاد السوفيتي على تطبيقه في تلك الدول.ونتيجة لإصرار الاتحاد السوفيتي على رفض المشروع ورغبة كل من فرنسا

وبريطانيا في الاستفادة من المساعدات الأمريكية التي سوف تنقذ اقتصادهما فقد اقتصرت المساعدات الأمريكية على الدول ذات الأنظمة اللبرالية كما خططت لذلك الولايات المتحدة.

وكرد فعل على المشروع الأمريكي وقبول دول أوربا الغربية به بادر الاتحاد السوفيتي إلى دعوة عدد من ممثلي دول أوربا الشرقية فضلا عن ممثلين للأحزاب الشيوعية في عدد من دول أوربا الغربية لاجتماع عقد في موسكو في أيلول من عام 1947، وذلك لاظهار مدى قدرة السوفيت على التأثير داخل أوربا.

وكانت من أهم نتائج الاجتماع إنشاء مكتب الاستعلامات الشيوعي (الكومنفورم) بهدف تنسيق المواقف لمواجهة النشاط (الإمبريالي) الأمريكي، وكان مقر هذا المكتب في بلغراد ثم تحول إلى رومانيا.

لقد أسهمت الخطوة الأمريكية في مشروع مارشال والخطوة السوفيتية المقابلة إلى حاله أشبه ببندول الساعة ، فما أن تبادر الولايات المتحدة بخطوة معينة على صعيد العلاقات الدولية حتى نجد الاتحاد السوفيتي يقوم بخطوة مقابلة. ولم يقتصر ذلك على الشؤون الاقتصادية أو السياسية [1] وانمااتجهت الى الجانب الأمني من خلال إقامة الأحلاف العسكرية ولتبدا معها مرحلة جديدة في العلاقات الدولية أطلق عليها الحرب الباردة.

---

(1) على سبيل المثال النقطة الرابعة التي أعلنها الرئيس الأمريكي ترومان عام 1949 والتي تقضي بتقديم العون للدول التي تطلب من الولايات المتحدة المساعدة الفنية أو الاقتصادية لمساعدتها في مواجهة خطر ما يتهددها. وكان المشروع موجة أصلا لدول الشرق الأوسط التي دخلت في اتفاقيات ثنائية مع الولايات المتحدة مثل لبنان وتركيا والعراق وغيرها بحجة ا لوقوف بوجه المد الشيوعي.

ثانياً: سياسة الأحلاف وتعميق الانقسام الدولي

لقد أعلنت الولايات المتحدة،منطلقة من تفوقها الاقتصادي والعسكري لاسيما في المجال النووي،ما أطلق عليه (بالحرب الشاملة) إذ استثمرت الولايات المتحدة هذا التفوق لمحاصرة الاتحاد السوفيتي وإجباره على التراجع أو على الأقل الحد من نشاطه الأيديولوجي في أوربا واسيا ودعمه لعدد من حركات التحرر لاسيما ما يتعلق بالحرب الأهلية في الصين وتهديداته لليابان فضلا عن محاولاته جرأوربا إلى مواجهات يؤكد نفوذه فيها كما حصل في المواجهة حول مسالة برلين.

كان من بين أهم المساعي الأمريكية هو إقامة الأحلاف العسكرية والتي بدأت بحث دول اوروبا الغربية على اقرار ميثاق بروكسل والذي وقع في 17 آذار 1948 وفيه تعهدت دول اوروبا الغربية (وهي فرنسا وبريطانيا وهولندا و بلجيكيا ولكسمبورغ) بالتعاون العسكري في حالة وجود أي تهديد خارجي،فضلا عن تعميق التعاون الاقتصادي والاجتماعي بينها.

ألا أن هذا الميثاق سرعان ما طورته الولايات المتحدة ليكون حلفا عسكريا اشتركت فيه بشكل مباشر وانضمت إليه فيما بعد كندا. وبهذا الحلف دخلت الحرب الباردة منعطفا جديدا لاسيما بعد أن تمكن السوفيت عام 1949من اكتشاف الأسرار النووية ولتصبح قوة موازية عسكريا واقتصاديا الولايات المتحدة.

في أيلول 1951 أبرمت الولايات المتحدة حلفا مع كل من استراليا ونيوزلندا وفي نفس الشهر وقعت معاهدة سلام مع اليابان والتي جعلت تلك الدولة قاعدة أمريكية في مواجهة الاتحاد السوفيتي وسياسته الآسيوية.

كما عملت الولايات المتحدة على ربط مجموعة من الدول الأسيوية بتحالفات داعمة لتوجهاتها المناوئة للاتحاد السوفيتي ومنها حلف جنوب شرق آسيا 1954 ومنظمة الدفاع عن الشرق الأوسط (ميثاق بغداد 1955)[1].

وكرد على سياسة التحالفات العسكرية تلك قام الاتحاد السوفيتي بسلسلة من الإجراءات من بينها تجديد الدعم لدول أوربا الشرقية لتثبيت سيطرة الأحزاب الشيوعية على السلطة فيها وذلك بشتى الوسائل الاقتصادية والسياسية وحتى العسكرية. كما نجح في 14 أيار 1955 بإنشاء حلف وارشو الذي ضم بالإضافة أليه بولونيا، تيشكوسلوفاكيا ،رومانيا، بلغاريا، ألبانيا فضلا عن ألمانيا الشرقية ، وكان في نظامه ومؤسساته شبيه بحلف شمال الأطلسي[2].

ثالثاً: من المواجهة السياسية إلى المواجهة العسكرية

لقد مثل الانتصار الشيوعي في الصين، والمتمثل بسيطرة الحزب الشيوعي الصيني بزعامة (ماو تسي تونغ) على معظم الأراضي الصينية واعلان قيام حكومة الصين الشعبية عام 1949 إحدى الانتكاسات الأمريكية في مواجهتها للشيوعية، ذلك كون الولايات المتحدة عملت كل ما بوسعها لدعم قوات (تشان كاي شك) المناوئة للحزب الشيوعي الصيني عسكريا واقتصاديا. ألا أن هذه المساعدات كانت تذهب إلى الجانب الآخر (أي قوات ماو) أما بسيطرة هذه القوات عليها أو نتيجة لتحول القطعات العسكرية بمعداتها إلى جانب قوات ماو.

كانت المواجهة في الصين هي مواجهة أمريكية سوفيتية غير مباشرة، اذ دعم الاتحاد السوفيتي حكومة الصين الشعبية لاسيما بعد عام 1949، عندما عقدت مجموعة من الاتفاقيات الثنائية التي ساهمت في تدعيم قوة الحكومة الجديدة. ومن أهم هذه

---

(1) اسماعيل صبري مقلد، العلاقات السياسية الدولية، ط4،(الكويت – 1984)، ص354.
(2) المصدر نفسه، ص365

الاتفاقيات هي معاهدة التحالف والصداقة وتبادل المعونة والتي كانت من أبرز بنودها هـو تعهـد الطرفين بالوقوف بوجه أي عدوان خارجي على أي منهما.

وجاءت الانتكاسة الثانية في السياسة الأمريكية عندما تمكن الفيتنـاميون مـن تأسـيس دولـة شيوعية على أجزاء من فيتنام (فيتنام الشمالية) واجبار الفرنسين(الذين كانوا يحتلون فيتنام منـذ عشرات السنين) على الأنسحاب وفقا لاتفاقية جنيف عام 1954الأمر الذي حفـز الامـريكيين عـلى تبني موضوع فيتنام بشكل مباشر من خلال دعم حكومة فيتنام الجنوبية الموالية للغرب واعتبارها قاعدة متقدمة للنشاط الأمريكي في المنطقة.

أما الأزمة الأخطر فقد كانت الحرب الكوريـة.اذ بـدات المواجهـة حـول كوريـا عنـد انتهـاء الحرب العالمية الثانية عندما تقاسمت الأراضي الكوريـة كـل مـن القـوات السـوفيتية التـي احتلـت الجزء الشمالي منها والقوات الأمريكية التي احتلت الجزء الجنوبي.

ولم يتوصل الجانبان إلى أيجاد صيغة مشتركة لمعالجة القضية الكورية بشكل يـرضي جميـع الأطراف، الأمر الذي دعا الولايات المتحدة إلى عرض القضية على الجمعية العامة للأمم المتحدة. إلا إن الموضوع لم ينتهي عند هذا الحد إذ أن السوفيت رفضوا قـرار الجمعيـة العامـة بتشـكيل لجنـة تابعة لها لحل المشكلة وأجراء الانتخابات فيها، لذا فقد اقتصرت أعمال اللجنة على الجـزء الجنـوبي الذي جرت فيه الانتخابات وتشكيل حكومة كوريا الجنوبية في ايار عام 1948.

في ذات الوقت بادر الحزب الشيوعي الكوري الى اجراء انتخابات في الجزء الشمالي في ايلول من نفس العام وتشكيل (جمعيـة شـعب كـل كوريـا) في اشـارة الى تمثيـل جـزئي كوريـا الشـمالية والجنوبية ثم شكلت تلك الجمعيةحكومة تمثل كل كوريا أطلق عليهـا (حكومـة جمهوريـة كوريـا الشعبية) وحصلت على اعتراف دول المنظومة الشيوعية ومن بينها الصين.

أدى إنشاء حكومتين في شطري كوريا إلى إقدام القوات السوفيتية والأمريكية على الانسحاب من مناطق تواجدهما في كوريا. الا ان هذا الانسحاب عجل من المواجهة المباشرة بين حكومتي كوريا المدعومتين من الدول الكبرى.

في حزيران من عام 1950 اجتاحت قوات الشطر الشمالي الجزء الجنوبي من كوريا الأمر الذي دعا الولايات المتحدة الى استصدار قرار من مجلس الأمن في 25 حزيران 1950.

(وذلك بعد انسحاب المندوب السوفيتي عن جلسات مجلس الأمن) تضمن دعوة أعضاء الأمم المتحدة الى المساعدة في إيقاف ما أسمته بالهجوم العسكري لكوريا الشمالية على كوريا الجنوبية كما دعت الى وقف أي نوع من أنواع الدعم العسكري لحكومة كوريا الشمالية. كان القرار المذكور فرصة مهمة للولايات المتحدة للتدخل بشكل مباشر وتحت سلطة الأمم المتحدة بعد أن كانت الحكومة الأمريكية قد أعدت العدة للتدخل، اذ طلبت من القائد الأعلى للقوات الحليفة في المنطقة (ماك ارثر) تقديم الدعم العسكري لكوريا الجنوبية وهكذا اشتركت القوات الأمريكية بكافة صنوفها البرية والبحرية والجوية في هذه الحرب من خلال ضرب كوريا الشمالية بشكل مباشر.

لم تكتفي الولايات المتحدة بإزاحة القوات الشمالية عن الخط الفاصل بين الكوريتين (خط عرض 38 درجة) وانما اصدر ماك ارثر أوامره بالاندفاع داخل حدود كوريا الشمالية بهدف القضاء على النظام الشيوعي فيها وتوحيد الكوريتين.

ألا أن الأمر لم يمضي هكذا دون عواقب إذ بادرت الصين الى التدخل في هذه الحرب لنجدة القوات الشمالية (الشيوعية) من خلال إرسال آلاف الجنود تحت عنوان (المتطوعين) عبر الحدود بين الصين وكوريا .

وقد فعلت القوات الصينية فعلها المؤثر عندما أجبرت القوات الأمريكية على الانسحاب إلى خط العرض الفاصل الأمر الذي دفع (ماك ارثر) بإرسال إنذار إلى الصين يهددها بامتداد الحرب إلى أراضيها وذلك في اذار 1951. ونتيجة للأجراء الذي اتخذه ارثر دون الرجوع إلى حكومته وللمخاطر التي قد تنتج عن هذا التصريح في اتساع

نطاق الحرب بما ينذر بدخول إطراف دولية فيها كالاتحاد السوفيتي والصين، فقد اعلن الرئيس الامريكي ترومان قراراً يعزل ارثر عن قيادة الجيوش الامريكية في المنطقة مما ساعد على ظهور بوادر تطويق الحرب والازمة الدولية الناشئة عنها.

لقد أدى ذلك التطور إلى البدء بمفاوضات صينية -كورية شمالية،أمريكية استمرت حتى حزيران عام 1953 عندما تم توقيع اتفاقية الهدنة وبقاء الكوريتين منفصلتين ليس فقط جغرافيا وانما سياسيا وعسكريا وآيديولوجياً.

ان انتهاء الازمة الكورية دون غالب او مغلوب لم يقنع الولايات المتحدة ولا الاتحاد السوفيتي بالتوقف عن الحرب الباردة بمختلف مناطق العالم، لا سيما بعد الهزيمة الكبرى التي منيت بها فرنسا في فيتنام وهزيمة كل من فرنسا وبريطانيا في حرب 1956 ضد مصر. اذ ادى ذلك الى ظهور نتائج مهمة على صعيد العلاقات الدولية تمثلت باضمحلال دور القوى الدولية السابقة بشكل نهائي وبروز دور الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي كلاعبين اساسيين في العلاقات الدولية إذ تسابق كل منهما لمحاولة ملأ(الفراغ) الناتج عن هذا الوضع .

ويبرز هنا السعي الأمريكي الحثيث لمنع السوفيت من مد نفوذهم إلى منطقة الشرق الأوسط بحجة دعم حركات التحرر وغيرها من الشعارات التي كان بإمكانها ان تؤثر في شعوب المنطقة.وترجم هذا السعي تعزيز العلاقات الثنائية او تأسيس الأحلاف أو إطلاق برامج كان من ابرزها ما اطلق عليه (مبدأ ايزنهاور) الذي وافق عليه الكونغرس الأمريكي في كانون الثاني عام 1957 ويقضي بمنح صلاحيات واسعه للرئيس الأمريكي لتقديم المساعدات الاقتصادية و العسكرية لدول منطقة الشرق الأوسط التي تتعرض (لعدوان شيوعي) فضلا عن منح صلاحيات مالية واسعه لتقديم المساعدات اللازمة للدول التي تقبل العون العسكري الأمريكي وهو المشروع الذي اعتبر امتدادا عمليا لمشروع ترومان.

ان ابرز ماميز مرحلة ما بعد الحرب، ولاسيما في خمسينات القرن العشرين:

تصاعد الحرب الدعائية التي اتخذت من المبادئ الايديولوجية اساساً لها.

انغماس الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتي في حروب اقليمية وشؤون داخلية للعديد من دول العالم، كما حصل في الحرب الكورية 1950-1953 وما تلاها من مواجهات في الهند الصينية عندما اشتركت الولايات المتحدة بشكل مباشر ضد ما اسمته (بالقوى الشيوعية). وكذلك ماحصل في هنغاريا عندما تدخل السوفييت بالقوة العسكرية عام 1956 لانهاء الانتفاضة السياسية المعادية للنفوذ السوفيتي، والتدخل الامريكي في منطقة الشرق الاوسط، ولاسيما بعد انقلاب عام 1958 في العراق.

بالرغم من انشاء الامم المتحدة عام 1945 إلا ان هذه المنظمة الدولية بقيت اسيرة للتوازنات الدولية لاسيما بعد ان تصاعدت سياسة انشاء الاحلاف العسكرية كحلف شمال الاطلسي عام 1949 وحلف وارشو عام 1955 وحلف بغداد 1955 وقبله حلف جنوب شرق اسيا عام 1954. كما أقامت الولايات المتحدة شبكة واسعة من القواعد العسكرية في مختلف انحاء العالم وصلت إلى (3300) قاعدة موزعة على اكثر من (43) دولة. الامر الذي اضعف من دور المنظمة الدولية وحد من تحركها بشكل فاعل

تزايد نشاط حركات التحرر في اسيا وافريقيا وذلك على شكل انتفاضات او ثورات ادت إلى تخلص عدد من دول هذه القارات من الاستعمار المباشر وان بقيت اثاره جاثمة على مستقبل هذه الدول. إلا انها قررت ان يكون لها دوراً في بناء ذاتها وحتى في توجيه العلاقات الدولية بما يخدم مصالحها الامر الذي ساعد على انعقاد مؤتمر باندونغ في اندنوسيا 1955 ليكون بداية لتاسيس حركة عدم الانحياز الذي سوف يستمر دورها خلال عقدين من الزمان لايجاد حالة من التوازن في العلاقات الدولية وسط مواجهات الحرب الباردة بين القطبين الرئيسين في العالم.

تصاعد حدة سباق التسلح بشكل لم يسبق له مثيل، ولاسيما ما يتعلق بالاسلحة الاستراتيجية اذ كان ابرز معالم هذه المرحلة هو تسابق الطرفان في بناء ترسانة عسكرية هائلة من مختلف انواع الاسلحة ذات القدرة التدميرية الكبرى والبعيدة المدى، وطبقاً لهذه

السياسة تمكنت الولايات المتحدة الامريكية من اجـراء تجاربهـا عـلى القنبلـة الهيدروجينيـة في آذار 1953 وتلاها السوفيت في نفس العام، كما امتلك السوفيت مجموعة من الصواريخ العابرة للقارات وطور من اسلوبه الهجومي وشرع باقامة قوة نووية محمولة على غواصات، كـما تمكـن السـوفييت من اطلاق القمر الصناعي (سبوتيك) في 1957/10/4 لاغراض التجسس والاتصالات والذي مثل ذروة التسلح في تلك المرحلة.

الفصل العاشر

مظاهر الحرب الباردة في العالم

الفصل العاشر

مظاهر الحرب الباردة في العالم

ورث الرئيس الامريكي جون كندي[1] الـذي اسـتلم السـلطة مـع بدايـة عـام 1961 اوضـاعاً دولية معقدة وصعبة اجبرته على اتباع سياسة الشدة والتصعيد في العلاقة مع الاتحاد السوفيتي وفي التعامل مع القضايا الدولية.

خلال حملته الانتخابية شن هجوماً على المعسكر الشيوعي وطالـب بـان يكـون الـدعم اكبر لمنع امتداد نفوذ هذا المعسكر إلى القارة الامريكية لاسيما بعد الثـورة الكوبيـة عـام 1959، وعند توليه منصب الرئاسة في كانون الثاني عام 1961 اشار إلى: (اننا نوجه كلامنـا إلى الاصـدقاء والاعداء ونقول لهم ان مشعل الحرية قد انتقل إلى يد جيل جديد ولـد في هـذا القـرن وتطبـع في الحرب وتم تنظيمه وتدريبه في زمن سلم قاسي ومرير 0000 فلـتفهم كـل امـة، اننـا سـندفع كـل ثمـن وكـل عـبء ونتحمـل كـل مشـقة 00 لنضـمن بقـاء الحريـة ونجاحهـا) كانـت الادارة الامريكية السابقة في عهد الرئيس ايزنهاور قد ادخلت لعلاقات الامريكيـة السـوفيتية في نطـاق المواجهة والتصعيد، إذ ازدادت حدة المواجهة حول مسألة برلين منـذ عـام 1958 واسـتمرت إلى عهد كندي. ثم ازدادت طلعـات طـائرات التجسـس الامريكيـة فـوق الاراضي السـوفيتية والتـي افتضح امرهـا بعـد اسـقاط السـوفيت لاحـدى هـذه الطـائرات مـن نـوع (U2) فـوق الاراضي السوفيتية في مايس عام 1960 أي قبل عدة اشهر من بدء ولاية كندي[2]. فضلاً عـن الاوضـاع في امريكا اللاتينية والتي مثلـت الثـورة الكوبيـة التحـدي الاكـبر لـلادارة الجديـدة لاسـيما بعـد ان

---

1 جون كندي (1917- 1963) هو الرئيس الخامس والثلاثين للولايات المتحدة الاميريكيـة وهـو اصـغر رئـيس واول رئيس كاثوليكي اغتيل في 1963/11/22

(2) للتفاصيل انظر: مذكرات ايزنهاور، ترجمة يونغمان هيوبورت، (بيروت – 1969)، ص136.

اصبحت كوبا قاعدة مهمة للاتحاد السوفيتي عسـكرياً وايـديولوجياً. اضـافة الى تحـديات اخـرى في الشرق الاقصى والشرق الاوسط وافريقيا.

لذلك حاول الرئيس الجديد اعطاء الانطباع بأنه ليس اقل قوة من سلفه، اذ صرح مع بدايـة ولايتـه ان بلاده سوف تزيد من انفاقها العسكري، واكد ان الادارة السابقة لم تـتحلى بسياسـة الفعـل وانهـا كانـت مـترددة، لـذا فقـد دعـا إلى زيـادة القـدرة النوويـة والتغلـب عـلى الفجـوة الصـاروخية مـع السوفييت.

وطبقاً لهذه السياسة فقد زادت ميزانية التسلح مـن (40) مليـار دولار لعـام 1961/1960 إلى (44.66) مليار دولار في 1961 / 1962، كما توسعت حكومة كندي في انتاج الغواصـات النوويـة التي تحمل الصواريخ الاستراتيجية والتي اصبحت لها ميزات فنية عالية في مجال الدقة والقدرة على التخفي والتمويه.

اعطت هـذه المزايـا الثقـة للحكومـة الامريكيـة في التعامـل مـع القضـايا الدوليـة واتخـاذ القرارات الخطيرة كما سنرى في ازمة الصواريخ الكوبية، وتعبـيراً عـن هـذه الثقـة اشـار نائـب وزيـر الدفاع الامريكي إلى " ان نظام دفاعاتنا قد صممت وتمت حمايتها بطريقة تجعـل أي هجـوم عليهـا غير ذي تأثير كبير لذا فستتوفر لنا القدرة الهائلة للرد بالضربة الثانية تفوق قدرة السوفيت 000".

اولاً: الازمة الكوبية[1]

لا يمكن فصل الازمة الكوبية مع الولايات المتحدة عن التطورات الداخلية في كوبا فضلاً عن الصراع الامريكي السوفيتي. فمنذ نجاح الزعيم الكوبي فيدل كاستور في ثورته ضد نظام الرئيس باتستا الموالي للولايات المتحدة والداعم لسياستها في امريكا اللاتينية، بدأت المواقف المعادية من قبل الطرفين، فكوبا جزيرة تقع على مقربة من الاراضي الامريكية، وللولايات المتحدة مصالح اقتصادية واسعة في هذه الجزيرة، لذا فان التغيير السياسي فيها والاجراءات الناتجة عنه مثلت تحدياً كبيراً للادارة الامريكية ومصالحها(2).

وازداد هذا التحدي وزادت خطورته عندما بدأ التقارب ومن ثم التحالف بين القيادة الكوبية الجديدة والاتحاد السوفيتي. إذ وقع الجانبان اتفاقات عدة ابتداءً من شباط 1960، وفيها قدم السوفيت معونات اقتصادية كبيرة إلى كوبا مثلت بداية لتعاون في

---

1 استعمرت كوبا من قبل اسبانيا منذ اكتشاف الجزيرة عام1492 م واعتبرت خلال القرن التاسع عشر من اكثر المناطق ارتباطاً مع المصالح الامريكية لذا فقد عرضت امريكا على اسبانيا شراء جزيرة كوبا عام 1848 الا ان اسبانيا رفضت ذلك الامر الذي دعا الامريكين الى دعم ثورة عام 1895 وتبنيها بهدف السيطرة على كوبا، ثم جاء حادث غرق المدرعة الامريكية (ملين) في 1998/2/15 في خليج كوبا ومقتل 267 بحاراً امريكيا ليعطي المبرر الكافي للقوات الاميركية باحتلال الجزيرة وطرد القوات الاسبانية منها واستمرت السيطرة السياسية والعسكرية والاقتصادية على كوبا حتى عام1959.

عبد الملك عوده، رياح التغيير في الكاربي، مجلة السياسة الدولية، العدد 1 / 1965،ص31

(2) قامت الحكومة الكوبية الجديدة بعدة اجراءات اقتصادية كاصدار قانون الاصلاح الزراعي في مايس عام 1959 والذي تم فيه القضاء على الملكيات الكبرى، ومنها تابعة لافراد وشركات امريكية واوربية 00 واصدرت قوانين عدة لتأميم الصناعات ذات الرأسمال الاجنبي، وتقدر الاملاك التي تم الاستيلاء عليها من قبل الحكومة (5 مليون دولار) ومنها شركات الكهرباء والهاتف المملوكة لشركات امريكية.

مجالات عدة منها الجوانب العسكرية بهدف الوقوف بوجه المحاولات الامريكية لاجهاض التغيير الثوري في كوبا.

لقد كان من اولى الاهتمامات التي حرص عليها الرئيس كندي بعد استلامه منصب الرئاسة هو تصعيد السياسة المعادية لكوبا والتي بدأها سلفه ايزنهاور عندما قرر قطع العلاقات الدبلوماسية معها قبل ثلاثة اسابيع فقط من تولي الرئيس كندي. لذا فقد وجد الرئيس الجديد امامه مجموعة من الخطط المعدة من قبل ادارة الرئيس السابق، الامر الذي ادى إلى وقوعه تحت ضغوط كبيرة لاقرار هذه الخطط بأقرب وقت.

ان المتتبع لسياسة كندي في تلك المرحلة يشعر ان قراراته فيما يتعلق بكوبا مرتبطة بتأثير عوامل عدة منها:

*عامل شخصي: ناتج عن تأثير شعوره بالانتصار في الانتخابات لاسيما انه جعل قوة امريكا وهيبتها وانتصارها في الحرب ضد الشيوعية اهم عناصر حملته الانتخابية. لذا فكان لزاماًعلية اثبات ذلك في بداية رئاسته واثبات انه رئيس قوي في مواجهة خصومه الداخليين والخارجيين الذين يتهمونه بقلة الخبرة وصغر السن (اصغر رئيس امريكي) التي تعني ضعف التجربة.

*عامل اداري: العامل الاداري يتعلق بالمجموعة التي تحيط به وهي تتصف بحالتين: الاولى ان اعضاء مجلس وزرائه ومستشاريه هم من اصغر الموظفين الرسميين سناً واقلهم تجربة، والحالة الثانية ان موظفي وكالة الاستحبارات الامريكية كانت قد اعدت الخطط وعملت على اقناعه بجاهزية هذه الخطط وضمان نجاحها في تحقيق الهدف الاساسي وهو القضاء على التجربة الشيوعية في كوبا.

* العامل الاعلامي: تأثر كندي بالتحليلات والمعلومات الصحفية التي توقعت ان أي فعل عسكري ضد كوبا سوف يلقى ترحيباً من قبل الشعب الكوبي الذي سوف يثور على قيادته الجديدة وبالتالي يكون غزو كوبا عملية سهلة مدعومة داخلياً وخارجياً.

لذلك كله وافق كندي على خطة انزال قوات من المتمردين الكوبيين، كان قد تم تدريبهم من قبل وكالة المخابرات الامريكية في غواتيمالا، وجهزوا بالاسلحة على

السواحل الكوبية بواسطة سفن تجارية مستأجرة من قبل الولايات المتحدة. كما تم تجهيز طائرات حربية يقودها طيارون كوبيين لضرب الاهداف الحيوية في كوبا. الا ان موافقة كندي على الخطة كانت مشروطة بعدم اشراك القوات الامريكية بشكل مباشر في عملية الانزال حتى تظهر للعالم بأن العملية صراع داخلي على السلطة، فضلاً عن عدم رغبته بالاصطدام بالاتحاد السوفيتي حليف النظام في كوبا.

في 15 نيسان عام 1961 (أي بعد ثلاثة اشهر من تولي كندي الرئاسة). انطلقت عملية الغزو بعدة سفن محملة بالمتمردين الكوبيين بهدف انزالهم على السواحل الكوبية في (خليج الخنازير) والتي ستكون نقطة الارتكاز لانطلاق تلك القوات وانتشارها داخل الارض الكوبية، في ذات الوقت شنت الطائرات الامريكية عدة هجمات على المواقع الكوبية. إلا انه ومع مرور اليوم الاول والثاني من العملية اتضح انها لم تسير وفق ما خطط لها. فقد تمكنت الدفاعات الكوبية من اسقاط عدد من الطائرات المغيرة، كما تمكن الجيش والمليشيات المساندة لكاسترو من مهاجمة السفن وافشال عملية الانزال. ولم تمضي اربعة ايام على الهجوم حتى اتضح ان عملية (خليج الخنازير) قد فشلت.

رفض كندي دعوات من ادارته باشراك القوات الامريكية بشكل مباشر خشية الاصطدام مع السوفيت الذين ارسلوا مذكرة كتبها الزعيم السوفيتي خروشوف* هدد فيها بأنه سيقوم (بكل عمل ضروري للشعب الكوبي ما لم توقف الولايات المتحدة غزوها). وقد رد كندي على ذلك برسالة حذر فيها السوفيت من التدخل في القتال الدائر لأنه في هذه الحالة سوف ترمي الولايات المتحدة بكل ثقلها لحماية حدودها.

---

* خروشوف: هو نيكيتا سرجيفتش ولد عام 1894 عمل في بداية حياته صانع للاقفال انظم الى الحزب الشيوعي عام 1918 ثم عين سكرتيرا للجنة المركزية للحزب الشيوعي بعد وفاة ستالين عام 1953 وانتقد سياسته، قاد الاتحاد السوفيتي في اصعب مراحل الصراع مع الولايات المتحدة، اضطر للتنحي عن السلطة عام 1964 بعد الهزيمة المعنوية للسوفيت في ازمة الصواريخ الكوبية

كان لهذه العملية ونتائجها (التي اعتبرت هزيمة لكندي وارائه) ذات تأثير سلبي على الولايات المتحدة وعلى الرئيس شخصياً. اذ افتتح عهده في البيت الابيض بفشل كبير على صعيد السياسة الخارجية. ولاسيما ان وصوله للحكم جاء على خلفية وعوده وخطاباته النارية التي توعد فيها اعدائه بالمنطقة والعالم بأخطر العواقب.

اما هم نتائج هذه العملية:

أ- قيام كندي بتغير شامل في ادارته خاصة في وكالة الاستخبارات، اذ تمت اقالة رئيس الوكالة (الن دالس) فضلاً عن تزعزع الثقة بين الرئيس والدوائر المحيطة به لاسيما العسكرية منها، والبدء بالاعتماد على تقديراته وتحليلاته مع استشارة المقربين منه.

ب- عملية الغزو حفزت القيادة الكوبية واعطتها المبررات الكافية بالعمل لحماية نفسها وامتلاك قوة رادعة مما هيأ الاجواء لولادة ازمة جديدة اخطر من سابقتها على السلام العالمي.

فقد تصاعدت وتيرة التحالف الاستراتيجي بين كوبا والاتحاد السوفيتي لتبلغ ذروتها بقيام الاخير بنصب قواعد عسكرية لاطلاق صورايخ متوسطة وبعيدة المدى تحمل رؤوساً نووية داخل الاراضي الكوبية. واشار الرئيس كاسترو في حديث صحفي إلى انه اراد نصب هذه الصواريخ افهام الولايات المتحدة بان ضرب كوبا يعني الحرب على السوفيت.

تمكنت المخابرات الامريكية من اكتشاف هذا الموضوع الذي كان يجري بسرية تامة من قبل متخصصين سوفيت داخل كوبا وذلك في ايلول من عام 1962، كما تم استخدام الاستطلاع الجوي لالتقاط الصور وتحليلها.

بدأت الادارة الامريكية بالبحث عن الوسائل الممكنة لوقف هذا الخطر الكبير الداهم على حدودها. وشكلت لجنة في تشرين الاول 1962 اطلق عليها (اللجنة التنفيذية لمجلس الامن الوطني) من وزير الدفاع والخارجية والاستخبارات وغيرهم وذلك لايجاد افضل السبل لمعالجة لموقف.

كان الرئيس كندي متأثراً وهو يبحث هذه الازمة ويضع الخيارات المناسبة لمواجهتها بعدة امور:

أ- التجربة الفاشلة لغزو كوبا عام 1961 ونتائجها المريرة.

ب- مخاطر المواجهة المباشرة مع الاتحاد السوفيتي وكل ما يعني ذلك من احتمالات كارثية على الدولتين.

ت- عدم تقبل كندي لتهديد نووي على حدوده يضغط عليه ويحد من قدراته في تنفيذ السياسة الخارجية التي رسمها تجاه مختلف المناطق ومن بينها امريكا اللاتينية.

في 1962/10/2 وجه الرئيس كندي خطاباً إلى الشعب الامريكي اتهم فيه الاتحاد السوفيتي بالاعداد لهجوم نووي ضد الاراضي الامريكية، واشار إلى وجود قواعد لصواريخ هجومية على الاراضي الكوبية وانها تحمل رؤوس نووية، وان هذه الصواريخ يمكنها الوصول إلى جميع الاراضي الامريكية. واعلن في الخطاب نفسه عن اتخاذ اجراءات عديدة منها:

أ- فرض حصار بحري شامل مشدد حول الشواطئ الكوبية بغية منع وصول الاسلحة والصواريخ اليها.

ب- اصدار الاوامر للاستعداد العسكري للقوات الامريكية من بينها وضع منصات الصواريخ النووية في حالة تأهب قصوى وابحار (18) سفينة حربية في البحر الكاريبي، فضلاً عن تحليق الطائرات العملاقة (B52) وهي في حالة استعداد هجومي بالاسلحة النووية.

ت- توسيع حالة التهديد ليشمل الاتحاد السوفيتي اذ اعلن ان الرد سوف يشمل الاتحاد السوفيتي وقواعده في العالم.

ان الاعلان الامريكي لهذه الاجراءات قد وضع العالم على شفى حرب نووية مدمرة كما انها جعلت الولايات المتحدة في وضع لا يقبل المساومة او التراجع لأن ذلك سوف يقلل من مصداقيتها وهيبتها الدولية.

كما انها لم تعط فرصة للطرف الاخر، فأما ان يتراجع وهذا فيه مساس لمكانة وهيبة الاتحاد السوفيتي كقوة عظمى، اوان تتحدى القرار الامريكي وذلك يعني المواجهة المباشرة بكل ما يحمله من مخاطر.

ونتيجة لخطورة الموقف فقد تبادل الرئيسان الامريكي والسوفيتي عدة رسائل دارت حول ثلاث نقاط اساسية.

1. سحب الصواريخ من كوبا وتفكيك قواعدها.
2. رفع الحصار عن كوبا والتعهد بعدم غزوها.
3. ان توافق الولايات المتحدة على تفكيك صواريخها في تركيا.

وفي الوقت الذي تم الاتفاق فيه على النقطة الاولى والثانية فان الامريكيين رفضوا الاستجابة للنقطة الثالثة. وزاد من خطورة الموقف اسقاط السوفييت لطائرة تجسس امريكية على الاراضي السوفيتية في 1962/10/27 ومقتل طيارها. إلا انه وبرغم هذه العقبات اعلن راديو موسكو في 10/28 موافقة الرئيس على سحب الصواريخ الكوبية وتفكيك قواعدها باشراف الامم المتحدة مقابل رفع الحصار عن كوبا، والتعهد بعدم غزوها. وهكذا انتهت الازمة والتي مثلت امتحاناً صعباً مرت به العلاقات الدولية كما مثلت بداية جديدة في تلك العلاقات.

اثر الازمة على العلاقات الدولية:

لقد اعتبرت ازمة عام 1962 ذروة المواجهة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية. إلا انها في الوقت نفسه تركت اثار مهمة في طبيعة العلاقة بين القطبين المتنافسين وفي علاقتهما مع دول العالم.

أ- ان احتمالات المواجهة العسكرية الشاملة واثارها الكارثية المتوقعة على الجميع جعل من انفراج هذه الازمة وغلبة منطق العقل والحكمة على منطق الهيبة والكرامة الشخصية بمثابة بداية لانطلاق علاقة جديدة بين القوتين العظمتين اطلق عليها المحللون السياسيون (بعصر الانفراج الدولي). فمثلاً لم يستغل الرئيس الامريكي الموقف لاذلال السوفيت باعتبارهم هزموا في المواجهة، بل انه

بادر إلى ارسال برقية إلى خروشوف يعتذر فيها عن خرق طائرة التجسس (U2) للاجواء السوفيتية كما تم الاتفاق على انشاء (خط ساخن) للاتصال المباشر بين الرئيسيين للبحث في الازمات التي قد تحصل مستقبلاً*.

وفي هذا الصدد اشار كندي في خطاب له في 10 كانون الثاني 1963 إلى "ان ايجاد سلام عادل حقيقي ومنع سباق التسليح يمثلان مصلحة اساسية مشتركة للمعسكرين الشرقي والغربي " وابدى استعداده لوقف التجارب النووية فوراً.

وطبقاً لذلك فقد تم الاتفاق على توقيع معاهدة الحظر الجزئي للتجارب النووية وذلك في موسكو في 1963/8/5 وصادق عليها الكونغرس الامريكي في 9/24 من نفس العام.

ب- اثرت هذه الازمة على طبيعة العلاقة بين كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي من جهة وحلفائهم من جهة اخرى. فالاتحاد السوفيتي اصبحت سمعته في مدى استعداده لدعم حلفاءه موضع شك وعدم المصداقية، فضلاً عن تأثير الازمة على الادارة السوفيتية اذ اضعفت من سلطات خروشوف الذي نحي عن السلطة خلال عام 1964. كما ان استهتار الطرفين المتنازعين بالتهديد باستخدام القوة الذرية دون الالتفات إلى مصالح حلفاءهم او التشاور معهم ادى إلى رد فعل داخل حلف الاطلسي قادته فرنسا، وفي حلف وارشو قادته رومانيا وكان ذلك بمثابة بداية لانفراط ما يسمى بنظام ثنائي القطبية.

ت- اصبح الحذر الامريكي اكثر فاعلية في تعامله مع الاحداث في العالم بشكل عام وفي امريكا اللاتينية بشكل خاص بهدف منع الاتحاد السوفيتي من امكانية تكرار

* تبين مدى الخطر الكبير الذي يمثله تأخير الرسائل والاشارات المتبادلة خلال الازمة الاخيرة، فالرسالة التي بعث بها خروشوف إلى كندي حول الازمة قدر لها ان تأخذ (12) ساعة لوصولها إلى البيت الابيض ويضاف اليها وقت الترجمة وفك رموز الشفرة، في الوقت الذي يكون فيه لعامل الزمن دوراً خطيراً في مثل هذه الازمات التي تتخذ اخطر القرارات فيها خلال دقائق.

تجربة كوبا في أي دولة اخرى في امريكا الجنوبية. ففي عام 1965 اعلن الرئيس الامريكي جونسون مبدأه القائل بانتهاء الفوارق بين الحرب المحلية والحرب الدولية، وذلك كون (اعداء الحرية) كما وصفهم يستخدمون حروب التحرير الوطنية لخدمة اغراضهم. وطبقاً لهذا الوصف جاء التدخل العسكري المباشر في الدومنيكان عام 1965 بعد اقرار الكونغرس بامكانية الاستخدام المنفرد للقوة في (الدول المهددة بالشيوعية) بشكل مباشر او غير مباشر وهذا ما سنجده في مناطق عديدة من العالم.

فرنسا تخرج عن المظلة الامريكية:

بدأت محاولات فرنسا الجدية للخروج من التبعية التامة للسياسة الامريكية مع عودة الزعيم الفرنسي (شارل ديغول) إلى السلطة في فرنسا عام 1958. إذ كان أول عمل قام به هو طلبه خطياً من الرئيس الامريكي (آيزنهاور) استبدال القيادة الامريكية لحلف شمال الاطلسي بقيادة ثلاثية تضم إلى جانب امريكا كل من فرنسا وبريطانيا. إلا ان هذا الطلب لقي عدم قبول من قبل مختلف الاطراف كل لاسبابه:

أ- من الولايات المتحدة باعتبارها صاحبة القوة النووية الاساسية في الحلف والتي اعطتها صلاحية القيادة بموجب انظمة الحلف.

ب- من انكلترا التي كانت لا توافق على معارضة الولايات المتحدة انطلاقاً من موقف تاريخي تمثل بدعم متبادل منذ اكثر من قرن. وكما وصف كسينجرالعلاقة الامريكية البريطانية بانها " لا ترتكز على اجراءات شكلية 000 وانما هي تعكس الثقة المشتركة والثقافة المشتركة، انها علاقات من نوع لا يحدها مطلب قانوني او وثيقة مكتوبة 0000"

ت- من باقي اعضاء الحلف كالمانيا وايطاليا الذين لم يرحبا بمثل هذا الطرح كونه يستثنيهما.

لذلك تأجل الطرح الفرنسي حتى ولاية كندي والتي عاد خلالها النشاط الفرنسي لتعزيز دوره الاقليمي والدولي بشكل مستقل عن السياسة الامريكية، وجاء ذلك بعد ان استجدت عدة امور على الساحة الدولية من بينها:

طرح كندي لفكرة الاندماج الاوربي في وحدة متكاملة يكون للولايات المتحدة فيها الدور القيادي في الجانب العسكري وعلى وجه الخصوص السلاح النووي الذي تحتكر انتاجه وتوزيع قواعد.

اسلوب ادارة ازمة الصواريخ الكوبية من قبل الادارة الامريكية والذي كشف عن تجاوز الاخيرة لمصالح حلفائها فضلاً عن التشاور معهم. لذا فقد وجدت فرنسا انها لا يمكن ان تكون تابعاً للقرارات الامريكية وتقبل نتائجها بدون تشاور مسبق معها وانما يجب ان تكون شريك في ادارة الازمات واتخاذ القرارات المهمة فيها.

رأى ديغول ان اوربا لم تعد المركز الرئيس للمواجهة بين القطبين الرئيسيين، وانما انتقلت ساحة المواجهة إلى مناطق اخرى من العالم في اسيا وافريقيا وامريكية اللاتينية، لذا فان خطر المواجهة على الساحة الاوربية بدأ يضمحل او تقل اهميته.

تراجع السوفيت عن المواجهة العسكرية افرز حقيقة واضحة ومهمة وهي ان السوفييت ليس بالخطر العسكري الداهم على اوربا وانما اثبتت الوقائع ان القيادة السوفيتية تعي تماماً مخاطر استخدام القوة العسكرية وخاصة السلاح الذري. فضلاً عن ذلك فأن السوفييت ابدوا مرونة كبيرة في طروحاتهم الايديولوجية لاسيما طرحهم فكرة (التعايش السلمي) بين العالمين الاشتراكي والرأسمالي.

لذلك كله اشار الرئيس الفرنسي شارل ديغول إلى رغبته بالعمل على الاستقلال في قراراته العسكرية، وفي ذلك يقول ديغول إلى ان: " فرنسا تريد ان يكون لها دفاعها المستقل 000 ان المبادئ والوقائع تتفق مع دعوة فرنسا لبناء قوة ذرية مستقلة وان هذا لا يمنع من المشاركة مع قوة الحلفاء غير ان مسألة الاندماج بالنسبة الينا هي شيء لا يمكن تصوره".

وانطلاقاً من هذا التوجيه بدأ الجنرال ديغول باتخاذ الخطوات اللازمة لتطبيقه:

اتجاه فرنسا لاقامة محور فرنسي – الماني لمواجهة اثار الحرب الباردة واتخاذ قرارات مستقلة فيما يتعلق باوربا وحلف شمال الاطلسي، ومسألة دخول بريطانيا إلى المجموعة الاوربية[1]. وقد حصلت عدة لقاءات بين ديغول والمستشار الالماني الغربي (اديناور) اسفرت عن توقيع اتفاقية التعاون عام 1963، وفيها تم التأكيد على التعاون المشترك والتشاور وتنسيق المواقف بين البلدين فيما يتعلق باوربا والحلف الاطلسي والعلاقة مع المعسكر الشيوعي. وبالرغم من تماشي المانيا مع الموقف الفرنسي إلا انه لم يصل إلى مستوى الطرح التي تبناه ديغول في الوقوف بوجه القيادة الامريكية للحلف.

تصاعد خطوات امتلاكها للسلاح الذري والذي بدأ عام 1960 باجراء تجاربها النووية في صحراء الجزائر، وذلك بهدف تكوين ترسانة نووية مستقلة بعيدة عن التحكم الامريكي. كما ان فرنسا رفضت التوقيع على اتفاقية حظر التجارب على الاسلحة النووية الموقعة في موسكو عام 1963.

وفي خطوة تهدف إلى تاكيد استقلال قراراتها السياسية والعسكرية فقد اعلنت فرنسا بأنه وان كانت عضو في الحلف الاطلسي إلا انها غير معنية بجانبه العسكري الذي يحتاج إلى اعادة تقييم وإلى ادخال تعديلات في اسلوب ادارته. وقد فسر ذلك بانه بداية الخروج عملياً من الحلف الذي يقوم اصلاً على موضوعة الدفاع وتوزيع الادوار العسكرية عند الازمات.

وتطبيقاً لهذا القرار لم تشترك القوات الفرنسية في مايس عام 1965 في مناورات الحلف، ثم تلاه قرار ديغول بالانسحاب من القيادة العسكرية الموحدة للحلف في 12 آذار عام 1966. وفي عام 1969 طُلب من الحلف الجلاء عن الاراضي الفرنسية (والتي كانت موجودة هناك منذ عام 1950).

في 25 آذار عام 1957وقعت عدد من الدول الاوربية (اتفاقية روما) لاقامة السوق الاوربية المشتركة وامتنعت بريطانيا عن المشاركة في هذه السوق، واستمر الموقف البريطاني حتى عام 1961 عندما تقدمت بطلب الانظمام إلى المجموعة الاوربية.

اتبعت فرنسا سياسة مستقلة عن الولايات المتحدة الامريكية في التعامل مع المعسكر الشرقي. ففي بداية 1964 اعترفت بالصين الشعبية وقطع العلاقات مع فرموزا (تايوان) وذلك خلافاً للرغبة الامريكية(1). اما في ما يخص الاتحاد السوفيتي فقد شهدت الفترة ما بين 1964 – 1968 انتعاش العلاقة الفرنسية السوفيتية كان من ابرز ملامحها زيارة ديغول إلى موسكو في حزيران من عام 1966 والتي اتفق خلالها على ضرورة استقلال القرار الاوربي عن المظلة الامريكية تبع ذلك زيارات متبادلة لوزراء خارجية البلدين. وان رأت موسكو بأن علاقتها مع فرنسا والموقف الفرنسي المستقل احدى حلقات اضعاف الغرب الرأسمالي، إلا ان فرنسا افشلت هذا الاعتقاد بموقفها الرافض والمندد بالغزو السوفيتي لاراضي جيكوسلوفاكيا عام 1968، كما ان التقارب الفرنسي الالمانى لم يعطي الثمار التي كانت تتوقعها موسكو في ايجاد محور اوربي غربي مناهض للولايات المتحدة الامريكية او على الاقل مستقل عنها.

كما ان سلطة ديغول الداخلية بدأت في عام 1968 بالاهتزاز من خلال المظاهرات العمالية والطلابية المناهضة للرئيس ديغول وسياسته الداخلية والخارجية. وقد بقيت الديغولية في فرنسا عنواناً للاستقلال في السياسة الخارجية واصبحت تياراً مهماً في فرنسا.

---

(1) انقسم العالم حول الصين اذ لم تعترف عدد من دول العالم لا سيما المرتبطة بالولايات المتحدة بحكومة الصين الوطنية التي تزعمها ماو تسي تونغ واستمرت بالاعتراف بحكومة تايوان باعتبارها ممثل للصين فيما اعترفت الدول الشيوعية بحكومة الصين الوطنية.

ثانياً: ازمة الكتلة الشيوعية:

عندما تشكل حلف وارشو عام 1955 بين كل من الاتحاد السوفيتي، بولندا، المجر، رومانيا، بلغاريا والمانيا الشرقية كان الهدف منه ايجاد جبهة موحدة لمواجهة الحلف الاطلسي بعد ان تم تقسيم العالم على اساس ايديولوجي وعلى الرغم من قيام هذا الحلف على اسس ايديولوجية وعسكرية وسياسية مشتركة الا ان بوادر الضعف في العلاقة بين دوله بدأت تدب فيه بشكل واضح وذلك مع بداية العقد السادس من القرن العشرين ولاسباب عدة:

أ- الشعور بأنه هذا الحلف كيان مصطنع انشأه الاتحاد السوفيتي لدعم مواقفه في حربه الباردة ضد الولايات المتحدة لذا فكانت قيادة الحلف واستراتيجيته وصنع القرار فيه سوفيتياً بشكل كامل مما ولد شعوراً بتسلط السوفيت على مقدرات تلك الدول.

ب- ازدياد المشاعر القومية لدى شعوب دول الحلف في الوقت الذي تنظر فيه النظم الشيوعية للمشاعر القومية نظرة عداء كونها تمثل اساساً برجوازياً مرفوضاً بالنسبة لها.

ت- الهزيمة الاعتبارية والعسكرية للاتحاد السوفيتي مع الولايات المتحدة في ازمة كوبا عام 1962 والتي القت على مصداقية دعم السوفيت لحلفائهم ضلال كثيفة من الشك، لاسيما ان الرئيس الكوبي قد اشار إلى انه لم يحدث خلال ايام الازمة أي تبادل للآراء مع السوفيت وانهم توصلوا إلى اتفاق لانهاء الازمة دون التشاور معه(1).

لهذه الاسباب وغيرها ظهرت بوادر ابتعاد بعض دول الكتلة الشيوعية عن الفلك السوفيتي بعد ان كانت في السابق لا تجرؤ حتى بالوقوف بوجه الساسة السوفيت.

---

(1) مقابلة مع جريدة القبس الكويتية 1984/4/2.

وقد اعتبر النموذج اليوغسلافي الذي تبناه الرئيس جوزيف بروز تيتو والمتمثل بالاستقلال الفكري والسياسي والعسكري عن الاتحاد السوفيتي مقبولاً لدى العديد من دول حلف وراشو ومن بينهم رومانيا.

1. رومانيا تتمرد على التسلط السوفيتي:

منذ عام 1958 استطاعت رومانيا ان تبدأ الخطوة الاولى للابتعاد عن الهيمنة السوفيتية، وذلك باجبارها الاتحاد السوفيتي على سحب قواته من رومانيا (وكانت تلك القوات موجودة منذ الحرب العالمية الثانية) مما اعطى للقادة السياسيين الرومانيين القدرة والحرية في التعامل بنوع من الاستقلالية بعيداً عن التبعية السوفيتية وان لم تصل إلى حد الابتعاد الكامل.

وتأتي الاوضاع الدولية لتساعد رومانيا على اتخاذ خطوات اكبر واكثر جرأة في تأكيد استقلاليتها عن السياسة السوفيتية، الامر الذي لم تستطع فعله دول عديدة في اوربا الشرقية. فقد ساعدت اجواء الوفاق بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة والتي سادت بعد ازمة الصواريخ الكوبية عام 1962، فضلاً عن الهزيمة الاعتبارية والعسكرية التي مني بها السوفيت في هذه الازمة على ان تخطو رومانيا خطوات عملية مهمة. ثم يأتي الخلاف العميق الايديولوجي والسياسي ومن ثم العسكري بين اكبر دولتين شيوعيتين في العالم الصين والاتحاد السوفيتي لتمثل حالة انشقاق في المعسكر الشيوعي شجع اطراف اخرى على ان تتخذ المواقف من هذا الخلاف طبقاً لمصالحها القومية.

لذلك ومنذ عام 1963 قامت رومانيا بعدة اجراءات بعيداً عن المظلة السوفيتية، بل وتتناقض معها ومع سياسة الاتحاد السوفيتي وحلف وارشو الذي يتزعمه السوفيت. ففي ذلك العام اقامت رومانيا علاقات تجارية مع المانيا الغربية من خلال افتتاح بعثة تجارية في العاصمة الرومانية (بوخارست) وقيامها باستيراد الالات والمعدات الالمانية الغربية، ومن ثم اقامة علاقات دبلوماسية معها في 30 كانون الثاني 1967. وذلك رغماً عن القرار السوفيتي الذي منع الدول التابعة لحلف وارشو من الاعتراف او التعامل مع

تلك الدولة. وبالرغم من اعتبار الاتحاد السوفيتي وحلفائه ذلك (خيانة) إلا ان رومانيا لم تهتم، بل نظرت إلى الفوائد المتأتية من هذه العلاقة، اذ زاد التبادل التجاري إلى (42%) عام 1967. كما بلغت القروض من المانيا الغربية إلى رومانيا مليارين ومائتا مليون مارك، فضلاً عن المشاريع الصناعية الكبرى التي بدأت المانيا الغربية بالمساهمة فيها داخل رومانيا، ثم بدأت باقامة علاقات اقتصادية مع يوغسلافيا ذات الخط المستقل ايديولوجياً وسياسياً وعسكرياً في المعسكر الشيوعي.

وفي عام 1964 اعلنت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الروماني (ان من حق كل دولة اشتراكية ان ترسم لنفسها وتتبنى الاشكال والوسائل التي تراها صالحة من اجل بناء الاشتراكية000 وانه لا يمكن ان يكون هناك حزب اب وحزب ابن 000) وذلك بالاشارة إلى العلاقة بين الحزب الشيوعي السوفتي والروماني. كما انها اتخذت قراراً بالغاء تعليم اللغة الروسية في المدارس الرومانية وقلصت الخدمة العسكرية الالزامية.

ولتأكيد استقلاليتها وتعميقها امتنعت رومانيا عن حضور مناورات حلف وارشو، كما انها لم تسمح باقامة مثل هذه المناورات على اراضيها. الامر الذي جعل التوقعات تذهب (من قبل المحللين السياسيين) بأن السوفيت سوف يقومون بعمل عسكري ضد رومانيا لاسيما انهم بعثوا باشارات محذرة في هذا الشأن عند اجتماع وزراء حلف وارشو قرب الحدود الرومانية (في اوكرانيا الغربية) في ايار من عام 1965. إلا ان التحذيرات السوفيتية لم تزد القادة الرومانيين إلا اصراراً على مواقفهم في اتباع سياسة خارجية مستقلة لاسيما في العلاقة مع الصين ويوغسلافيا والغرب على غير وقع السياسة الروسية.

في ايار 1966 وبعد لقائه بالزعيم اليوغسلافي (تيتو) صرح الرئيس الروماني نيكولاي تشاوسسكو بأنه " مصمم على صيانة استقلال بلاده وان الاحلاف العسكرية اصبحت فاقدة لروح العصر، وانها لم تعد تتفق مع اعتبارات السيادة القومية، كما وتعرقل اقامة علاقات طبيعية بين الدول، الامر الذي يفرض حلها او التخلص منها..".

في حزيران من عام 1966 استقبلت بوخارست (عاصمة رومانيا) رئيس وزراء الصين (شو ان لاي) في الوقت الذي تصاعدت فيه الخلافات السوفيتية - الصينية. فضلاً عن استقبالها لعدد من المسؤولين الامريكيين كما أقامت علاقات دبلوماسية مع (اسرائيل) على الرغم من قرار السوفيت بعدم اقامة مثل هذه العلاقات بسبب طبيعة العلاقة العربية - السوفيتية. كما انتقدت رومانيا بشدة الغزو السوفيتي لتشكوسلوفاكيا عام 1968.

2. الرفاق الاعداء (الخلاف الصيني - السوفيتي):

يمكن اعتبار انتصار الحزب الشيوعي الصيني في حربه ضد القوى المدعومة من الغرب والمتمثلة بقوات تشان كاي شك، واستلامه للسلطة في بكين عام 1949 دون مساعدة مباشرة من الجيش الاحمر السوفيتي، كما حصل مع عدد من الدول الشيوعية في اوربا الشرقية، له الاثر المهم والفعال في تمكن الصين من ان يكون لها قرارها المستقل في الجوانب الايديولوجية والسياسية، الامر الذي كان السوفيت ينظرون اليه بشيء من الريبة وعدم الارتياح انعكس ذلك على العلاقة بينهما، والتي بدأت منذ عام 1958 تأخذ بالتأزم انطلاقاً من اسباب عدة:

أ-الخلاف الآيديولوجي:

بدأت بوادر التقارب الامريكي - السوفيتي تأخذ ابعاداً اكثر وضوحاً في نهاية الخمسينات، لاسيما عندما نادى خروشوف (بالتعايش السلمي) مع الغرب في المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفيتي عام 1956. وفي هذا المؤتمر اشار خروشوف إلى " ان الامبرياليين اخذوا يسلمون بأن سياسة التحدث من مركز القوة قد فشلت وان ثمة اعراضاً من السلوك الهادئ اخذت تظهر فيهم 000 وهذا يعادل القول ان الامريكيين قد

تخلوا عن سياستهم القائمة على الحرب والعدوان وبأنهم اصبحوا من القوى المدافعة عن السلام ".

هذا التوجه وهذا الطرح عده الصينيون خروجاً بل تخلياً عن النهج الشيوعي بأصوله الماركسية اللينينية التي يتبناها القادة الصينيون وعلى رأسهم الزعيم ماو تسي تونغ، والذين كانوا ينتظرون تصعيد المواجهة مع الغرب الرأسمالي لاسيما بعد امتلاك السوفيت لعناصر القوة النووية والصاروخية. ولمعرفة طبيعة النهج الصيني في مواجهة الغرب الرأسمالي، نشير إلى اقوال ماو في هذا الصدد اذ يؤكد: " يجب ان يعرف كل شيوعي الحقيقة القائلة بأن البندقية هي مصدر القوة ". وفي مكان اخر يشير إلى احتمالات المواجهة ونتائجها قائلاً "اذا ما بلغت الامور اسو حالاتها وهلك نصف البشر فأن النصف الاخر سوف يبقى بينما تمحى الامبريالية من على وجه الارض ويصبح العالم بأسره اشتراكي المذهب 0000"[(1)].

في مؤتمر بوخارست (20 حزيران عام 1960) للاحزاب الشيوعية طفح هذا الخلاف عل السطح واصبح يأخذ طابع المواجهة الكلامية المباشرة. فقد وجهت الصين في هذا المؤتمر انتقاداً حاداً للاتحاد السوفيتي بسبب تبنيه سياسة المهادنة والتعايش مع الغرب، وجاء رد خورشوف عنيفاً، اذ وصف ماو بأنه (ستالين جديد) لا تهمه مصلحة الا مصالحه الخاصة وانه (يتشدق بنظريات عتيقة لم تعد تصلح للعصر الحالي " ووصفه بانه متزمت ومتطرف.

وذكر المؤتمر بأن الصينيين هم من خذلوا الاشتراكية عندما وضعوا العامل القومي اساساً في نزاعهم مع الهند (مما كلف القضية الاشتراكية ثمناً باهضاً).

في تموز من نفس العام اوقف خروشوف اصدار جريدة (الصداقة) وهي جريدة صينية تصدر في موسكو. وبدأ الاعلام السوفيتي يصف الطرح الصيني بالانحراف.

---

(1) نقلاً عن كولن باون بويتوموتي، من الحرب الباردة حتى الوفاق، ترجمة: صادق ابراهيم، ص179 –180.

وجاءت ازمة الصواريخ الكوبية وتراجع السوفيت فيها لتعطي المبرر للصين من اثبات طرحها المتهم للسوفيت بتخاذلهم (امام الغرب الامبريالي). ووجهت الصين انتقادها ايضاً للاتفاق الذي عقد عام 1963 الخاص بالحظر الجزئي على التجارب النووية وعدته (محاولة لمنع جميع الاقطار المحبة للسلام ومنها الصين بزيادة قدرتها الدفاعية بحيث تبقى الولايات المتحدة اكثر حرية في تهديد الدول وابتزازها ".

لقد وجدت الطروحات الصينية الصدى في العديد من الاحزاب الشيوعية في اوربا واسيا مثلاً في بلجيكا واستراليا والهند وبيرو، بل ان بعض الدول الشيوعية اعتبرتها فرصة للابتعاد عن الفلك السوفيتي وبناء قراراتها وسياساتها بشكل مستقل كما في رومانيا والبانيا.

لم يتأثر هذا النزاع بتغير القيادة السوفيتية عام 1964 عندما اقصي خروشوف، وحلت محله قيادة جماعية متمثلة بـ (برجنيف – وكوسيغن وبدغورني). اذ استمر السجال الايديولوجي بين الطرفين كل يدعي تطبيقه للنظرية الاشتراكية ويتهم الاخر بالخروج عنها.

في عام 1966 قاد ماو تسي تونغ ما اطلق عليها (بالثورة الثقافية) وهي محاولة لترسيخ الافكار الشيوعية الصينية في اجهزة الدولة في الصين وابعاد العناصر التي لا تتفق وهذه الافكار وهي في الواقع عناصر متعاطفة مع الطرح السوفيتي، لذا اتهموا بأنهم اصيبوا بعدوى (التحريفية السوفيتية) التي انتقلت من روسيا إلى الصين[1]. وكان اول ضحايا هذه الثورة رئيس الدولة ليو تشاو تشي والذي كان متأثراً بالمدرسة السوفيتية التي تتلمذ فيها منذ بداية الحكم البلشفي.

---

(1) ظهرت عدة مقالات في الصحف الصينية تشير إلى (التحريفية السوفيتية)، والتي وجد الصينيون انها ظهرت بتبني السوفيت لنظرية (ليرمان) والمنادية بعودة (مبدأ الربح) مما اعتبر بمثابة الردة على افكار الماركسية – اللينينية، جريدة الشعب الصينية بين حزيران وآب 1966.

ب-الخلافات السياسية والمواجهات العسكرية

كان للخلاف الصيني السوفيتي امتدادات اخرى وان بقي العنصر الايديولوجي، المحرك لهذا الخلاف.

فقد عملت الصين على امتلاك السلاح النووي وذلك للتقليل من الاعتماد على الاتحاد السوفيتي في مواجهة الولايات المتحدة الامريكية وحلفائها الاقليميين.

ومنذ عام 1960 بدأت الخطوات الاولى لتحقيق هذا الهدف والذي تحقق بشكل عملي في تشرين اول عام 1964 عندما نجحت الصين في احداث اول تفجير نووي تحت الارض لتصبح منذ ذلك التاريخ هماً مهماً في الحسابات الامريكية، فضلاً عن السوفيتية.

ان القوة العسكرية الصينية قد اعطت دفعاً لآرائها وطروحاتها في مواجهة الافكار والتوجهات السوفيتية إلى درجة جعلت ماو يرفض أي محاولات للتنسيق والتعاون في المشكلات الاقليمية، ولاسيما المشكلة الفيتنامية، اذ كان رد ماو على المحاولات السوفيتية لتنسيق المواقف معه (بصراحة اني لا اثق بكم).

اما ما يتعلق بالسياسة الخارجية السوفيتية فقد انتقدت الصين التقارب السوفيتي اليوغسلافي، وعدته تحالفاً لتحريف النظرية الماركسية - اللينينية). كما انتقدت الصين الغزو السوفيتي إلى جيكوسلوفاكيا عام 1968، اذ وصف ماو منطق التدخل السوفيتي بانه (منطق متطرف لقطاع الطرق يتصف به القياصرة الجدد لتبرير عدوانهم).

في عام 1969 انتقلت المواجهة الكلامية إلى صدامات عسكرية فعليه على الحدود بين البلدين، وكان السبب المعلن لهذه الصدامات هو النزاع حول مناطق حدودية يدعي كلا الطرفين عائديتها له، إلا ان المتتبع يعرف جيداً ان المشكلة كانت اعمق من نزاع حدودي.

ففي اذار من ذلك العام قتل (31) روسياً وعدداً اخر من الصينيين في مواجهات عسكرية مباشرة حول جزيرة (داما تسكي) المتنازع عليها وجرى المزيد من القتال في 14 آذار. وصدرت تهديدات عنيفة عن السوفيت محذرين الحكومة الصينية بأن (الاتحاد

السوفيتي يمتلك ترسانة مليئة بالصواريخ النووية000 فما لدى ماو واذنابه لمقاتلتنا000 لا شيء 000).

في 28 آب اصدر الحزب الشيوعي الصيني بياناً دعا فيه ابناء الشعب الصيني للاستعداد للحرب وبناء الملاجئ النووية، فيما حشد المزيد من القوات المسلحة على الحدود، ففي كانون اول 1969 كان هناك اكثر من (650) ألف جندي سوفيتي مدعومين بـ (675) دبابة من نوع (T62) مقابل (800) الف جندي صيني صحبة (2000) دبابة نوع (T52). فيما بقيت الصواريخ السوفيتية النووية في منغوليا في حالة تأهب وهي على مقربة من المنشآت النووية الصينية.

وجاءت تحليلات عدد من المحللين الاستراتيجيين إلى انه " في حالة حدوث نزاع نووي بين الطرفين فان في وسع السوفييت تدمير القوات الجوية والبحرية الصينية تدميراً شبه تام والحاق دمار واسع النطاق في مدنهم".

لقد حاول السوفييت ايجاد تحالف اقليمي مناهض للصين وهذا ما عملت عليه مع كل من الهند وتايلند واندنوسيا، وقد رأت الصين في ذلك احياء للمنطق الامريكي في اقامة احلاف عدوانية ضد التجربة الصينية.

3. الغزو السوفيتي لتشيكسلوفاكيا:

مع بداية عقد الستينات في القرن العشرين ومع مرور الاتحاد السوفيتي بعدة ازمات داخلية وخارجية لاسيما هزيمته المعنوية في ازمة الصواريخ الكوبية، ومع نمو المشاعر القومية لدى العديد من الدول التي كانت تابعة بشكل مباشر للسياسة السوفيتية سياسياً واقتصادياً وعسكرية، ظهر تيار في تلك الدول يدعوا لبناء تجربة سياسية مستقلة عن التجربة السوفيتية تزعمته في بادئ الامر يوغسلافيا ثم تطور ليشمل رومانيا والبانيا والصين، وهاهي جيكسلوفاكيا تحاول التملص من القبضة السوفيتية.

لقد عانت جيكوسلوفاكيا من السيطرة المباشرة للاتحاد السوفيتي على مقدراتها، فشكل النظام السياسي والاقتصادي فيها كان قد نقل بحذافيره من الاتحاد السوفيتي

والقائم على المركزية الشديدة[1]، والخضوع التام لسلطة الحزب الشيوعي السوفيتي الذي هو بمثابة القائد والموجه للحزب الشيوعي الجيكي. وعلى الرغم من وجود هيئات دستورية كالجمعية الوطنية والحكومة وغيرها إلا انها كانت خاضعة عملياً للحزب الشيوعي. ويشير احد الخبراء التشيكيين حول التبعية الكاملة لموسكو عندما يصور مثالاً على تلك التبعية " كان عندنا مصانع كاملة ضخمة تعمل بناءً على طلب موسكو من اجل تزويد الصين الشعبية بما تحتاج اليه من معدات، وبعد الخلاف الصيني السوفيتي تعطلت هذه المصانع ثم ارغمنا على تغيير نوعية انتاجها على الرغم من تكاليف ذلك الباهضة، وجيكوسلوفاكيا تزود العديد من الدول بآلاف الاطنان من الاسلحة دون ان تقبض ثمنها، وكنا مرغمين على شراء السكر الكوبي باسعار اغلى من السوق العالمية لدعم الاقتصاد الكوبي00000".

ونتيجة لتلك السياسة السوفيتية تجاه جيكوسلفاكيا والتي كانت تنفذ عبر حكومة جيكية موالية لموسكو، ازداد الاحتقان الجماهيري لاسيما عندما كانت تستخدم تلك الحكومة مختلف الاساليب لكبت حرية الناس في التعبير عن ارائهم بشكل صريح ورفضهم للوصاية السوفيتية.

وكانت الاوضاع في تلك الدولة تحتاج إلى شرارة صغيرة لتشتعل فيها الثورة ضد التبعية لموسكو. في تشرين الثاني من عام 1967 خرج عدد من الطلبة في تظاهرة ذات مطالب محدودة وعادية وهي معالجة انقطاع الكهرباء عن دور الطلبة. إلا ان قمع هذه التظاهرة الطلابية بالقوة اشعل الحماس لدى الطلبة ومناصريهم ليوسعوا من حجم مطالبهم ومواجهة الحكومة الموالية لموسكو والتي كان يترأسها (نوفوتني). ثم انعكس واقع الشارع المتأزم على اجتماعات اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الجيكي والتي كان

---

(1) يذكر احد الاقتصاديين مثالاً على ذلك فاذا ما وضعت خطة زراعية من المركز وصادف عدم ملائمة الطقس لهذه الخطة فان المسؤول عنها ينفذها بحذافيرها كما ارادتها هيئته العليا، وليس كما ارادته الطبيعة وان كلف ذلك خسائر باهضة.

فيها تيار مناصر لمطالب الشعب في وجوب اتخاذ الخطوات اللازمة لتحقيق استقلالية مقبولة عن السياسة السوفيتية. وقد اجبر (نوفوتني) على ترك منصبه كزعيم للحزب وتعيين شخصية مقبولة شعبياً هو (الكسندر دوتشيك).

ومع محاولة موسكو عبر رجلها المخلص (نوفوتني) الذي رتب لانقلاب عسكري فاشل ادى الى عزله تماماً عن الحياة السياسية، انطلقت في 22 آذار 1968 الخطوات الجيكية الواثقة باتجاه تجربة اشتراكية مستقلة تنظّم إلى ركب التجارب الاشتراكية في اوربا.

فقد الغيت جميع الانظمة والقوانين التي تحد من حرية افراد الشعب، وتم تخفيف الرقابة الصارمة التي كانت مفروضة على الصحف والمطبوعات الاخرى واعيد الاعتبار لعدد من السياسيين الذين عدتهم السلطة السابقة بأنهم خارجين عن الخط الاشتراكي او حتى معادين له. ومن بينهم (تسيزار) الذي بدأ يؤدي دوراً مهماً في تلك المرحلة.

في 28 آذار جرى انتخاب (مفوبودا) رئيساً للجمهورية، واعلن برنامج حكومته السياسي والذي دعا فيه إلى استقلالية القرار الجيكي، والتعامل مع دول العالم الاخرى على اساس الاحترام والمساواة.

لقيت التجربة التشيكية ترحيباً كبيراً من قبل رومانيا ويوغسلافيا، الامر الذي اثار مخاوف الاتحاد السوفيتي الذي سارع لانتقاد هذه التجربة من خلال وسائل اعلامه. لم يكتف السوفييت بالنقد الاعلامي، بل دعت موسكو لعقد قمة استثنائية لدول حلف وارشو لمناقشة الوضع في جيكوسلفاكيا. واعلن الزعماء المجتمعون في موسكو عن قلقهم من موجة التحرر في هذا البلد.

ردت القيادة الجديدة في براغ على التحرك باصرارها على السير قدماً في تجربتها مؤكدة على انها لن تسيء لعلاقاتها مع المعسكر الشيوعي. ولتأكيد هذا الاصرار اتخذت القيادة الجيكية في 29 آيار 1968 خطوات مهمة في الابتعاد عن الخط السوفيتي اذ اصدرت قرار حق الاضراب، كما بدأت بالاعداد لتطبيق نظام التسيير الذاتي (على وفق النهج اليوغسلافي). في 27 حزيران تصاعدت اللهجة العدائية في جيكيا ضد السياسة السوفيتية

وذلك عندما اصدر مؤتمر للكتاب والمثقفين في براغ بياناً عرف ببيان (الالفي كلمة)، وفيه تهجم صريح ولاذع ضد المنادين بالتبعية للسوفيت والذين وصفوا (بالجبناء والفاشلين الذين لا اخلاق لهم ولا مبادئ سوى خدمة السادة). ثارت ثائرة موسكو على لهجة هذا البيان الحادة، وشنت صحفها حملات عنيفة وصفت ما يحدث في براغ بأنه تمرد غير متوقع.

في 14 تموز انعقد مؤتمر قمة اخر لدول حلف وارشو، ووجهوا رسالة مشتركة إلى حكومة براغ فيها (تحذير صريح وشديد) من مغبة الاستمرار في النهج المعادي (للنهج الشيوعي). ومما جاء في تلك الرسالة " ان تطور الاحداث في بلادكم يثير فينا قلقاً عميقاً، ولا نستطيع الموافقة على وجود قوى معادية تدفع ببلادكم بعيداً عن الاشتراكية، لأن هذا يعرض للخطر مصالح النظام الشيوعي بأكمله ". وكان الرد الجيكي بليغاً وجريئاً عندما استقبلت براغ كل من الرئيس اليوغسلافي تيتو في 9 آب، والزعيم الروماني نيكولاي تشاوسسكو في 15 آب (وهما من الخارجين عن تبعية موسكو)، وقد استقبلا استقبالاً جماهيرياً كبيراً الامر الذي عدته موسكو تحالفاً او انحيازاً كاملاً لاعدائها من قبل براغ لابد من اتخاذ اجراء حاسم لمنع ذلك وينهي هذه التجربة ويوقف تأثيرها المستقبلي على باقي دول المعسكر الشيوعي.

انطلاقاً من ذلك اتخذ في 16 آب قرار الغزو السوفيتي للاراضي الجيكية وبدأت موسكو بالتنسيق مع حلفائها لتنفيذ ذلك.

في 21 آب 1968، استغلت موسكو وجود مناورات عسكرية لدول حلف وارشو على الحدود الجيكية لتجتاح القوات السوفيتية وحلفاؤها (بلغاريا، بولندا، المانيا الشرقية، المجر) الاراضي الجيكية ليبدأ عصر الاحتلال السوفيتي لدولة جيكوسلفاكيا. وتقدر قوات الاحتلال بـ (600.000) ستمائة الف جندي (80% منهم روس) مع اعداد كبيرة من الطائرات والاليات العسكرية فضلاً عن وجود (80) صاروخ موجهاً نحو براغ.

ونتيجة لحجم القوات الغازية وعنصر المفاجئة لم تبد القوات الجيكية أي مقاومة مسلحة، إلا ان الشعب الجيكي استخدم مختلف الوسائل السلمية للتعبير عن رفضه للاحتلال السوفيتي، ونتيجة لهذا الغزو. الغيت جميع الاجراءات الاصلاحية التي اتخذت من قبل الحكومة السابقة وتم اعتقال القيادات الحزبية الداعية إلى الاستقلال.

وفي الوقت الذي تعاطف فيه الغرب وعدد من دول العالم مع الشعب الجيكي، فان صناع القرار الامريكيين تفهموا ! الدوافع السوفيتية للقيام بالغزو، ولم تتأخر المحادثات المشتركة بين الطرفين حول مجمل القضايا الدولية لاسيما موضوع الوفاق وفيتنام وغيرها سوى وقت لم يتعد الشهور القليلة.

ثالثاً – الخلاف حول برلين

اعتبرت ازمة برلين من اخطر الازمات التي اججت الحرب الباردة بعد الحرب العالمية الثانية، اذ ساهم وضعها الشاذ على الخريطة السياسية الدولية* في مواجهات عديدة بين حلفاء الحرب لاسيما في عام 1948 عندما حاصرت القوات السوفيتية برلين لمنع الامدادات الغربية اليها، الامر الذي زاد من حدة التوتر وتعمق المواجهة بين الغرب والشرق الشيوعي.

وان انشغل اطراف المواجهة عن هذه المشكلة بعض الوقت بسبب طبيعة الاوضاع الدولية المتأزمة لاسيما في جنوب شرقي اسيا ألا انها كانت ضمن الازمات المزمنة التي تطفو على مسرح الاحداث بين الحين والاخر. وفي عام 1958 عادت المشكلة لتكون واجهة اخرى للصراع في الحرب الباردة، فقد اثار خورشوف وضع برلين عندما اقترح الغاء الاشراف الرباعي على المدينة وجعلها مدينة حرة منزوعة السلاح. وعندما

* قسمت برلين إلى اربعة اجزاء، تسيطر عليها الدول المنتصرة بالحرب وهي الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وبريطانيا وفرنسا، وعملياً قسمت برلين إلى الجزء الغربي الذي اصبح ضمن دولة المانيا الغربية والجزء الشرقي ضمن دولة المانيا الشرقية التابعة للاتحاد السوفيتي.

اجتمع وزراء خارجية الدول الاربعة المشرفة على برلين في آيار 1959 لم يتمكنوا من التوصل لاتفاق حول الموضوع على الرغم من رغبتهم في ايجاد تسوية للمشكلة، لذا دعوا إلى عقد مؤتمر اخر في باريس عام 1960.

وعند انعقاد المؤتمر تصاعدت المواجهة السياسية والاعلامية بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي على اثر تمكن السوفيت من اجبار طائرة تجسس امريكية من نوع (U2) على الهبوط واسر طيارها في الاراضي السوفيتية. الامر الذي جعل موضوع برلين في واجهة الصراع. اذ هدد الاتحاد السوفيتي بأنه سيوقع معاهدة منفردة مع المانيا الشرقية والذي سينهي شرعية الوجود الغربي في المانيا الغربية كونها دول احتلال. ولتأكيد هذه السياسة السوفيتية توجه خورشوف من باريس (بعد انسحابه من المؤتمر) إلى المانيا الشرقية مباشرة. الامر الذي اثار اعتقاد الامريكيين انه سوف يعلن الصلح بشكل منفرد مع الالمان، لذا فقد امر الرئيس الامريكي وزير دفاعه باعلان حالة الطوارئ في القوات الامريكية في كافة انحاء العالم. ان دفع الامور من قبل الطرفين بهذا الاتجاه جعل العالم يتجه مرة اخرى نحو اجواء المواجهة العسكرية والحرب الذرية. لذا فقد سارع خورشوف الذي كان يعي تماماً مخاطر سياسته تجاه برلين وما يترتب عليها من احتمالات المواجهة مع الطرف الاخر، إلى تهدئة الازمة.

وانهى زيارته إلى المانيا الشرقية دون ان يثير الموضوع الذي هدد به مسبقاً وجمدت القضية حتى عام 1961 وهو تاريخ وصول كندي إلى البيت الابيض.

حددت عوامل عدة تفاعلات قضية برلين في هذه المرحلة من بينها:

الاوضاع الداخلية غير المستقرة في الاتحاد السوفيتي وتهديد زعامته للعالم الشيوعي بعد تمرد عدد من الدول الشيوعية على تلك الزعامة مثل الصين والبانيا ورومانيا.

الخبرة الحديثة للرئيس الامريكي الجديد في مجال السياسة الخارجية، لاسيما انه وقع في ايامه الاولى تحت ضغط الفشل الذي مني به في عملية (خليج الخنازير).

لذا ففد حاول السوفيت استغلال الارتباك الذي اصاب السياسة الامريكية بعد الفشل في كوبا لتحقيق نجاح ما في هذا الوقت وذلك عندما اصدر خورشوف انذاراً تضمن تحديد فترة ستة شهور (بحلول كانون اول 1961) موعداً نهائياً للتوصل إلى اتفاق حول برلين.

قد يثار تساؤل: ما الذي يدفع الأتحاد السوفيتي للالحاح على حل قضية برلين؟ يمكن اجمال عدة عوامل اثرت على السياسة السوفيتية في هذا الجانب من بينها:

الرغبة السوفيتية لتحقيق انتصار سريع وملموس في المواجهة مع الغرب لتدعيم الجبهة الداخلية في الاتحاد السوفيتي وفي داخل الكتلة الشيوعية الذي ظهر عليها علامات التصدع.

والعامل الثاني والمهم هو ان الاحصاءات كانت تشير إلى ان الكيان السياسي في المانيا الشرقية كان مهدداً من عدة جوانب، فالنظام في المانيا الشرقية والذي يقوم على المركزية الشديدة في الاقتصاد والادارة السياسية، فضلاً عن تبعيته الكاملة للاتحاد السوفيتي ساعد على هروب اعداد كبيرة من سكانه باتجاه المانيا الغربية ذات النظام الاقتصادي والسياسي الحر والمدعوم اقتصادياً من دول غنية وقوية عسكرياً مثل الولايات المتحدة 000 وتشير الاحصائيات انه من الفترة بين 1949 – 1958 فر اكثر من مليوني الماني شرقي إلى المانيا الغربية وان معظم هؤلاء يمثلون الخبرات الفنية اللازمة للبناء الاقتصادي.

ولايقاف هذا النزيف في الخبرات والعمالة الفنية فقد عملت المانيا الشرقية على اغلاق حدودها مع المانيا الغربية والبالغة (850) ميل بالاسلاك الشائكة، فضلاً على وضع حقول الالغام وكان الذين يحاولون الهرب يتعرضون أما للقتل او الاعتقال. إلا انه بالرغم من ذلك فقد فر اكثر من (103) الف شخص عام 1961 إلى المانيا الغربية.

لذا اعتبر السوفيت وحلفاؤهم في المانيا الشرقية ان حل قضية برلين ذات اهمية كبيرة بالنسبة لهم ولمستقبل ووجود وبناء دولة المانيا الشرقية، لذا فليس من الغريب ان يهدد وزير خارجية الاتحاد السوفيتي (غروميكو) في تموز عام 1961، انه اذا تم توقيع

معاهدة صلح مع المانيـا الشرقيـة فـان القـوات السـوفيتية سـوف تنـتشر عـلى طـول الحـدود بـين الالمانيتين.

كما اقترح غروميكو امام الجمعية العامـة للامـم المتحـدة عـام 1961 ارسـال قـوات دولـة محايدة او تابعة للامم المتحدة من اجل حل المسـألة بعيـداً عـن اجـواء المواجهـة المحتملـة. إلا ان التهديدات السوفيتية ادت إلى رفع حالـة التـوتر في العلاقـة مـع الغـرب، لاسـيما عـلى الحـدود بـين الالمانيتين التي يوجد فيها ما يقارب (11) الف جندي غـربي لحمايـة حـدود المانيـا الغربيـة مـن أي عمل عسكري محتمل.

في 13 آب من عام 1961 خطت المانيا الشرقية خطوة ذات مـدلولات سياسـية وعسـكرية بعيدة المدى، وذلك عندما بدأت بعزل برلين الغربية بالاسلاك الشائكة ثم اسرعت ببناء جدار عـازل يفصل شرق المانيا عن غربها، وبررت انشاء الجدار بايقـاف الجواسـيس والمتمـردين مـن العبـور إلى المانيا الشرقية. وفي اثناء ذلك عزز كل من الاتحاد السـوفيتي والولايـات المتحـدة قـواتهما في المانيـا، وحصلت عدة مناوشات على الحدود بين الالمانيتين إلا انها بقيت محدودة.

لقد ساهم جدار برلين بتقليص عدد الهاربين من المانيـا الشرقيـة الامـر الـذي سـاعد عـلى انتعاش الاقتصاد فيها، كما ازال الاسـباب الرئيسـة التـي كانـت تضـغط عـلى السـوفيت لحـل هـذه القضية، فضلاً عن ان ظروفاً دولية اسـتجدت افرزتهـا ازمـة الصـواريخ الكوبيـة عـام 1962 أدت إلى حدوث انفراج في الحرب الباردة وتعميـق الازمـة الداخليـة في الاتحـاد السـوفيتي مـما خفـف مـن اهمية هذه المشكلة دولياً. لقد مثل الجـدار عنوانـاً تاريخيـاً للحـرب البـاردة اذ لخـص عـلى الارض طبيعة العلاقة بين الشرق والغرب والتي لم تصل إلى حـد التوافـق حتـى سـقوط هـذا الجـدار عـام 1991، والذي مثل مرحلة جديدة في التاريخ الانساني.

رابعاً-الغزو السوفيتي لتشيكسلوفاكيا

مع بداية عقد الستينات في القرن العشرين ومع مرور الاتحاد السوفيتي بعدة ازمات داخلية وخارجية لاسيما هزيمته المعنوية في ازمة الصواريخ الكوبية، ومع نمو المشاعر القومية لدى العديد من الدول التي كانت تابعة بشكل مباشر للسياسة السوفيتية سياسياً واقتصادياً وعسكرية، ظهر تيار في تلك الدول يدعوا لبناء تجربة سياسية مستقلة عن التجربة السوفيتية تزعمته في بادئ الامر يوغسلافيا ثم تطور ليشمل رومانيا والبانيا والصين، وهاهي جيكسلوفاكيا تحاول التملص من القبضة السوفيتية.

لقد عانت جيكوسلوفاكيا من السيطرة المباشرة للاتحاد السوفيتي على مقدراتها، فشكل النظام السياسي والاقتصادي فيها كان قد نقل بحذافيره من الاتحاد السوفيتي والقائم على المركزية الشديدة[1]، والخضوع التام لسلطة الحزب الشيوعي السوفيتي الذي هو بمثابة القائد والموجه للحزب الشيوعي الجيكي. وعلى الرغم من وجود هيئات دستورية كالجمعية الوطنية والحكومة وغيرها إلا انها كانت خاضعة عملياً للحزب الشيوعي. ويشير احد الخبراء التشيكيين حول التبعية الكاملة لموسكو عندما يصور مثالاً على تلك التبعية " كان عندنا مصانع كاملة ضخمة تعمل بناءً على طلب موسكو من اجل تزويد الصين الشعبية بما تحتاج اليه من معدات، وبعد الخلاف الصيني السوفيتي تعطلت هذه المصانع ثم ارغمنا على تغيير نوعية انتاجها على الرغم من تكاليف ذلك الباهضة، وجيكوسلوفاكيا تزود العديد من الدول بآلاف الاطنان من الاسلحة دون ان تقبض ثمنها، وكنا مرغمين على شراء السكر الكوبي باسعار اغلى من السوق العالمية لدعم الاقتصاد الكوبي00000".

(1) يذكر احد الاقتصاديين مثالاً على ذلك فاذا ما وضعت خطة زراعية من المركز وصادف عدم ملائمة الطقس لهذه الخطة فان المسؤول عنها ينفذها بحذافيرها كما ارادتها هيئته العليا، وليس كما ارادته الطبيعة وان كلف ذلك خسائر باهضة.

ونتيجة لتلك السياسة السوفيتية تجاه جيكوسلفاكيا والتي كانت تنفذ عبر حكومة جيكية موالية لموسكو، ازداد الاحتقان الجماهيري لاسيما عندما كانت تستخدم تلك الحكومة مختلف الاساليب لكبت حرية الناس في التعبير عن ارائهم بشكل صريح ورفضهم للوصاية السوفيتية.

وكانت الاوضاع في تلك الدولة تحتاج إلى شرارة صغيرة لتشتعل فيها الثورة ضد التبعية لموسكو. في تشرين الثاني من عام 1967 خرج عدد من الطلبة في تظاهرة ذات مطالب محدودة وعادية وهي معالجة انقطاع الكهرباء عن دور الطلبة. إلا ان قمع هذه التظاهرة الطلابية بالقوة اشعل الحماس لدى الطلبة ومناصريهم ليوسعوا من حجم مطالبهم ومواجهة الحكومة الموالية لموسكو والتي كان يترأسها (نوفوتني). ثم انعكس واقع الشارع المتأزم على اجتماعات اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الجيكي والتي كان فيها تيار مناصر لمطالب الشعب في وجوب اتخاذ الخطوات اللازمة لتحقيق استقلالية مقبولة عن السياسة السوفيتية. وقد اجبر (نوفوتني) على ترك منصبه كزعيم للحزب وتعيين شخصية مقبولة شعبياً هو (الكسندر دوتشيك).

ومع محاولة موسكو عبر رجلها المخلص (نوفوتني) الذي رتب لانقلاب عسكري فاشل ادى الى عزله تماماً عن الحياة السياسية، انطلقت في 22 آذار 1968 الخطوات الجيكية الواثقة باتجاه تجربة اشتراكية مستقلة تنظّم إلى ركب التجارب الاشتراكية في اوربا.فقد الغيت جميع الانظمة والقوانين التي تحد من حرية افراد الشعب، وتم تخفيف الرقابة الصارمة التي كانت مفروضة على الصحف والمطبوعات الاخرى واعيد الاعتبار لعدد من السياسيين الذين عدتهم السلطة السابقة بأنهم خارجين عن الخط الاشتراكي او حتى معادين له. ومن بينهم (تسيزار) الذي بدأ يؤدي دوراً مهماً في تلك المرحلة. في 28 آذار جرى انتخاب (مفوبودا) رئيساً للجمهورية، واعلن برنامج حكومته السياسي والذي دعا فيه إلى استقلالية القرار الجيكي، والتعامل مع دول العالم الاخرى على اساس الاحترام والمساواة.

لقيت التجربة التشيكية ترحيباً كبيراً من قبل رومانيا ويوغسلافيا، الامر الذي اثار مخاوف الاتحاد السوفيتي الذي سارع لانتقاد هذه التجربة من خلال وسائل اعلامه. لم يكتف السوفييت بالنقد الاعلامي، بل دعت موسكو لعقد قمة استثنائية لدول حلف وارشو لمناقشة الوضع في جيكوسلفاكيا. واعلن الزعماء المجتمعون في موسكو عن قلقهم من موجة التحرر في هذا البلد،ردت القيادة الجديدة في براغ على التحرك باصرارها على السير قدماً في تجربتها مؤكدة على انها لن تسيء لعلاقاتها مع المعسكر الشيوعي. ولتأكيد هذا الاصرار اتخذت القيادة الجيكية في 29 آيار 1968 خطوات مهمة في الابتعاد عن الخط السوفيتي اذ اصدرت قرار حق الاضراب، كما بدأت بالاعداد لتطبيق نظام التسيير الذاتي (على وفق النهج اليوغسلافي). في 27 حزيران تصاعدت اللهجة العدائية في جيكيا ضد السياسة السوفيتية وذلك عندما اصدر مؤتمر للكتاب والمثقفين في براغ بياناً عرف ببيان (الالفي كلمة)، وفيه تهجم صريح ولاذع ضد المنادين بالتبعية للسوفيت والذين وصفوا (بالجبناء والفاشلين الذين لا اخلاق لهم ولا مبادئ سوى خدمة السادة). ثارت ثائرة موسكو على لهجة هذا البيان الحادة، وشنت صحفها حملات عنيفة وصفت ما يحدث في براغ بأنه تمرد غير متوقع.

في 14 تموز انعقد مؤتمر قمة اخر لدول حلف وارشو، ووجهوا رسالة مشتركة إلى حكومة براغ فيها (تحذير صريح وشديد) من مغبة الاستمرار في النهج المعادي (للنهج الشيوعي). ومما جاء في تلك الرسالة " ان تطور الاحداث في بلادكم يثير فينا قلقاً عميقاً، ولا نستطيع الموافقة على وجود قوى معادية تدفع ببلادكم بعيداً عن الاشتراكية، لأن هذا يعرض للخطر مصالح النظام الشيوعي بأكمله ". وكان الرد الجيكي بليغاً وجريئاً عندما استقبلت براغ كل من الرئيس اليوغسلافي تيتو في 9 آب، والزعيم الروماني نيكولاي تشاوسسكو في 15 آب (وهما من الخارجين عن تبعية موسكو)، وقد استقبلا استقبالاً جماهيرياً كبيراً الامر الذي عدته موسكو تحالفاً او انحيازاً كاملاً لاعدائها من قبل براغ لابد من اتخاذ اجراء حاسم لمنع ذلك وينهي هذه التجربة ويوقف تأثيرها المستقبلي على باقي دول المعسكر الشيوعي.

انطلاقاً من ذلك اتخذ في 16 آب قرار الغزو السوفيتي للاراضي الجيكية وبدأت موسكو بالتنسيق مع حلفائها لتنفيذ ذلك.

في 21 آب 1968، استغلت موسكو وجود مناورات عسكرية لدول حلف وارشو على الحدود الجيكية لتجتاح القوات السوفيتية وحلفاؤها (بلغاريا، بولندا، المانيا الشرقية، المجر) الاراضي الجيكية ليبدأ عصر الاحتلال السوفيتي لدولة جيكوسلفاكيا. وتقدر قوات الاحتلال بـ (600.000) ستمائة الف جندي (80% منهم روس) مع اعداد كبيرة من الطائرات والاليات العسكرية فضلاً عن وجود (80) صاروخ موجهاً نحو براغ. ونتيجة لحجم القوات الغازية وعنصر المفاجئة لم تبد القوات الجيكية أي مقاومة مسلحة، إلا ان الشعب الجيكي استخدم مختلف الوسائل السلمية للتعبير عن رفضه للاحتلال السوفيتي، ونتيجة لهذا الغزو. الغيت جميع الاجراءات الاصلاحية التي اتخذت من قبل الحكومة السابقة وتم اعتقال القيادات الحزبية الداعية إلى الاستقلال.وفي الوقت الذي تعاطف فيه الغرب وعدد من دول العالم مع الشعب الجيكي، فان صناع القرار الامريكيين تفهموا ! الدوافع السوفيتية للقيام بالغزو، ولم تتأخر المحادثات المشتركة بين الطرفين حول مجمل القضايا الدولية لاسيما موضوع الوفاق وفيتنام وغيرها سوى وقت لم يتعد الشهور القليلة.

الفصل الحادي عشر

المنطقة العربية في قلب الحرب الباردة

الفصل الحادي عشر

المنطقة العربية في قلب الحرب الباردة

بالرغم من انشغال قطبي الحرب الباردة في المواجهة حول جنوب شرق اسيا والتي اخـذت منحى المواجهة العسكرية المباشرة في فيتنام، إلا ان المنطقة العربية لم تغب عـن اهتمامـاتهما اذا لم تكن في ضمن اهتماماتهما الاولى، لما تمثله من اهمية اقتصادية قصوى للغرب لوجود النفط، المحرك الاساس للحياة الاقتصادية والعسكرية في تلك الدول، واهمية استراتيجية لموقعه الجغرافي المهم جداً لجميع الاطراف. لذا كان التنافس في هذه المنطقة مـن نـوع اخـر ابتعـدت فيـه المواجهـة المبـاشرة عسكرية كانت ام سياسية.

فالحرب الباردة كان لها تأثيرها الواضح على الدول العربية والدول المجاورة لها وذلك مـن خلال تبني كل طرف من اطراف الحرب الباردة مجموعة من هذه الـدول لتمـدها بالمـال والسـلاح والمساعدات الاقتصادية، الامر الذي ادى إلى تنامي روح الانقسام والعداء بين دول المنطقة.

واعتبر عام 1958 من ابرز المراحل التي بدأت فيها تنامي المواجهة في الحرب البـاردة عـلى مسرح الشرق الاوسط. اذ شهدت المنطقة احداث مهمة لم تكن تلك اطراف بعيدة عن التصدي لهـا وتحريكها، مثل قيام الوحدة المصريـة السـورية، والتـي عـدها الغـرب انهـا موجهـة ضـد نفـوذه في المنطقة وتتبنى خطاً مؤيداً للاتحاد السوفيتي. ثم جـاءت الثـورة العراقيـة في 14 تمـوز 1958 بكـل تفاعلاتها الدولية والاقليمية لاسيما الانـزال العسـكري الغـربي في كـل مـن لبنـان والاردن، والتهديـد السوفيتي من خلال مناوراته العسكرية على الحدود مع تركيا، بعدها تـاتي احـداث لبنـان وتوابعهـا الاقليمية والدولية.

لذا عندما بدأ عقد الستينات من القرن الماضي كانت الدول الكـبرى قـد حـددت اهـدافها ورسمت سياساتها طبقاً لاستراتيجيات بعيدة المدى.

اولاً -المشكلة اليمنية

اليمن كدولة لم تكن في حد ذاتها منطقة جذب تتنافس عليها القوى الاقليمية أو الدوليـة. فهي اكثر دول العالم تخلفاً وعزلة (في مرحلة البحث)، وكما وصفها احد الكتاب (اخر دولـة وشـعب من العصور الوسطى)، كما ان اراضيها لا تمثل مصـدراً للمـوارد الطبيعيـة. الا ان اهميتهـا تكمـن في موقعها الجغرافي المتمثل في قربها من حقول النفط في شبه الجزيرة العربية ومن القرن الافريقي ذو الاهمية الاستراتيجية، كما ان اليمن تمثل المنطقة المسيطرة على عنق البحر الاحمر من خلال اطلالها على مضيق باب المندب والذي يمثل ممراً مائياً حيوياً لمختلف دول العالم.

فمن هذا المنطلق جاء الاهتمام الاقليمي والدولي بالحرب الاهليـة في الـيمن بعـد انقـلاب قاده عبد اللـه السلال في ايلول من عام 1962 ضد الامام بدر، والذي اعتبرته القوى ادولية الفرصـة المناسبة للتدخل في هذه المنطقة كلٌ لأهدافه، فضلاً عن كونه مثل اختبار قوة النفوذ لكل طـرف في هذه البقعة الاستراتيجية.

بعد مرور اسبوعين فقط على انقلاب السلال ارسلت مصر قواتها العسكرية إلى اليمن عـن طريق الجو في بداية تورط مصري في الحرب الاهلية اليمنية كانت له اهداف معلنة منها الدفاع عن اليمن وثورتها ضد النفوذ الاستعماري وتماشياً مع المد القومي الثوري العربي 000الخ.وهناك اهداف خفية تتعلق بارتباطات مصر مع المعسـكر الشـيوعي ورغبـة القيـادة المصريـة بلعـب دور الزعامـة التاريخية العربية، فضلاً عن طبيعة العلاقات العربية التي كانت في تلك المرحلـة مـن اكـثر المراحـل انقساماً بين الاقطار العربية لاسباب عديدة لاسيما بين مصر والسعودية.

فقد وصل اكثر من 70 ألف جندي مصري لدعم قـادة الانقـلاب مسـتندة إلى دعـم دول تتشـابه في ارتباطاتها الدولية مثل العراق وسوريا في الوقت الذي دعمت فيه المملكة العربية السعودية الامـام بدر ووفرت له الماوى والدعم المادي والسياسي.

كيف تنظر اطراف الحرب الباردة إلى هذه الحرب ؟

كانت تلك الاطراف تنظر إلى هذه الحرب من زاوية مصالحها الاستراتيجية:

1. الولايات المتحدة الامريكية:

أ- اهم ما يقلق الادارة الامريكية هو تأمين النفط السعودي والذي يعتبر أي تهديد له انما هو تهديد حقيقي للمصالح الامريكية ولقوتها الاقتصادية والعسكرية، لذا فكان من اولى الاوليات لتلك الادارة هي المحافظة على الاستقرار السياسي للعربية السعودية، وتأمين مناطق النفط وضمان تدفقه.

ب- تأمين انسيابية المرور عبر البحر الاحمر للاغراض التجارية والعسكرية اذ ان البحر الاحمر يربط بين تواجد القوات البحرية الامريكية في البحر المتوسط وقواتها في المحيط الهندي، كما انه المنفذ لمرور ناقلات النفط والسفن التجارية الاخرى.

ت- محاولة الولايات منع وتقليص النفوذ السوفيتي في المنطقة والذي ازداد نشاطه في هذه المرحلة، ولاسيما في مصر والعراق وسوريا.

2. الاتحاد السوفيتي:

أ- الرغبة في تعزيز الوجود السوفيتي في المنطقة وكسب الانظمة السياسية العربية المؤيدة للتغيير الثوري في اليمن، والتأكيد لتلك الانظمة ان السوفيت حريصون على الوقوف مع حلفاءهم في مختلف الظروف.

ب- يأتي التدخل السوفيتي في اطار المنافسة على المدخل الجنوبي للبحر الاحمر والتي تمر عبره غالبية المصالح الغربية، وان التحكم في هذا المدخل يعني كسب جولة مهمة في الحرب الباردة.

ت- دعم القوات المصرية والتي تدخلت بشكل مباشر في الحرب لاسيما ان تسليح تلك القوات هو سوفيتي، كما ان هذا الدعم ياتي في مواجهة العون الامريكي للعربية السعودية ولقوات الامام بدر.

لقد جاء الاعتراف المصري والسوفيتي في غضون ثلاثة ايام بعد الانقلاب. وعندها طالب القادة الجدد الاتحاد السوفيتي بتقديم الدعم في مواجهة القوى المدعومة غربياً، وكان رد خوروشوف على ذلك

" ان أي تدخل في شؤون اليمن الداخلية لن يكون مقبولاً0000". وخلال الشهر الاول من عام 1963 وصلت اعداد كبيرة من المستشارين السوفيت إلى اليمن فيما أبدت القيادة السوفيتية استعدادها لدعم القوات المصرية.

اما الولايات المتحدة فلم تريد ان تعطي انطباعاً بانها بعيدة عن هذه المنطقة الحساسة من العالم، فقد جرت مخاطبات حول الموضوع بين الرئيس كندي والرئيس عبد الناصر كانت من نتائجها اعتراف الولايات المتحدة بالنظام الجديد في اليمن في 19 كانون اول 1962. وكان الهدف من هذا الاعتراف هو ايجاد نوع من التوازن مع التوجه السوفيتي المندفع باتجاه التدخل القوي في الازمة. كما هدف إلى اقناع المصريين بوقف التدخل العسكري في الشأن اليمني، فضلاً عن رغبة الولايات المتحدة بتقديم نفسها كوسيط لانهاء الازمة، إلا ان أي من اهدافها تلك لم تتحقق.

وعندما حصل تصاعد في التدخل العسكري الامريكي في فيتنام انعكس ذلك على الاهتمام الامريكي في موضوع اليمن إذ اقتصر هذا الاهتمام على الدعم المتزايد للعربية السعودية التي دخلت في مواجهات عسكرية مباشرة مع مصر عندما قصفت القوات المصرية مدن سعودية في 25 تشرين الثاني بحجة تواجد الملكيين (انصار بدر) فيها. وقبيل اغتياله اكد كندي تصميم الولايات المتحدة على الدفاع عن السعودية وسلامتها الداخلية وتأكيداً على ذلك ارسلت الولايات المتحدة سرب من الطائرات الامريكية المقاتلة إلى الرياض في دلالة واضحة على الدعم الامريكي، كما ارسلت مدمرة امريكية إلى ميناء جدة في 25 كانون الثاني 1962. في المقابل ازداد التدخل السوفيتي في الحرب من خلال الدعم المادي المباشر للقوات المصرية واليمنية، فضلاً عن الدعم السياسي للحكومة اليمينة. اذ استقبلت موسكو السلال في اذار عام 1964 واستقبل فيها استقبالاً حافلاً طوال (15) يوم.

كانت الحرب سجالاً بين الملكيين والجمهوريين، ففي صيف عام 1964 شن الجمهوريون بمعاونة (50) الف جندي مصري هجوماً شاملاً على خصومهم واجبروهم على التراجع، إلا ان عام 1965 شهد نجاحاً عسكرياً للملكيين بمساعدة مباشرة من العربية السعودية.

بعد هزيمة مصر في حرب حزيران 1967 مع اسرائيل انسحبت القوات المصرية، الامر الذي دعا السوفيت إلى تقديم الدعم مباشرة للقوات اليمنية لاسيما في اثناء حصار الملكيين للعاصمة صنعاء والذي استمر سبعين يوماً. إلا ان هذا الحصار فشل في اسقاط العاصمة الامر الذي ادى إلى مزيد من التفاوض والحوار والذي انهى الحرب عام 1970 عندما اعترفت العربية السعودية بالجمهورية العربية اليمنة وانهاء دعمها للملكين.

يمكن ان نسجل ملاحظتين في خصوص الحرب في اليمن واثرها في العلاقات الدولية:

أ- ان التنافس فيها لم يقتصر على الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي بشكل مباشر او من خلال حلفائهما، وانما دخلت الصين على خط المنافسة التي كانت علاقاتها قد توترت مع الاتحاد السوفيتي، وذلك بهدف ايجاد دور لها في اللعبة الدولية (الحرب الباردة). فقد دعمت الصين الجمهوريين وكان دعمها مقتصر على مجال الصناعة وطرق المواصلات. ويشير احد المراقبين ان جو التوتر كان يسود بين المستشارين الصينيين والسوفيت في صنعاء.

ب- فشل الامم المتحدة في انهاء الحرب ذلك بالرغم من النشاط الذي قام به الامين العام (يوثانت) لاقناع الاطراف المتصارعة في ايجاد حل للازمة، ويأتي هذا الفشل كون المنظمة الدولية كانت غير فعالة في حل الازمات الدولية نتيجة تسيد اجواء الحرب الباردة على العالم والتي حدت من نشاط المنظمة.

ثانياً – المشكلة الفلسطينية:

1. حرب عام 1967

عدت الولايات المتحدة اسرائيل قاعدتها المتقدمة والمضمونة في المنطقة والتي تسمح لها بالتدخل والتحرك والضغط على الاطراف الاخرى وفقاً لمخطط محكم يقوم على بناء القوة المسلحة الاسرائيلية بشكل مدروس لتكون متفوقة على القوى العربية مجتمعةً.

وابتداءً من عام 1960 اخذ التحالف الاستراتيجي بين الولايات المتحدة واسرائيل يأخذ طابعاً تصاعدياً. فقد اوعزت الولايات المتحدة إلى المانيا الغربية بفتح مجالات الدعم الاقتصادي والعسكري لاسرائيل. وبموجب اتفاق جرى بين الحكومة الالمانية والاسرائيلية فقد تسلمت الاخيرة اضافة إلى منح مالية (كتعويضات عن اضطهاد اليهود ابان الحرب العالمية الثانية) انواع مختلفة من الاسلحة كالدبابات التي وصلت اعدادها حتى عام 1965 إلى (200) دبابة.

الا ان الاحتجاجات العربية والتي قادتها مصر هددت بقطع العلاقات مع المانيا الغربية والاعتراف بالمانيا الشرقية من قبل جميع الدول العربية، ادى ذلك إلى تراجع المانيا عن دعمها المباشر والمعلن ليتحول إلى دعم امريكي مباشر دون وسيط. اذ اعلن الرئيس الامريكي جو نسون عن تزويد اسرائيل بأسلحة دفاعية وهجومية كصواريخ ارض - جو وارض – ارض، ثم اعلن عن بدء التعاون النووي بين الطرفين بحجة استخدام الطاقة النووية لتحلية مياه البحر.

اما السوفيت فكان دعمهم معروف لمصر عسكرياً واقتصادياً، ثم بدأوا بدعم سوريا بشكل متصاعد منذ عام 1966. اذ وصلت قيمة المساعدات السوفيتية لسوريا إلى 250 مليون دولار ومن الدول الشرقية 178 مليون دولار على شكل مساعدات اقتصادية وعسكرية.

إلا ان الموقف السوفيتي بدا متناقضاً في تعاطيه مع مشاكل المنطقة واتسم موقفه بعدم الوضوح، ففي الوقت الذي كانت تدعم فيه عبد الناصر كانت تتعاطف مع عبد الكريم قاسم والذي دخل في عداء معلن مع الحكومة المصرية، كما ان السوفيت رحبوا بالانفصال بين مصر وسوريا عام 1961، ثم عادت وقدمت دعماً مباشراً وكبيراً لمصر في حرب اليمن.

وهذا يعطينا انطباع ان المصلحة الآنية وليست الاستراتيجية هي التي تحدد السياسة الخارجية للاتحاد السوفيتي، فضلاً عن حالة عدم الاستقرار السياسي الداخلي بسبب التغيرات المستمرة في قمة الهرم السياسي السوفيتي نتيجه للصراع بين قيادات الحزب الشيوعي السوفيتي. يقابله استقرار في النظام السياسي الامريكي ووضوح في المؤسسات والادارات المتخصصة التي تتخذ القرارات الخارجية وفق دراسات معمقة واستراتيجية للمواقف والخطوات التي تخطوها مع خضوع تلك المؤسسات والادارات للرقابة التشريعية والتنفيذية العليا. لذا نرى القرارات الامريكية تكون لها ابعاد استراتيجية بعيدة المدى، كما ان تلك القرارات تتسم بالبرغماتية اذ تخضع السياسات والقرارات للمراجعة والتدقيق لتصحيحها وتعديلها طبقاً للمصالح الامريكية.

كان الهدوء على جبهات القتال بين العرب واسرائيل الذي كان سائداً منذ انتهاء العدوان الثلاثي قد بدأ بالانحسار ابتداءً من نيسان عام 1962 عندما حصل تصادم محدود حول بحيرة طبرية في سوريا. وقد ادان مجلس الامن اسرائيل في هذا الصدام العسكري. وفي اب عام 1963 قتل عدد من الاسرائيليين في المنطقة العازلة بين سوريا واسرائيل، وحال الفيتو السوفيتي من اتخاذ قرار يدين سوريا الامر الذي اعطى مبرراً للقوات الاسرائيلية باتباع (سياسة الانتقام) من خلال الاغارة على المواقع السورية.

ومع يأس الفلسطينيين من قدرة العرب على ارجاع اراضيهم قرروا تنظيم انفسهم في حركة سياسية – عسكرية مستقلة تعمل على تحرير الارض بأسلوب العمل الفدائي، وذلك ابتداءً من عام 1965.

ثم تصاعد الموقف بين جميع الاطراف مع بدء اسرائيل بتنفيذ مخططاتها في تحويل نهر الاردن إلى مستعمراتها، اذ قررت سوريا بدء العمل بمحاولات مماثلة لتحويل مجرى مياه نهر الاردن بالاتجاه المعاكس، إلا ان اسرائيل ردت بالمزيد من الغارات التي تشن على مواقع المشروع السوري والتي شلت العمل فيه تقريباً.

واعتباراً من عام 1965 تزايد العمل الفدائي ضد اسرائيل واصبح اكثر تنظيماً واشد ايلاماً للكيان الاسرائيلي، فقد تم قطع سكة حديد تربط القدس مع تل ابيب، وتفجير ملعب باحدى المستعمرات قتل فيه عدد من المستوطنين، وقدرت عدد غارات المقاومة الفلسطينية خلال عام 1965-1966 بـ (70) غارة، بالمقابل شنت القوات الاسرائيلية غارات على الحدود مع سوريا بحجة ضرب قواعد الفدائيين، كما اجتازت تلك القوات الحدود الاردنية ودمرت محطات ضخ المياه وذلك في ايلول من عام 1965.

في صيف عام 1966 استمرت الغارات الاسرائيلية على سوريا وازداد التوتر في المنطقة، الامر الذي ادى إلى تقديم كل من بريطانيا والولايات المتحدة مشروع قرار إلى مجلس الامن يدعو جميع الاطراف إلى الامتناع عن استخدام القوة. لقد اعلنت جميع الاطراف انها تعمل على منع حصول حرب شاملة في المنطقة، وكان الاتحاد السوفيتي من اكثر الاطراف حرصاً على عدم حصول مثل هذه الحرب وذلك انطلاقاً من اعتباره ان أي نتيجة لهذه الحرب هي خسارة له. ففي حالة انتصار العرب في الحرب سيعني ذلك تدخل امريكي مباشر في المنطقة لاهمية اسرائيل في الاستراتيجية الاقليمية وفي حالة انتصار اسرائيل فان ذلك يعني تحطيم لهيبة وسمعة السوفيت لدى الدول العربية كونه لا يجروء بالدخول مباشرة في مثل هذه الحرب لصالح العرب.

اما الولايات المتحدة فأنها كانت متورطة في حرب فيتنام وغير مستعدة للقتال في اكثر من جبهة، إلا انها في الوقت ذاته كانت مطمئنة للقوة الاسرائيلية التي بنتها هي بنفسها وفق تخطيط دقيق وبشكل يضمن التفوق العسكري الاسرائيلي على العرب.

وبالرغم من رغبة الجميع (المعلنة) بعدم التصعيد إلا ان احتمالات الحرب كانت في تصاعد مضطرد. في نيسان من عام 1967 دارت معارك جوية بين الطائرات السورية

والاسرائيلية، وهو الامر الذي عد نقطة التحول الرئيسة في المواجهة العسكرية. وفي الوقت نفسه أبلغت سوريا المصريين بوجود حشود عسكرية اسرائيلية على الحدود السورية مما اعتبروه مقدمة لاجتياح اسرائيلي للاراضي السورية، واكد السوفيت الخبر عندما ابلغوا مصر ان الحشود موجودة فعلاً. إلا ان الغريب في الامر ان دلائل كثيرة كانت تشير إلى ان هذه الحشود العسكرية الاسرائيلية، أما انها لم تكن موجودة او انها كانت مجرد مناورة اسرائيلية بإظهار الحشود وسحبها بهدف جر مصر والدول العربية إلى الحرب انطلاقاً من دراسة معمقة للقدرات المصرية والتي تشير إلى تفوق تسليحي وتدريبي ومعنوي اسرائيلي على القوات المصرية التي لم تكن مستعدة لخوض مواجهة عسكرية شاملة ولم تخطط لها اصلاً، في الوقت الذي استعدت فيه القوات الاسرائيلية.

ومن تلك الدلائل:

أ- انكار اسرائيل لوجود مثل هذه الحشود وطلبت من السفير السوفيتي التوجه إلى الجبهة للتأكد من ذلك إلا انه لم يفعل!!

ب- المخابرات المصرية ذهبت إلى المنطقة للتحقيق واكدت عدم وجود أي حشود عسكرية.

ت- يشكك المحللون في ان السوفيت ارادوا تصعيد الموقف ولكن ليس بالحد الذي يؤدي إلى نشوب حرب، وذلك يتعلق برغبتهم بتعميق نفوذهم في المنطقة العربية على اعتبار الصراع ضد اسرائيل يجلب لاصحابه الشعبية والتأييد.

ث- ان القيادة المصرية كانت تحت ضغط جماهيري عربي، ولاسيما انها اتهمت بأنها تحتمي وراء القوات الدولية الموجودة على خط المواجهة وانها لم تتخذ موقفاً من التجاوزات الاسرائيلية على الاردن وسوريا، لذا فانها تحت هذه الضغوط

والمشاعر الحماسية صدقت قضية الحشود ولم تنتبه إلى تكذيب هذه الاخبار، وذهبت في التصعيد إلى أبعد مدى[1].

وتأتي المرحلة الاكثر دارمتيكية عندما تطلب مصر على لسان رئيس اركان الجيش محمود فوزي من القوات الدولية بالانسحاب إلى منطقة خان يونس ورفح خشية تصاعد المواجهة. وكان الامر بالنسبة للمصريين هو استعراض للقوة دون حساب العواقب يؤكد ذلك الكيفية الاستعراضية التي ارسلت فيها القوات عبر شوارع القاهرة.

اما يوثانت الامين العام للامم المتحدة فقد خير الحكومة المصرية بين ابقاء القوات في اماكنها او يسحبها نهائياً. لقد كان قرار يوثانت قانونياً على الرغم من التقولات التي تعرض لها (يوثانت) قبل الحرب وبعدها كونه ينفذ سياسة امريكية او انه مؤيد لاسرائيل، اذ ان انشاء قوات الطوارئ الدولية يتضمن شرط ملزم وهو موافقة وتعاون الدول المستفيدة من تواجد القوات على اراضيها الامر الذي انتفى بطلب مصر انسحاب القوات والذي جاء في 8 مايس 1967.

وطبقاً لمناورة سياسة امريكية – اسرائيلية اقنعت بموجبها السوفيت بالتوسط لدى مصر بعدم البدء في الحرب، فقد اعلن الرئيس عبد الناصر انه لم يكون البادئ في الحرب بالرغم من ان قواته اصبحت مكشوفة امام الالة العسكرية الهائلة للقوات الاسرائيلية.

وفي خطوة غير مدروسة في المكان والتوقيت ولم تكن في صالح مصر على الصعيد الدولي اغلقت مصر مضايق تيران في وجه الملاحة الاسرائيلية او المتوجه اليها، الامر الذي واجه انتقادات شديدة من عدد من دول العالم فضلاً عن كسب اسرائيل لتعاطف تلك الدول.

---

(1) يشير المراقبون إلى ان عبد الناصر كان تحت تأثير الخوف من احداث انقلاب عسكري ضده شبيهة لما حدث في اليونان (نيسان 1967) وفي اندونسيا (انقلاب سوكارنو 1967) لاسيما ان هناك تناقض في المواقف مع بعض القيادات العسكرية المصرية.

لقد دارت رحى الحرب ابتداء من 5 حزيران وانتهت بهزيمة كبيرة للعرب في حرب خاطفة وسريعة حققت فيها اسرائيل مدعومة بقوة من الولايات المتحدة كامل اهدافها في المنطقة وخسرت الدول العربية اراض مهمة جداً.

الملاحظ في هذه الحرب:

أ- ظل دور الامم المتحدة ثانوياً وتابعاً لارادات الدول الكبرى.

ب- اعتماد الاطراف المتحاربة اعتماداً كاملاً على دعم القوتين الاعظم في العالم الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي، فكانت كأنها حرب بالنيابة عن الدولتين.

ت- ان القوتين المذكورتين كانتا حريصتين على عدم الدخول مباشرة في هذه الازمة كل لاسبابه الا انهما في الوقت ذاته كانا حريصين على ابقاء او تطوير نفوذهما في المنطقة.

ث- استمر عمل الخط الساخن (او الخط الاحمر) بين البيت الابيض والكرملن بشكل فعال خلال فترة الازمة لمنع أي حالة سوء فهم بين الطرفين لاسيما ان القطعات البحرية للطرفين متواجدة قريبة من بعضهما وقريبة من موقع الحدث في البحر المتوسط.

كان من ابرز نتائج هذه الحرب هو تغير الخريطة السياسية والجغرافية في المنطقة. اذ حسمت هذه الحرب مسألة التواجد الامريكي في المنطقة عندما تأكدت الاطراف الغربية ان الدور الامريكي اصبح مؤثراً وفاعلاً وقادراً على ملء الفراغ الذي قد تتركه بريطانيا فيما اذا انسحبت من المنطقة. وعلى هذا الاساس اعلنت بريطانيا انها أعدت خطة للانسحاب من منطقة (شرق السويس)، لاسيما في اليمن الجنوبية وامارات الخليج العربي التي سوف تحصل على (استقلالها) في عام 1970. اما الاتحاد السوفيتي فبدا انه قد بدأ يخسر مواقعه في المنطقة عل الرغم من علاقته الجيدة مع العراق وسوريا ونوعاً ما مع مصر التي سوف تتخلى بعد حين عن علاقاتها المتميزة مع السوفيت.

2. الشرق الأوسط يشعل ازمة دولية عام 1972

انتهت حرب عام 1967 بين العرب (واسرائيل) رسمياً ولم تنتهي واقعياً، إذ بدأت حرباً من نوع اخر اطلق عليها (حرب الاستنزاف) والتي تقوم على استمرار الغارات الجوية المتبادلة على المواقع العسكرية والاقتصادية الاستراتيجية، فضلاً عن العمليات العسكرية المحدودة. وفي الوقت الذي بدت فيه اسرائيل غير متأثرة بهذه الحرب كونها قادرة على تعويض اية خسائر مادية بفضل الدعم المفتوح من قبل الولايات المتحدة الامريكية غير ان مصر هي المتضررة من هذه الحرب ومن طول فترتها. ذلك لان المصريين كانوا قد خسروا معظم قدراتهم العسكرية التي دمرت خلال حرب حزيران 1967 وضعفت إلى حد كبير قدراتهم الجوية، فضلاً عن الاوضاع السياسية والاقتصادية والنفسية الصعبة التي يعيشها الشعب المصري بشكل عام نتيجة الهزيمة وتوابعها. لذا لم يكن امام القيادة المصرية لمعالجة الواقع القائم إلا اللجوء للاتحاد السوفيتي من اجل تقديم العون اللازم لاعادة بناء القدرات العسكرية وفق مستويات تسمح لها، ليس فقط للوقوف بوجه الآلة العسكرية الاسرائيلية الهائلة وانما من اجل احداث تفوق تسليحي يتيح للمصريين اعادة الاعتبار والكرامة المصرية والعربية التي يعتبرونها هدرت ايام الهزيمة وذلك من خلال حرب حاسمة يستعدون لها ويحققون فيها النصر. الا انه وكما عرف عن الاتحاد السوفيتي المتذبذب في مواقفه البرغماني في الحقيقية والمبدئي والثوري في العلن، ربط السوفيت محادثتهم مع المصريين بأجواء علاقاتهم مع الغرب. إذ ان هذه العلاقة بدأت ومنذ مطلع السبعينات تشهد انفراجاً على مختلف الصعد السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية مع دول اوربا الغربية كألمانيا وفرنسا وايطاليا. ثم ازداد التقارب السوفيتي الامريكي، لاسيما على الصعيد الاقتصادي اذ تشير الاحصاءات إلا ان الصادرات الامريكية ازدادت من (58) مليون دولار عام 1968 إلى (547) مليون دولار عام 1972 وإلى (1500) مليون دولار عام 1973 لتصبح الولايات المتحدة العميل الاقتصادي الاول للسوفيت. فضلاً عن ذلك تسارعت المفاوضات السرية

والعلنية من اجل ايجاد صيغ مشتركة لموضوع التسلح، وكذلك ايجاد التوافق بشأن النزاعات الاقليمية وكيفية حلها بما يضمن مصالح الطرفين.

كل ذلك كان حاضراً عندما طلب الرئيس المصري عبد الناصر من السوفيت اعادة بناء الجيش المصري والبدء بالاعداد لعمل عسكري ضد اسرائيل من خلال تزويد الجيش المصري بأسحلة متطورة كطائرات الميغ والصواريخ المضادة للطائرات وغيرها من الاسلحة التي تحقق التوازن العسكري مع الطرف الاخر. إلا ان التردد السوفيتي وضعف موقفه القى بضلاله على اسلوب تعامله مع مصر، إذ انهم وافقوا على تزويد مصر بالاسلحة المتطورة، إلا انهم ارسلوا معها اطقم سوفيتية للاشراف عليها وتشغيلها بهدف تحديد اهداف استخدام تلك الاسلحة.

لقد تم خلال عام 1970 نشر بطاريات صواريخ مختلفة الانواع في عدد من مناطق مصر كالاسكندرية والقاهرة واسوان. ووصل عدد الخبراء السوفيت إلى (20) الف خبير الامر الذي عده المصريون دعماً سوفيتياً مهماً اشعرهم بالاطمئنان والارتياح والامل في تحقيق النصر في المواجهات المستمرة مع اسرائيل، فضلاً عن الاعداد للحرب التي ينتظرها المصريون والعرب عامة.

في الاشهر الاخيرة من حياة عبد الناصر كانت اللعبة الدولية حاضرة في الشرق الأوسط، ولاسيما عملية تنسيق المواقف بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي اذ طرحت الولايات المتحدة مشروعها المعروف (بمشروع روجرز)[(1)] الذي هدف إلى ايجاد ارضية للحوار العربي - الاسرائيلي من خلال وقف العمليات العسكرية والبدء بمفاوضات ثنائية باشراف دولي لحل المشكلة.

المهم في الامر ان المشروع تمتع بمباركة امريكية سوفيتية الامر الذي حدى بالرئيس المصري (جمال عبد الناصر) استغلال هذا التوافق للضغط على السوفيت لتزويده بالاسلحة التي تخلق التوازن مع اسرائيل تحت مبرر خلق ارضية مناسبة للتفاوض على

---

(1)روجرز هو وزير الخارجية الامريكية في تلك المرحلة.

المشروع المذكور (التفاوض من موقع القوة)، ومن هذا المنطلق اعلن موافقته على المشروع.

إلا ان متغيرات حاسمة حدثت في المنطقة غيرت مسار الاحداث باتجاه مختلف:

أ- استمرار الغارات الاسرائيلية على مصر بالرغم من الاتفاق حول مشروع روجرز.

ب- وفاة الرئيس المصري جمال عبد الناصر في 1970/9/28 ووصول انور السادات إلى السلطة، والمعروف عن السادات نزعته المعارضة للنفوذ السوفيتي ووقوفه ضد المد الشيوعي في مصر والمنطقة العربية بشكل عام.

لقد حاولت موسكو اظهار حرصها على العلاقة مع مصر وان اتفاقاتها مع عبد الناصر ومساعداتها ليست مرتبطة بشخص الرئيس وانما كانت وفق منظور استراتيجي لدعم مصر ضد اسرائيل. ولاثبات ذلك فقد زادت من حجم المساعدات العسكرية لمصر خلال عامي 1970 – 1971. إلا ان هذه الخطوات السوفيتية لم تثن السادات عن اتخاذ خطوات مهمة للابتعاد عن السوفيت طبقاً لتصوراته حول السياسة السوفيتية والتي لم تكن بعيدة عن التجربة المريرة التي عاشها الشعب المصري والعربي في عام 1967، فضلاً عن تصوراته عن مكمن القوة في العلاقة الدولية، لاسيما فيما يتعلق بالشرق الاوسط. اذ توصل إلى ان مفاتيح حل المشكلة وتعقيدها ليس بيد الاتحاد السوفيتي وانما الاخير يحاول استخدام هذه المشكلة لتحقيق مكاسب ذاتية واستراتيجية في علاقته مع المعسكر الغربي، وان قراءة مصرية لموقف الاتحاد السوفيتي من المشكلة الفيتنامية يعطي تفسيراً واضحاً عن تخوف السادات من السياسة السوفيتية.

لقد عمل السادات على ابعاد جميع العناصر المؤيدة للاتحاد السوفيتي في القيادة المصرية وعلى رأسهم (علي صبري) عندما اتهمهم بتدبير محاولة انقلاب ضده في آيار 1971، كما بدأ باتخاذ خطوات باتجاه التقارب مع الولايات المتحدة لاسيما استقباله للمسؤولين الامريكيين ومنهم روجرز وزير الخارجية.

اما الموقف السوفيتي من ذلك فقد انصب للعمل على الدفاع عن مواقعهم التي اسسوها في المنطقة منذ سنوات عديدة. ففي ايار 1971 وصل الرئيس السوفيتي بدغورني إلى القاهرة يرافقه وزير الدفاع وابدى رغبته باستمرار العلاقات المتميزة مع مصر وتطويرها، فوجئ العالم بالتوقيع على معاهدة صداقة وتعاون خلال الزيارة المذكورة بين مصر والاتحاد السوفيتي مدتها (15) سنة. ويأتي عنصر المفاجئة هنا ان هذا التطور لم يكن يتناسب او يتماشى مع التدهور السريع في العلاقة بين البلدين، فلقد التزم السوفيت بزيادة مساعداتهم العسكرية لمصر لمواجهة (الخطر الاسرائيلي) مع تعهد مصر بعدم الدخول في احلاف او اتفاقات عسكرية مناوئة للاتحاد السوفيتي.

لقد بدأ للوهلة الاولى ان السياسة المصرية غير واضحة المعالم، فهناك حملة اعلامية وسياسية ضد الاتحاد السوفيتي ثم تقارب مع الادارة الامريكية وبعدها اتفاق للصداقة والتعاون لمدة (15) عام مع السوفيت، إلا ان بالامكان اعطاء تفسيرات او مبررات للسياسة المصرية يمكن اجمالها:

الحاجة المصرية الآنية المستعجلة للدعم العسكري السوفيتي لمواجهة محتملة في المنطقة لاسيما ان تسليح الجيش المصري منذ سنوات عدة هو تسليح سوفيتي ومن غير المنطقي تحويل هذا التسلح في هذا الوقت الحرج. لذا فقد عمل السادات على التماشي مع الرغبة السوفيتية في تطوير العلاقة في الوقت الذي لا يلزم نفسه بأي تعهدات مهمة.

محاولة السادات استغلال حرص الاتحاد السوفيتي لاستمرار دورهم في المنطقة وعدم خسارة مواقعهم لصالح الولايات المتحدة لاسيما ان السوفيت يعتبرون مصر قاعدة مهمة لتحركاتهم على الصعيدين العربي والافريقي فضلاً عن موقع مصر الاستراتيجي على البحرين المتوسط والاحمر، لذا فان السوفيت كانوا حريصين على ابقاء خيوط العلاقة مع مصر مهما كانت تلك الخيوط واهنة.

كان السادات تحت ضغط الرأي العام المصري والعربي المطالب بانهاء حالة اللاحرب واللاسلام والتخلص من اثار الهزيمة المرة في حرب 1967. لذا فقد كان يعلن ان عام الحسم بات وشيكاً بل حدد عام 1972 بأنه عام حسم المعركة. لذا فقد طالب

بالمزيد من المساعدات العسكرية السوفيتية وهذا يتطلب نوع من المرونة مع الحكومة السوفيتية.

قبل اندلاع حرب تشرين اول عام 1973 كان الاتحاد السوفيتي قد بدأ ضمن سياسة الوفاق اتخاذ خطوات يمكن ان توصف (بالبرغماتية) وبعبارة اكثر صراحة بعدم المبدئية من بينها الاتفاق مع الولايات المتحدة على رفع قيود هجرة اليهود السوفيت إلى فلسطين المحتلة[1] الامر الذي ساهم في اضعاف ثقة العرب بالاتحاد السوفيتي.

في 8 تموز من عام 1972 اعلن السادات سيطرته على القواعد الجوية والمنشآت العسكرية التي شيدها السوفيت في مصر، كما قام بطرد الاف الخبراء السوفيت. وقد بدا ان العلاقات بين البلدين تسير إلى مزيد من التدهور لاسيما بعد الرسالة التي ارسلها برجنيف إلى الرئيس السادات ووصف بانها شديدة اللهجة والتي رد عليها السادات بعنف بخطاب امام مجلس الشعب 1972. إلا ان العلاقات لم تنحدر إلى مستوى اللاعودة وذلك للدبلوماسية المصرية التي استخدمها السادات بابقاء خيوط العلاقة قائمة، اذ اعلن عن تمديد الاتفاقية التي تمنح الاسطول السوفيتي حق استخدام الموانيء المصرية في البحر المتوسط والذي تنتهي في اذار من عام 1973 ولمدة خمس سنوات اخرى. لذا فقد تحسنت العلاقات من خلال تبادل الزيارات وارسال المساعدات السوفيتية إلى مصر.

لقد كانت حرب تشرين اول عام 1973 امتحان عسير لسياسة الوفاق بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة، فضلاً عن كونها امتحان لالتزامات الاتحاد السوفيتي تجاه حلفاءه العرب. فبعد منتصف نهار يوم 6 تشرين اول باغتت القوات المصرية المواضع الاسرائيلية بهجوم عنيف ومخطط له بدقة وعناية عسكرية ونفسية وادارية وفنية تمكنت

---

(1) مما كان يعني اضافة اعداد جديدة للقوات الاسرائيلية التي هي على وشك الدخول في حرب مع العرب الذي يدعي السوفيت بدعمهم.

خلالـه القـوات المصريـة مـن اخـتراق الخـط الـدفاعي المحصـن ! (خـط بـارليف)[1] والـذي عـده الاسرائيليون صمام الامان للحدود التي تسيطر عليها قواتهم. وكان ذلك بالتنسـيق مـع سـوريا التـي اجتاحت قواتها الجولان المحتلة.

ومثلما كان الهجوم صاعقاً ومفاجئاً لاسرائيل فأنه بتوقيته ونتائجه الاولية كان مفاجئاً للعـالم بأسره لا سيما الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي كل لاسبابه.

لقد شـجعت نتـائج المعركـة الاوليـة السـوفيت عـلى المبـادرة باقامـة جسر جـوي مـع مصر وسوريا. ويؤكد رئيس اركان الجيش المصري سعد الدين الشاذلي في مذكراته انه كان اكبر جسر جوي في تاريخ الاتحاد السوفيتي اذ قام بتنفيذ (900) رحلـة جويـة لنقـل (15) الـف طـن مـن المعـدات الحربية. كما ان الاسطول السوفيتي في البحر المتوسط قد زاد من نشاطه وتم دعمـه بقطـع حربيـة اضافية.

اما سياسياً فقد اصدرت الحكومة السوفيتية بياناً رسمياً في 8 تشرين اول اعتبر اسرائيل هـي المسؤولة عن اندلاع الحرب وان " البلدان العربية تقاتل دفاعاً عن حقوقها ".

أما في الجانب الاخر فقد صدم الامريكيون بالانهيـار العسـكري الاسرائـيلي وبـالعبور المصري إلى شرق القناة. الامر الذي دعاهم إلى تنظيم جسر جوي ضخم لدعم حلفائهم الاسرائيليين. إذ نقـل الامريكيون من خلال (566) رحلة جوية ما يعادل (23) الف طن من المعدات الحربية، فضـلاً عـن ما قامت به شركة النقل الاسرائيلية (العال) من نقل الاف الاطنـان مـن المعـدات العسـكرية. الامـر الذي ساعد على ايقاف الانهيار الاسرائـيلي والاعـداد لـلــهجوم المضـاد الـذي اعـد لـه بدقـة والـذي سيؤدي إلى احداث تغيير حاسم في الحرب.

(1) وهو الخط الذي انشأه الجيش الاسرائيلي ابتداءً من عام 1969، في عهد رئيس اركان الجيش الاسرائيلي (حـاييم بارليف) على الجانب الشرقي من قناة السويس وفيه تحصينات وموانع صناعية صعبة الاخـتراق وامامـه سـاتر ترابي بارتفاع (30) متراً مع حقول الغام واسلاك شائكة مكهربة كما عملوا على تهيئة مواد مشتعلة تطفـو عـلى سطح ماء القناة لحرق أي محاولة عبور مصري.

في المرحلة الاولى من الحرب كان هناك نوع من التنسيق والاتصال بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي بهدف عدم توسيع نطاق العمليات العسكرية وجعلها حرب محدودة لا تجر لها اطراف دولية اخرى. وتأكيداً على هذا التنسيق فقد اعلن وزير الخارجية الامريكي كيسنجر في 12 تشرين اول عن ثقته بان الاتحاد السوفيتي لن يهدد حالة الانفراج في العلاقات الدولية.

إلا ان هذا التنسيق لم يكن له نفس التأثير في الامم المتحدة عندما رفض السوفيت قراراً امريكياً لوقف اطلاق النار على اعتبار ان المصرين والسوريين يحققون بعض الانتصارات في الحرب وانهم في موقف قوة. إلا انه ومع حلول 16 تشرين اول بدأت موازين القوة في الحرب تتغير لصالح اسرائيل، وذلك عندما تمكنت القوات الاسرائيلية من احداث ثغرة في منطقة الدفرسوار على البحيرات المرة تمكنت، من خلال نقل عدد كبير من قواتها إلى الجانب الغربي من القناة في 10/19 وتأسيس وجود عسكري لها، من تهديد قوات مصرية بالحصار وتهديد مدن بالسقوط مثل مدينة السويس. هذه الاوضاع التي استجدت في الموقف العسكري ادت إلى تغيير في المواقف السياسية ولاسيما مواقف الدول العظمى ففي الوقت الذي بدأت الولايات المتحدة بالتماهل والتسويف في موضوع وقف اطلاق النار بعد ان كانت تدعو له، بدأ السوفيت باجراء اتصالات مع المصريين والامريكيين لوضع مشروع لوقف النار. لقد كان هدف السوفيت منع حصول كارثة شبيهة بما حصل في عام 1967 قد يحمل الاتحاد السوفيتي مسؤوليتها.

في 18تشرين أول زار كيسنجر وزير الخارجية الامريكي موسكو وتم الاتفاق على مشروع قرار يطرح امام مجلس الامن يتضمن ثلاث نقاط هي:

أ- وقف اطلاق النار خلال 12 ساعة.

ب- تطبيق القرار 242 لعام 1967.

ت- البدء بمفاوضات تحت الرعاية الدولية.

وافقت مصر على المشروع في 10/22، وكذلك اسرائيل اما سوريا فوافقت عليه في 10/24. ولكون اسرائيل كانت في موقع قوة بعد حصول ثغرة الدفرسوار

وعملت على تحسين مواقعها واستمرت في عملياتها العسكرية حتى بعد موافقتها على مشروع القرار، وذلك بهدف فرض شروطها وامتصاص الانتصار الذي حققته مصر في عبور القناة، لاسيما بعد ان تمت محاصرة الجيش الثالث المصري وهددت أما بتدميره او استسلامه. هذه التطورات الخطيرة اشعلت المواجهة بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة إلى حدود بعيدة ارجعت للذاكرة ازمة الصواريخ الكوبية في عام 1962. فقد رفعت موسكو حدة انتقادها للتصرفات الاسرائيلية بتجاهل قرار مجلس الامن، ونشرت بياناً رسمياً دعت فيه اسرائيل إلى تطبيق القرار مع التهديد باتخاذ اجراءات رادعة ضدها كما هاجم البيان الولايات المتحدة على عدم جديتها في الضغط على اسرائيل لاحترام القرار. وقد رافق هذا البيان رفع السوفيت درجة الاستعداد في القوات المسلحة السوفيتية. وفي رسالة وصفت بشديدة اللهجة وجهت إلى الرئيس الامريكي اعرب برجينيف (الزعيم السوفيتي) انه سيعمل بمفرده لاتخاذ الخطوات الفعالة والمناسبة والعاجلة لوقف عدوان اسرائيل وعدم احترامها للقرار الدولي.

جاء الرد الامريكي عنيفاً وحاسماً اذ اعلنت الولايات المتحدة في 10/25 حالة الطوارئ في قواتها المسلحة في جميع انحاء العالم بما فيها القوة النووية، وبدا ان العملاقين امام مواجهة عسكرية شاملة. وامام هذا الاجراء الامريكي ونتيجة لما عرف عن السوفيت عن عدم جدية تهديداتهم وتراجعهم في الاوقات الصعبة فقد وافق بالعمل ضمن مجلس الامن الذي تقرر فيه ارسال قوات دولية إلى المنطقة لا تشترك فيها قوات امريكية او سوفيتية.

وفي هذا الموضوع اشار المحللون إلى انه بالرغم من محاولات السوفيت التخفيف من اهمية التراجع امام المواجهة مع الولايات المتحدة واعتبار ذلك مبالغ فيه ومحاولات امريكا كعادتها عدم استغلال هذا التراجع للانتقاص من كرامة الحكومة السوفيتية، فانه من المؤكد ان الاتحاد السوفيتي قد انصاع للتهديد الامريكي كما حصل في ازمة الصواريخ مما ادى إلى ان يكون ذلك احد اهم الاسباب التي ادت إلى تراجع مكانة الاتحاد السوفيتي في المنطقة لاسيما في مصر التي ادرك قادتها ان حقيقة الامر تكمن في قدرة الولايات

المتحدة على التحكم في مفاتيح حل مشكلة الشرق الاوسط سياسياً وعسكرياً، الامر الذي انعكس على السياسة المصرية ما بعد الحرب في علاقاتها مع الاتحاد السوفيتي.

وفي الوقت الذي شهدت المنطقة العربية نشاطاً دبلوماسياً امريكياً مكثفاً تمثل بالزيارات المكوكية لهنري كيسنجر في عدد من الدول العربية كان النشاط السوفيتي محدوداً وغير ذا فاعلية. والاكثر من ذلك فقد اعادت مصر علاقاتها الدبلوماسية مع الولايات المتحدة في 11/7 من عام 1973 ممهدة الطريق لدور امريكي كبير في مشكلة الشرق الاوسط بدأ بدور كيسنجر[1] بالتوصل لاتفاق فصل القوات والتي اطلق عليها محادثات الكيلو(101)[2] او (وثيقة كيسنجر) وتعزز بموافقة الكونغرس الامريكي في اذار من عام 1974 على مساعدات اقتصادية طارئة لمصر.

في ذات الوقت ازداد الابتعاد المصري عن الاتحاد السوفيتي لاسيما عندما اكال السادات في نيسان 1974 الاتهامات القاسية للاتحاد السوفيتي محملاً اياهم مسؤولية تدهور القوة العسكرية العربية.

السؤال هنا ما هو التأثير المباشر لازمة الشرق الاوسط على العلاقات الدولية ؟

بالرغم من ان الازمة قد اوقفت مؤقتاً حالة الانفراج في العلاقات الامريكية – السوفيتية إلى الحد الذي وصلت في الامور إلى حافة المواجهة العسكرية إلا ان الأزمة افرزت مجدداً استحالة او صعوبة تلك المواجهة المباشرة، واكدت على ضرورة تنسيق المواقف لحل الازمات الدولية.

---

(1) قام كيسنجر بزيارات مكوكية بين القاهرة وتل ابيب ودمشق في ثلاث رحلات الاولى بين 13-26 كانون الاول 1973 والثانية بين 11-20 شباط والثالثة بين 26 شباط – 2 آذار عام 1974.

(2) جرت محادثات في منطقة فاصلة في منطقة اطلق عليها (الكيلو 101) على طريق السويس واعتبرها عدد من القادة العسكريين المصريين انها كانت مهينة لهم كون الاسرائيليين استغلوا حصار الجيش الثالث ليملوا شروطهم في المحادثات. ويشير الشاذلي (رئيس اركان الجيش المصري) ان القوات المحاصرة كانت بمثابة رهينة وكان الاسرائيليون يوافقون على امداد القوات بالاغذية والمياه بشكل مهين كتفتيش الناقلات وانزال السائقين المصريين وابدالهم باسرائيليين.

اكدت الازمة ضعف الارادة السوفيتية في مواجهة الولايات المتحدة وهذا الاستنتاج يأتي منسجماً مع موقف السوفيت الضعيف في ازمة الصواريخ الكوبية وفي المشكلة الفيتنامية.

فضلاً عن وضوح محدودية التأثير السوفيتي على تطورات الازمة عسكرياً وسياسياً، اذ كانت المواقف السوفيتية عبارة عن ردود افعال عما يجري على ارض المعركة وتبنى سياساتها في ضوء تطور تلك الاوضاع سلباً او ايجاباً، في الوقت الذي كانت فيه الادارة الامريكية قد حددت اهدافها وبدأت بتنفيذها بشكل مدروس وعملت على تسيير الاحداث على وفق الاهداف وليس العكس.

كشفت الحرب في الشرق الاوسط عدم التطابق في المواقف بين الولايات المتحدة وحلفائها في حلف شمال الاطلسي. اذ اشار وزير الدفاع الامريكي إلى انهم لم يكونوا متعاونين مع الولايات المتحدة خلال فترة الحرب (لقد فوجئنا بحلفائنا الذين افصحوا عن انفصالهم عنا) مما مثل استمرارية لتصدع الحلف والذي بدا بانسحاب فرنسا منه عام 1964.

استخدام العرب النفط كسلاح في المعركة في مواجهة اسرائيل وحلفائها اذ اجتمع وزراء البترول العرب في 1973/10/17 وقرروا تخفيض انتاج النفط بنسبة (20%) مع قطع الامدادات عن الدول التي تساند اسرائيل.

وقد تضررت من هذا القرار كل من الولايات المتحدة وهولندا والبرتغال وجنوب افريقيا اذ اوقفت عن هذه الدول جميع الامدادات العربية من النفط، الامر الذي كان له انعكاس عميق على الاوضاع الداخلية فيها. مما افصح عن امتلاك العرب لقوة مؤثرة اذا ما تمكنوا من استخدامها بشكل مدروس.

كان للموقف العربي الموحد اثراً في اتخاذ دول العالم مواقف معارضة لاسرائيل، فعلى سبيل المثال رفضت عدد من الدول السوق الاوربية التعاون مع الولايات المتحدة لتزويد اسرائيل بالسلاح، واعلنت الحكومة اليونانية عدم مشاركتها في أي دور في هذا الموضوع. اما الدول الاوربية المشتركة فقد اصدرت بياناً رسمياً في 1973/11/7 تدعو إلى ان تضع اسرائيل حداً لاحتلالها للاراضي العربية وتطبيق القرار 242 / 1967.

اما الدول الافريقية فد ازداد تعاطفها مع الدول العربية وقطعت (18) دولة علاقاتها مع اسرائيل بعد حرب 1973 لتحاشي العقوبات النفطية العربية. وانضمت هذه الدول لدول افريقية اخرى سبق وان قطعت علاقاتها مع اسرائيل ليصبح عدد الدول التي قطعت علاقاتها (27) دولة افريقية بالرغم من الاغراءات الامريكية والاسرائيلية لهذه الدول.

في 18 كانون الثاني 1974 تم التوقيع على اتفاق فصل القوات بين مصر واسرائيل والذي قضى باقامة منطقة عازلة بين القوات المصرية والاسرائيلية وتحديد كمية ونوعية التسليح وعدد القوات واماكن تمركزها، كما تم بموجب هذا الاتفاق نشر قوات دولية بين الجانبين.

اما على الجانب السوري فقد تم توقيع الاتفاق بين اسرائيل وسوريا في 31 آيار من عام 1974 يقضي باقامة منطقة عازلة وتحديد القوات والتسليح لكلا الطرفين كما تم الاتفاق على نشر قوات دولية بينهما ويتم التجديد لها كل ستة اشهر.

وفي 4 أيلول عام 1975 تم توقيع اتفاقية سيناء بين مصر واسرائيل والتي نصت على التعهد من الطرفين على حل المشكلة الفلسطينية بالطرق السلمية والامتناع عن استخدام القوة والتهديد، وكان ذلك هو الاساس الذي تم بموجبه توقيع اتفاقية الصلح لعام 1977 والتي اطلق عليها اتفاقية كامب ديفد.

لقد تعمق الابتعاد المصري عن الاتحاد السوفيتي بعد مطالبة موسكو سداد قيمة السلاح الذي زودت به مصر اثناء الحرب مضافاً اليه سعر الفائدة. في آذار من عام 1976 اعلن السادات عن الغاء اتفاقية الصداقة والتعاون المبرمة مع السوفيت عام 1971 ثم اعقب ذلك الغاء التسهيلات البحرية الممنوحة للسوفيت في الموانئ المصرية.

ثالثا: الازمـــة اللبـــنانيـــة

اذا كانــت الحــرب الاهليــة في لبنــان والتــي اشــتعلت في شــباط مــن عــام 1975، لهــا اسب232ابهـا الداخليـة، فـأن العامـل الخـارجي لعـب دوراً مهـماً واساسـاً في تـأجيج هـذه الحـرب واستمرارها. اذ لا يمكن فصل الاحداث في لبنان عن ما جرى في الشرق الاوسط عام 1973 ابتداءً من حرب تشرين اول مروراً بمحادثات التسوية السلمية بين العرب واسرائيل ونتائجها الاولية.

وللوقوف على أسباب الازمة اللبنانيـة يمكننـا العـودة إلى اواخـر عـام 1969 بعـد ان منـي العرب بهزيمة تاريخية في الحرب مع اسرائيل وخسارتهم لاراضي عربية مهمة في المواجهة مع الدولة العبرية. إذ عمل المصريون على محاولة اعادة ترتيب وجود المقاومة الفلسـطينية في الـدول العربيـة المحيطة باسرائيل ومنها لبنان. ففي تشرين الثاني من عـام 1969 تـم التوصـل إلى (اتفـاق القـاهرة) والذي يقضي بحق المقاومة الفلسطينية بالتواجد على الاراضي اللبنانية وكما اعطي لهم حـق العمـل والاقامة وتشكيل لجان محلية. والاكثر من ذلك منح الفلسطينيون حق ممارسة الكفاح المسلح ضـد اسرائيل انطلاقاً من الاراضي اللبنانية، فضلاً عن تعهـد الحكومـة اللبنانيـة بتسـهيل العمـل الفـدائي. وازدادت اهمية هذا الاتفاق بالنسبة للفصائل الفلسطينية بعده احداث ايلول عام 1970 في الاردن، اذ خاضت تلك الفصائل معارك عنيفة مع الجيش الاردني انتهت بخروجهم مـن الاردن باتجـاه دول عربية اخرى ومنها لبنان التي اضحت المحطة الرئيسـة والمناسـبة لتواجـدهم لـيس بهـدف الاقامـة فحسب وانما ايضاً مـن اجـل اسـتمرار عملياتهم العسـكرية ضـد اسرائيـل مسـتفدين مـن الاجـواء السياسية المنفتحة في لبنان على عكس الاقطار العربية الاخرى التي تسودها الانظمة الشمولية التي لا تسمح بالعمل الفدائي، إلا ضمن آليات وحدود معينة تفرضها مصـالح تلـك الانظمـة وتوجهاتهـا. واذا عرفنا ان تلك الانظمة قد بدأت بمشـوار التسـوية السـلمية مـع اسرائيـل لعرفنـا اهميـة لبنـان بالنسبة للمقاومة الفلسطينية.

ان هذين العاملين (ونقصد بهما حرية العمل في لبنان وانعدامه في الدول العربية الاخرى) جعل الفصائل الفلسطينية تركز نشاطها على لبنان، الذي ازداد بشكل كبير من خلال التوسع بالتسليح بمختلف انواع الاسلحة بعيداً عن رقابة السلطات اللبنانية، فضلاً عن التدريبات والنشاط العسكري ضد اسرائيل انطلاقاً من الجنوب اللبناني. كان لابد ان يحصل تقاطع بين الحكومة اللبنانية والجيش اللبناني مع نشاط الفصائل الفلسطينية، ذلك التقاطع الذي ادى إلى حدوث تصادم بين الطرفين عام 1973. الامر الذي تطلب ايجاد اتفاقية اخرى تنظم الوجود الفلسطيني وتحدد آليته وحدوده، وهذا ما حصل في اتفاقية (ملكارت) التي تضمنت الوجود الفلسطيني ونشاطه على الحدود مع اسرائيل. وبدلاً من ان تؤدي هذه الاتفاقيات إلى تنظيم العلاقة الفلسطينية اللبنانية ادت إل مزيد من التوتر.

لقد ادى اتساع النشاط الفلسطيني إلى انقسام اللبنانيين إلى تيارين الاول - وهو الاكبر الذي يدعم الفلسطينيين ويتعاطف معهم، اما التيار الاخر فقد عمل على مقاومة الوجود الفلسطيني ونشاطه بدعم وتحريض من اطراف خارجية من بينها اسرائيل التي كانت المستهدفة من العمل الفلسطيني.

كما ان تطورات الخطوات السلمية بين العرب واسرائيل تحت الرعاية الامريكية ادت إلى حالة من الانقسام في العالم العربي بين مؤيد للحل السلمي ورافض له. وازداد هذا الانقسام واصبح معلن بعد توقيع اتفاقية سيناء بين مصر واسرائيل عام 1975 والتي افضت إلى تأمين الجبهة المصرية امام القوات الاسرائيلية، فضلاً عن تمكين الولايات المتحدة طبقاً لهذه الاتفاقية من الاشراف على المحطات الارضية للانذار المبكر والتي اهلتها وحليفتها اسرائيل من مراقبة اجواء المنطقة العربية برمتها.

لذلك فقد كان تأمين الجبهة المصرية فضلاً عن ضرب الفصائل الفلسطينية وطردها من الاردن من بين العوامل التي ساعدت الدولة العبرية على تركيز نشاطها وعملياتها العسكرية باتجاه لبنان الذي كان المنفذ الوحيد للعمل الفدائي الفلسطيني، وذلك من خلال غارات جوية وبرية على الاراضي اللبنانية، كما قامت اسرائيل بتنظيم

عمليات اغتيال للقيادات الفلسطينية داخل بيروت خلال عامي 1973 و 1974. وكان من بين نتائج ذلك هو ازدياد تعاطف عدد من القوى الوطنية اللبنانية مع المقاومة الفلسطينية ذلك التعاطف الذي تحول إلى تحالف سياسي ليتطور إلى تشكيل مليشيات مسلحة لاسيما بعد ان اعلنت الحكومة اللبنانية انها عاجزة عن حماية القيادات الفلسطينية من عمليات الاغتيال الاسرائيلي واجابت على طلب تلك القيادات بالحماية (بأن عليهم ان يحموا انفسهم).

ان تسليح الفصائل الفلسطينية وعددها يتجاوز (30) فصيلاً فضلاً عن تسليح عدد من الاحزاب والقوى اللبنانية لا سيما الاسلامية منها دعماً للفلسطينيين ادى إلى رد فعل مضاد من قبل طرفين الاول القوى اللبنانية الرافضة للوجود الفلسطيني بالشكل الذي عليه في لبنان لاسيما ما يتعلق بتسليحه وحرية العمل العسكري ضد اسرائيل عبر الحدود اللبنانية على اعتبار ان ذلك يحمل لبنان مسؤولية واعباء المشكلة الفلسطينية بعد ان تخلى عنها اغلب الاقطار العربية لاسيما دول المواجهة مع اسرائيل. وتحت مبرر الدفاع عن النفس وعن لبنان ووحدته واستقلاله قامت هذه القوى بتشكيل مليشيات مسلحة مما هيئ الاجواء لاشتعال الحرب الاهلية.

الطرف الثاني الاقطار العربية الراغبة بالسلام مع اسرائيل على الطريقة الامريكية والتي عملت على دعم القوى اللبنانية الرافضة للعمل الفلسطيني في لبنان بالمال والسلاح والرجال، وعلى رأس هذه الاقطار سوريا ومصر والسعودية وذلك بالضد من الدول العربية الرافضة لحلول السلمية مثل العراق وليبيا والجزائر.

وهكذا تحولت الساحة اللبنانية إلى مسرح للتنافس العربي اذ تشير التقارير الصحفية في تلك المرحلة إلى انه في عام 1975 كانت ترسل إلى لبنان اموال عربية طائلة تزيد على (300) مليون ليرة لبنانية تدفع إلى مقاتلين في المليشيات بما يعادل (600) ليرة شهرياً لكل مقاتل، هذا فضلاً عن الاسلحة والرجال التي كانت ترسل إلى لبنان بشكل مستمر، وذلك كون الحدود اللبنانية كانت تشهد تسيباً ملحوظاً بدخول الاشخاص والبضائع المختلفة دون رقابة. اذ ساهم ضعف الحكومة اللبنانية في ايصال الامور إلى

حالة التصادم الطائفي والسياسي عندما فقدت بشكل تدريجي سيطرتها على ادارة مفاصل الدولة ومنشآتها التي تعرضت للسرقة والنهب. كما ان الحكومة اللبنانية منحت الترخيص العشوائي للاحزاب على اختلاف انواعها واهدافها لبنانية كانت ام اجنبية، وكان لهذه الاحزاب عدد كبير من الصحف الممولة من الخارج، فضلاً عن المليشيات المسلحة، الامر الذي ادى إلى انقسام الجيش إلى ولاءات طائفية وعنصرية.

ومن العوامل الاخرى التي اثرت على الاوضاع في لبنان هو الدعم الكبير الذي قام به السوفيت للفصائل الفلسطينية واعتبار هذا الدعم الفرصة التي قد تكون الوحيدة لمواجهة السياسة الامريكية في المنطقة والتي حققت تقدماً ملحوظاً على السياسة السوفيتية التي بدا انها عُزلت في المنطقة لا سيما بعد الاتفاقيات العربية الاسرائيلية التي تمت برعاية امريكية.

لقد كان لتهميش السوفيت في عملية السلام التي بدأت تسير بخطوات متسارعة دوراً في محاولة الاتحاد السوفيتي افشال المخططات الامريكية او على الاقل احراجها. هذا فضلاً عن التزام السوفيت امام (دول الرفض) العربية باستمرار دعمها ودعم المقاومة الفلسطينية، لذلك فقد اصدر الاتحاد السوفيتي بياناً حمل فيه السياسة الامريكية – الاسرائيلية مسؤولية الاوضاع في لبنان.

لقد بدأت الشرارة الاولى للحرب الاهلية في لبنان في 26 شباط 1975 عندما وقعت اصطدامات في مدينة صيدا بين قوات الجيش اللبناني وعدد من صيادي الاسماك المدعومين من قبل احد النواب اللبنانيين بهدف الغاء امتياز الصيد البحري الممنوح لشركة يديرها السياسي اللبناني كميل شمعون، ادت هذه الاصطدامات إلى انتشار الفوضى في مدينة صيدا وانسحاب القوات الحكومية منها.تجددت المصادمات في نيسان من نفس العام، ولكن هذه المرة بين مليشيات مسيحية وفلسطينية ادت إلى مقتل (30) فلسطيني.

توالت المواجهات والمصادمات الطاحنة بين اللبنانيين الامر الذي ادى إلى انتهاء دور الحكومة وتفكك الجيش. شهد عام 1976 معارك عنيفة بين الاحياء البيروتية

واماكن اخرى من لبنان لاسيما عندما اعلن العميد عزيز الاحدب نفسه حاكماً عسكرياً للبنان في 11 آذار 1976 بوحي من قوى خارجية اذ ادى ذلك إلى اشتعال اعمال العنف في مختلف انحاء لبنان. ففي 18 كانون ثاني 1976 تم تدمير احياء الكرنتينا والمسلخ في الضاحية الشمالية من بيروت من قبل القوى المسيحية، كما رد الفلسطينيون وحلفاؤهم باجتياح مناطق الجية والسعديات والدامور في 19 كانون الثاني.

لقد بدأ الدور الخارجي واضحاً في الازمة اللبنانية لا سيما الدور السوري اذ ازداد الخلاف بين القيادة السورية والمنظمات الفلسطينية خاصة بعد فشل اجتماع دمشق في 22/آذار/1976 والذي ضم ياسر عرفات وكمال جنبلاط اضافة إلى الرئيس السوري حافظ الاسد، وعلى اثر الاجتماع المذكور اعلن السوريون بأن عليهم التدخل بشكل مباشر في لبنان بهدف ايقاف الحرب الاهلية بين القوى اللبنانية واكد الاسد في نيسان (ان سوريا مستعدة للتحرك باتجاه لبنان لتدافع عن جميع المظلومين000!)، وفي حزيران من نفس العام تحركت القوات السورية باتجاه لبنان. اللافت في الامر هو عدم الاعتراض الامريكي على التدخل السوري، اذ اعلن وزير الخارجية الامريكي هنري كيسنجر " ان التدخل العسكري السوري يقترب من الحدود التي يمكن للولايات المتحدة التسامح بها ". واعلن المبعوث الامريكي للمنطقة (دين براون) ان التدخل السوري في لبنان ضروري وقادر على المساهمة في اعادة الامن البالبلد00". أما الاقطار العربية فكان انقسامها واضحاً اذ عقد اجتماع قمة مصغر في 1976/10/16 بين الاطراف المتوافقة في موضوع لبنان والمتفقة على تحجيم النشاط الفلسطيني فيه تمهيداً لاستمرار العملية السلمية التي بدأها الامريكيون في المنطقة. وهذه الاطراف هي مصر والسعودية وسوريا والكويت فضلاً عن دعوة ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية. وصدر عن الاجتماع قرراً بوقف اطلاق النار في لبنان وانتشار قوات (الردع العربية) التي تتكون من قوات سعودية بواقع (1200) جندي وسودانية (1000) جندي ودولة الامارات (800) جندي، اما القوات السورية فكان لها حصة الاسد اذ زادت عن (25) الف جندي مدعومين بمئات الدبابات. لم تحض هذه القوات بقبول جميع الاقطار العربية اذ

اعتبرتها عدد من هذه الدول قوات احتلال سورية بمباركة امريكية واسرائيلية بهدف القضاء على المقاومة الفلسطينية وتمهيد الطريق للحل السلمي وفق الطريقة الامريكية، ومن هذه الدول العراق وليبيا والجزائر.

لقد شهد عام 1976 اتساع نطاق المعارك بين الاطراف المتصارعة وتخلل هذه المعارك مذابح رهيبة للمدنيين من اطفال ونساء وشيوخ كما حصل في مخيم (تل الزعتر) الذي سقطوا فيه مئات الفلسطينيين بشكل لا انساني.

اما الدور الاسرائيلي في الحرب الاهلية اللبنانية كان كبيراً ومؤثراً اذ رأت الدولة العبرية ان وجود المقاومة الفلسطينية في لبنان خطراً يهدد امنها وعملت على تقويض هذا الوجود بكل الاساليب المتاحة ومنها دعم قوى داخلية لبنانية مناوئة للوجود الفلسطيني او عن طريق التدخل المباشر لاغتيال القيادات الفلسطينية والقوى المتحالفة معها.

وعند دخول القوات السورية الاراضي اللبنانية اعتبرته اسرائيل انه لصالحها بالرغم من انها لم تجري أي اتفاقات ومفاوضات لتثبيت وقف اطلاق النار مع سوريا بعد حرب 1973. ويأتي هذا الموقف انطلاقاً من:

(أ)ان هذه القوات جاءت للتصدي للمنظمات الفلسطينية والقوى المؤيدة لها وهذا الموضوع يلتقي مع اهداف اسرائيل.

(ب) رأت الدولة العبرية ان التدخل السوري هو ضمن الحدود المسموح بها كما اشار رئيس وزراء اسرائيل اسحاق رابين.

(جـ)عدم محاولة القوات السورية استفزاز اسرائيل اذا امتنعت تلك القوات من عبور نهر الليطاني ويعني ذلك وجود مسافة عازلة بين القوات السورية والحدود الاسرائيلية في جنوب لبنان الامر الذي ادى إلى جعل هذه المنطقة مساحة مفتوحة للنشاط الاسرائيلي وللقوى المؤيدة لها والتي تكفلت هي بتصفية الوجود الفلسطيني في هذه المساحة ليتحقق ما اطلق عليه (الحزام الامني) وهو الشريط الحدودي بين لبنان واسرائيل التي سيطرت قوى لبنانية متحالفة مع اسرائيل لمنع أي عمل مسلح ضد الاخيرة.

لقد افصحت الدولة العبرية عن اهتمامها بأحـداث لبنـان وحرصـت عـلى ان تكـون هـذه الاحداث في صالحها في 12 أيار من عام 1976 صرح رابين لصحيفة ايـديعوت احرنـوت " ان سـورية منهمكـة الان في منازلـة ضـد منافسـيها في لبنـان 00 وانـه قتـل في لبنـان في الاسـبوع المـاضي مـن (الارهابيين والمتمردين) اكثر مما قتل الجيش الاسرائيلي في السنتين الماضيتين 00".

اما دايان وزير الدفاع الاسرائيلي فقد اكد لمجلة التايم " اذا كان كيسنجر قـد اشـعل النـار في الساحة اللبنانية فان اسرائيل هي التي ابقتها متقدة وهي التي منعت اخمادها000".

وحتى بعد ان قرر مجلس الامن الدولي في أذار 1978 نشر قوات دولية في الجنوب اللبناني استمرت اسرائيل بلعب الدور المهم في ابقاء تواجدها المباشر وغير المباشر في المنطقة بل تطور هـذا التواجد لتعلن المليشيات المسيحية المتحالفة مع اسرائيل قيـام دولـة (لبنـان الحـر) في نيسـان عـام 1979 في الشريط الحدودي الذي تبلغ مساحته (500كلم2) ومنع التواجد الدولي في هـذه المنطقـة، وعندما لم تنفع هذه الاجراءات في منع المقاومة الفلسطينية قامت القوات الاسرائيلية باجتياح لبنان عام 1982 وعملت على ارتكاب مذابح بشعة خاصة في مخيم صبرا وشاتيلا.

الفصل الثاني عشـــر

السياسة والمصالح والايديولوجيا

في افريقيا

الفصل الثاني عشــر

السياسة والمصالح والايديولوجيا في افريقيا

ما ان حل العقد السادس مـن القـرن العشريـن حتـى اصبحت القـارة الافريقيـة مسرحـاً جديداً للتنافس الدولي في اطار الحرب الباردة، اذ اتسـمت المرحلـة التـي اعقبـت الحـرب العالميـة الثانية بتصاعد حركات التحرر للتخلص من السيطرة الاسـتعمارية الاوربيـة، وكـان لافريقيـا نصيـب كبير من هذه الحركات بعد ان عانت لقرون طويلة من الاستغلال والقهر تحـت نظريـة (مسؤولية الرجل الابيض) والتي بررت تلك السيطرة.

ساعدت عوامل عدة حركات التحرر في افريقيا كان من بينها نيل عدد من الـدول في شـمال افريقيـا لاسـتقلالها (مثـل المغـرب وتـونس وليبيـا) مـما اعطـى زخـماً للمطالبـة باسـتقلال بـاقي الشـعوب الافريقية، فضلاً عن ظهور عدد من القيادات الوطنية الافريقية قادت عملية النضال ضـد السـيطرة الاستعمارية. الا ان احد العوامل المهمة هو الدعم الـذي قدمـه الاتحـاد السـوفيتي لهـذه الحركـات تحت مبررات وذرائع ايديولوجية في مظهرها المعلن، إلا ان المبررات الحقيقية لم تكن غائبة عن هذا الدعم في استخدام هذه الحركات في عملية الصراع السياسي مـع الغـرب ولبنـاء تواجـد سـوفيتي في هذه المنطقة التي لا تزال بعيدة نسبياً عن دائرة الصراع في الحرب الباردة.

ومن بين الوسائل التي استخدمها الاتحاد السوفيتي لمد الجسور مع حركات التحرر في المنطقـة كان الاعلام، اذ عمل على انشاء بث اذاعي موجه إلى الشعوب الافريقية وبلغاتهـا المحليـة بهـدف اشـاعة روح الحماس الوطني لدى تلك الشعوب وحثها على مقاومة الاسـتعمار الغـربي وكـان الاتحـاد السـوفيتي قـد أنشـأ عـام 1959 (جمعيـة الصـداقة مـع شـعوب افريقيـا) ارسـلت وفـوداً لزيـارة الـدول الافريقيـة واستقبلت عدداً من الـزعماء الـوطنيين في افريقيـا كـل ذلـك جعـل القضـايا الافريقيـة تقفـز إلى واجهـة

الاحداث الدولية وتدخل في اطار المشاكل التي تناقشها الامم المتحدة وتناولتها الاطراف الدولية الفاعلة. وعلى سبيل المثال عندما نالت (غينيا) استقلالها عام 1959 من فرنسا قررت الاخيرة حرمانها من المساعدات الاقتصادية والعسكرية والفنية، لذا فقد سارعت قيادة تلك الدولة إلى موسكو لطلب المساعدة التي كانت تعد بها دائماً للدول التي تكافح الاستعمار، وعقدت غينيا مع الاتحاد السوفيتي اتفاقاً في اذار من عام 1960 تضمن تعهد الاتحاد السوفيتي باقامة العديد من المنشآت الصناعية والعلمية ومنح غينيا قرضاً بقيمة (12) مليون جنيه استرليني.

ويورد الكاتب الفرنسي هنري ميفرود كميات الاسلحة التي ارسلها الاتحاد السوفيتي إلى غينيا بعد استقلالها مباشرة ويشير إلى انه (ما ان استقلت غينيا حتى وجدت نفسها في حاجة ماسة للاسلحة والمعدات والمال، فطلبت من واشنطن المساعدة الا ان الاخيرة تمهلت فاذا بالباخرة البولندية (ايجو) تصل إلى غينيا وتفرغ في موانئها ثمانية الاف بندقية فضلاً عن المدافع والمصفحات المدرعة000).

لقد وجدت الولايات المتحدة الامريكية ان النشاط السوفيتي في غينيا ما هو الا نقطة ارتكاز لمد الجسور إلى باقي مناطق افريقيا لجعلها تحت النفوذ الشيوعي. وفي ذلك يشير ايزنهاور في اخر سنة من حكمه " في عالم اليوم حيث يتحدث اعداء الحرية عن (حروب التحرر الوطني) فأن الفوارق القديمة بين الحرب المحلية (الاهلية) والحرب الدولية قد فقدت معظم معانيها وان لحظة اتخاذ القرار يجب ان تصبح لحظة العمل 0000 ".

لذا فقد دعا ايزنهاور عام 1960 الرئيس الغيني احمد سكوتوري لزيارة واشنطن، وخلال اللقاء معه عرض الرئيس الامريكي تقديم المساعدات والقروض إلى غينيا، إلا ان هذا العرض جاء متاخراً اذ باشر الخبراء من الدول الشيوعية عملهم في غينيا واصبح من الصعوبة الاستغناء عن خدمات اكثر من (200) خبير من جيكوسلفاكيا وبلغاريا والمجر والمانيا الشرقية.

كما ان الصين دخلت على الخط عندما منحت غينيا قرضاً في عام 1965 بلغت قيمته (25) مليون دولار. واستمرت المساعدات من الاقطار الشيوعية بالرغم من المحاولات الامريكية لوقف هذا التعاون، فقد جددت غينيا تعاونها مع الاتحاد السوفيتي وفيه تعهد الاخير بتزويد غينيا بالالات والنفط والمواد الاساسية الاخرى مقابل تزويد الاتحاد السوفيتي لبعض المحاصيل الزراعية التي تشتهر بها غينيا.

لقد اثارت هذه السياسة مخاوف الولايات المتحدة إلا ان هذه المخاوف سرعان ما خفت عندما مال الزعيم الغيني سكوتوري إلى سياسة عدم الانحياز والتي تبناها عدد من دول العالم ومنها الدولة العربية الافريقية، إلا ان ذلك لم يمنع تحول التنافس الدولي على افريقيا إلى مناطق اخرى مثل الكونغو.

التدخل الدولي في الكونغو:

في حزيران عام 1960 أعلن استقلال الكونغو بعد استعمارها من قبل بلجيكا منذ عام 1876(1) وعلى الرغم من ان هذا اليوم كان من المفروض ان يكون بداية لتوحيد البلاد واستقرارها، الا انه تحول إلى بداية من الصراع الداخلي بسبب عوامل داخلية وتدخلات خارجية.

ووفقاً لاتفاقية الاستقلال فقد بقي المئات من الضباط والجنود والخبراء الجيكيين في الكونغو، وبالنظر لشعور الافارقة بالكراهية ضد هؤلاء الذين استعمروهم لسنوات طويلة فقد تمردت القوات الكنغولية في بداية تموز من نفس العام عندما رفضوا الانصياع لأوامر الضباط البلجيكيين وطالبوا بمغادرتهم ارض البلاد. ونتيجة لذلك حصلت

(1) في عام 1876 أعلن في بلجيكا ان الاجزاء التي تسيطر عليها في الكونغو تعود ملكيتها إلى ملك بلجيكا وكانت عاصمتها ليويولدفيل وسارعت فرنسا إلى السيطرة على الجزء المتبقي من الكونغو وانشأت فيها مدينة برازفيل وسيؤدي هذا التقسيم إلى عدم الاستقرار المستمر في هذه المنطقة.

مصادمات مع هؤلاء الضباط، ولم ينتهي هذا التمرد الا بعد تدخل الـزعيم الكنغـولي الاكـثر شـعبية (باترس لوممبا).

وفي الوقت ذاته اعلنت احدى المقاطعات التي تتكون منها الكونغو، وهي مقاطعة (كاتـا نغـا) ذات الاهمية الاقتصادية الكبيرة، استقلالها عن الحكومة المركزيـة. ولم يكونـوا البلجيكيـون بعيـدين عـن هذا الاجراء كون سياستهم تقوم على العمـل لاسـتمرار مصـالحهم الاقتصـادية الواسـعة في الكونغـو ويكون ذلك بتشجيع حالة الانقسام والفوضى ليكون هناك مبرر للتـدخل مقبـول دوليـاً، لاسـيما ان مصالحهم الاقتصادية وشركاتهم الكـبرى العاملـة هنـاك كـان يـخشى ان تتعـرض لسـيطرة الحكومـة الكنغولية بأسلوب التأميم او بأي اسلوب اخر.

وبالفعل اعلنت بلجيكا ان عليها ان تتدخل لاعـادة الامـن والوحـدة والاسـتقرار إلى اراضي الكونغو، وفي مقاطعة كاتانغا بالتحديد والتي تمثل مركز مهم للاسـتثمارات البلجيكيـة. جـاء تـدخل القوات البلجيكية في مشاكل الكونغو وسط مخاوف حكومة لوممبا من عـودة الاسـتعمار البلجـيكي على البلاد، لذا فقد طالبت تلك الحكومة من الامم المتحدة التدخل لفرض الامن والقانون بدلاً عـن القوات البلجيكية كما اتصل لوممبا بالاتحاد السوفيتي طالباً منهم العـون للوقـوف بوجـه التـدخل البلجيكي.

في تموز عام 1960 قرر مجلس الامن ارسال قوة تابعة له للمساعدة في اعادة الاستقرار إلى الكونغو، كما طلب مجلس الامن من القوات البلجيكية الانسحاب من الاراضي الكنغولية.

لم يكن دور القوات الدولية مؤثراً في اعادة الاستقرار للكونغو بالرغم من الـدعم الامـريكي الكبير لها، وجاء الدعم الامريكي ليقطع الطريـق امـام الاتحـاد السـوفيتي لاسـتغلال هـذه المشـكلة والتدخل في المنطقة لاسيما ان لوممبا قد استنجد بالسوفيت للتدخل من اجل وضع حد لحالة عدم الاستقرار في الكونغو، الا ان الاتحاد السوفيتي اكتفى في هذه المرحلة بدعم قوات الامم المتحدة.

وبسبب فشل قوات الامم المتحدة في مهمتها بانهاء حالة التمرد والانفصال، فقد وقف الزعيم لوممبا موقفاً معارضاً ليس فقط لتلك القوات التي ارتاب بمهماتها وانما عارض التدخل الامريكي في بلاده والذي وصفه محاولة لملء الفراغ الذي قد يتركه انسحاب بلجيكا من الكونغو.

لقد حاول لوممبا الاستعانة بالدول الافريقية للوقوف بوجه التدخلات الاجنبية وتحيز قوات الامم المتحدة إلى جانب رئيس الدولة (زافويو)ضد حكومة لوممبا فضلاً عن عدم جدية هذه القوات في انهاء الانفصال الذي كان يستند اساساً على جيش من المرتزقة البيض ومدعوم من قبل الدول المستفيدة من هذه الاوضاع.

إلا ان الدول الافريقية لم يكن موقفها جاداً في مساعدة لومببا ضد خصومه في الداخل والخارج وذلك أما لكونها كانت ضعيفة او تابعة للقوى الكبرى، او لأنها لا تريد ان يكون لها مواقف عدائية ضد الولايات المتحدة. الامر الذي شجع رئيس الدولة على عزل لوممبا من منصبه، إلا ان الاخير رفض هذا الاجرء ليزداد الانقسام الداخلي ويتعمق بوجود سلطتين في الكونغو: الاولى يمثلها لوممبا مؤيداً من قبل البرلمان، والثانية سلطة رئيس الدولة مدعوماً بقواته العسكرية، وبقوات الامم المتحدة المدعومة امريكياً. لذلك قامت القوات التابعة للامم المتحدة بالسيطرة على الاذاعة والمطارات ومداخل ومخارج العاصمة الامر الذي ساعد على عزل لوممبا عن مؤيديه، ومن ثم القاء القبض عليه في 1961/1/17 واعدم من قبل قائد الانفصال في كاتانغا (تشوميني)، وقد زاد هذا الامر في تصاعد التوتر في الكونغو.

بعد ازاحة لوممبا الذي اعتبر معادياً للغرب وموروثه الاستعماري في الكونغو دعمت الولايات المتحدة توحيد الكونغو واجبرت (تشومي) على انهاء عصيانه وانفصاله عن الحكومة المركزية وذلك قي 16 كانون الثاني 1963 0 وشعرت الولايات المتحدة بالنجاح والانتصار في هذه العملية من خلال تثبيت سياستها ومصالحها، لاسيما انها قدمت دعماً كبيراً للقوات الموالية لها مالياً (اكثر من 6 مليون دولار) وعسكرياً من خلال

ارسال (100) خبير امريكي لتدريب تلك القوات. الا ان ذلك لم يكن نهاية المطاف ففي نهاية عام 1963 اشتعلت الثورة من جديد في الكونغو من قبل انصار لوممبا الذين قرروا التصدي للرئيس الكنغولي. واستطاع الثوار تحقيق عدة نجاحات مهمة تمكنوا خلالها من السيطرة على اجزاء واسعة من الكونغو، وكذلك معدات وعربات تابعة للامم المتحدة.

ان نجاح الثوار اثار مخاوف الولايات المتحدة من جديد من انه قد يكونوا مدعومين من قوى شيوعية، لذلك عملت على ابقاء القوات الدولية وتعاونت معها في شباط عام 1964 بقصف مواقع الثوار. وفي حزيران عام 1964 كانت قوة الثوار قد بدأت تضعف وبدأ الرئيس الكنغولي بدعم امريكي بلجيكي من العمل على فرض سيطرته على الكونغو مستخدماً مختلف الاساليب منها التهدئة ومنها الاستعانة بالمرتزقة البيض وكذلك الاستعانة بقائد الانفصال (تشومي) الذي تسلم منصب رئاسة الوزراء خلفاً لـ (لوممبا).

وامام هذه التحديات قام الثوار بالاعلان بأنهم يقبضون على (130) اجنبي كرهائن، كما اعتقلوا عدداً من البلجيكيين والامريكيين في تشرين الثاني 1964 واعتبروهم اسرى حرب على اعتبار ان الولايات المتحدة تخوض حرباً ضدهم. وقد تعززت الشكوك الامريكية في الدعم الشيوعي للثوار وطلبهم علناً من الاتحاد السوفيتي تقديم العون لهم. لذا قررت الولايات المتحدة التدخل بشكل مباشر لانهاء ازمة الرهائن بانزال اكثر من (500) مضلي في منطقة احتجاز الرهائن.

وقد سيطرت القوات المنزلة من الجو وجلهم من البلجيكيين على النقاط الاستراتيجية بالتعاون مع مرزقة تشومي.

لقد ادرك الرئيس كازفوبو ان عليه ان يغير سياسته تجاه شعبه ليكون مقبولاً لديهم، وبهدف اشاعة الاستقرار وايقاف العنف، لذا فقد عزل تشومي وتخلص من المرتزقة البيض، إلا ان تشرين الثاني من عام 1965 شهد نهاية حكم الرئيس المذكور وذلك بانقلاب عسكري قاده موبوتو سيسيكو وهو احد القادة العسكريين الذين كانوا داعمين للرئيس وسياسته.

الصراع الدولي في إفريقيا خلال عقد السبعينات

يتفق معظم الباحثين في تاريخ العلاقات الدولية ان عقد السبعينات شهد حالة من التراجع والتراخي في الدور العالمي للولايات المتحدة الامريكية امام النشاط الدبلوماسي والعسكري السوفيتي. ويعزى ذلك إلى مجموعة من الاخفاقات الامريكية الداخلية والخارجية جعلت الرأي العام الامريكي يضغط باتجاه تحديد حركة الادارة الامريكية وجعلها محكومة بتفويض السلطة التشريعية التي حدت من انغماس الولايات المتحدة في المشاكل الدولية خاصة منها التي لا تمثل تهديداً مباشرة مباشراً للمصالح الامريكية، الامر الذي فسح المجال واسعاً امام للاتحاد السوفيتي للتحرك بحرية اكبر في عدد من مناطق التوتر ومنها افريقيا، مما اعتبره السوفيت انتصاراً لهم وبداية لدور عالمي واسع للكتلة الشيوعية. إلا انها في الواقع لم تكن إلا مرحلة محدودة في تأثيرها وفي طول مدتها، لاننا سوف نشهد بعد انتهاء هذا العقد ان السوفيت كانوا قد دخلوا في نفق ستكون نهايته انهيار الكتلة الشيوعية برمتها.

1. انغولا[1]

تأتي الحرب الأهلية في انغولا كتعبير عملي عن تلك المرحلة. اذ دخلت القوى الوطنية الانغولية، التي ناضلت كثيراً من أجل التحرير ونيل الاستقلال من الاستعمار البرتغالي(2)، في نزاع مرير نتيجة للاختلافات حول تفاصيل الاستقلال من بينها القيادة الموحدة ومهمة الدعم الدولي فضلاً عن الايديولوجية المتبناة.

(1) تقع انغولا في منطقة افريقية مهمة على سواحل المحيط الاطلسي، إذ انها تشكل مع جنوب افريقيا وزامبيا وزائير (الكونغو الديمقراطية) وناميبيا مصدراً مهماً للثروات المعدنية الاستراتيجية من ابرزها الماس والذهب واليورانيوم= =والبترول واطلق على هذه المنطقة بـ (شريط الماس). وتنفرد انغولا بكثافة انتاج الذهب واليورانيوم كما ان الاستثمار فيها مربحاً لرخص الايدي العاملة وكثافتها.

(2) بدأ الاستعمار البرتغالي لانغولا عام 1482 وترسخ بشكل علمي من خلال اعتراف الدول الاوربية فيه في مؤتمر برلين عام 1885.

كان للتدخل الاقليمي والدولي اثره الواضح في تعميق هوة الخلاف بين الاطراف الانغولية. إذ ان هذه الاطراف وخلال فترة النضال ضد الاستعمار البرتغالي كانت قد استندت إلى جهة دولية او اقليمية من اجل مدها بالمال والسلاح كل لأهدافه.

وعندما اقرت البرتغال بحقوق انغولا بالاستقلال (وذلك بعد الانقلاب الذي حصل في لشبونة في نيسان من عام 1974) كانت هناك ثلاثة اطراف رئيسة تتقاسم السيطرة على الاقاليم الانغولية. أهمها الحركة الشعبية لتحرير انغولا بزعامة اغستينو بينتيو والذي يتبنى الفكر الماركسي والمدعوم من الاتحاد السوفيتي. أما الطرف المهم الثاني هو الجبهة الوطنية لتحرير انغولا بزعامة روبيرتو وله ميول غربية ومدعوم من قبل زائير وجنوب افريقيا ومن الولايات المتحدة الامريكية. أما الطرف الثالث هو الاتحاد الوطني والذي تحالف مع الجبهة الوطنية.

في تشرين اول من عام 1974 وقعت البرتغال مع الفصائل الثلاث اتفاقيات لوقف اطلاق النار والاعتراف رسمياً بحق انغولا بالاستقلال الذي تعهدت باعلانه بعد عام من تاريخ توقيع هذه الاتفاقيات. وقد رعت البرتغال مؤتمراً للفصائل الانغولية قرب العاصمة البرتغالية بهدف ايجاد آلية لتشكيل حكومة انتقالية تهيئ لاستلام السلطة بعد انسحاب القوات البرتغالية. وتم خلال هذا المؤتمر توقيع اتفاقية (الفور) في كانون ثاني عام 1974 بين الاطراف الانغولية لتنظيم تقسيم السلطات بين تلك الفصائل.

إلا انه سرعان ما انهار الاتفاق المذكور ليبدأ نزاعاً مريراً بين الحركة الشعبية والجبهة الوطنية، وان هذا النزاع لم يكن ببعيد عن المصالح الدولية في انغولا. وبالرغم من الجهود التي تبذلتها البرتغال ومنظمة الوحدة الافريقية لوقف اعمال العنف إلا ان جميع اتفاقيات الهدنة او وقف اطلاق النار ذهبت ادراج الرياح أمام تصلب الاطراف وتمسكها بأهدافها التي في جلها اهداف اقليمية او دولية، وهذا ما سوف تكشف عنه التدخلات الدولية لهذا الطرف او ذاك.

ففي آب من عام 1975 أخذ التدخل الدولي شكله الفعال والعلني عندما بدأ الاتحاد السوفيتي بتقديم الدعم العسكري والمادي من خلال ارسال شحنات الاسلحة إلى

(الحركة الشعبية) مما مكن تلك الحركة من الحصول على مكاسب مهمة في الحرب بالسيطرة على عد كبير من الاقاليم الانغولية.

لقد جاء التدخل السوفيتي المباشر ليحفز الاطراف الاخرى للتدخل في تلك الحرب بشكل مباشر او غير مباشر. إذ سارعت جنوب افريقيا (الموالية للغرب) لارسال آلاف الجنود للقتال إلى جانب الجبهة الوطنية وذلك بهدف منع نجاح السوفيت في انشاء نظام موال لهم في انغولا، لان ذلك يعد تهديداً مباشراً لتلك الدولة العنصرية. أما الولايات المتحدة فكان تحركها كما عد ضرورياً لحماية مصالحها في المنطقة لاسيما انها ترتبط بعلاقات اقتصادية وسياسية مع جنوب افريقيا. لذا فقد سارع الرئيس الامريكي جيرالد فورد بالايعاز لوكالات الاستخبارات الامريكية بتقديم الدعم المالي والتسليحي إلى الجبهة الوطنية، وتشير التقارير إلى ان الولايات المتحدة قدمت خلال عام 1975 ما قيمته 32 مليون دولار إلى تلك الجبهة على شكل اسلحة او مساعدات.

إلا ان هذا الدعم الامريكي المادي ترافق مع الهزيمة الامريكية الكبيرة في فيتنام الامر الذي اثر سلباً على ذلك الدعم، فقد اصدر مجلس الشيوخ الامريكي قراراً في 19 كانون اول 1975 بقطع كافة المساعدات عن الحركات الانغولية.

وقد برر القادة الامريكيون هذا الموقف بأن المصالح الامريكية الاستراتيجية لا تشكل قضية مهمة في انغولا تدعو إلى التدخل، إلا ان هذا الطرح لا يغطي اطلاقاً عجز امريكي واضح المعالم في مواجهة الاندفاع السوفيتي لاستثمار حالة الانكسار الامريكي الداخلي والخارجي وتعميق النفوذ السوفيتي في مختلف بقاع العالم ومنها افريقيا.

وفي هذا الاطار اشار هنري كسينجر في خطاب له في شباط 1976 إلى انه " عندما تقوم دولة عظمى بتحويل ميزان القوى لمصلحتها في نزاع محلي عن طريق التدخل العسكري ولا تواجه مقاومة فان ذلك يمثل سابقة ذات ابعاد خطيرة0000"

لقد ادى التدخل الجنوب افريقي والامريكي إلى استعار المعارك بين الاطراف الانغولية المتحاربة الامر الذي جعل حسم الموقف لصالح طرف دون آخر أمراً متعذراً حتى جاء موعد اعلان الاستقلال الذي تعهدت به البرتغال.

في 11 تشرين الثاني 1975 اعلن زعيم الحركة الشعبية بنيتو عن قيام جمهورية انغولا الديمقراطية، وسارعت دول الكتلة الشيوعية بالاعتراف بهذه الدولة. وفي ذات الوقت اعلنت (الجبهة الوطنية) عن استقلال انغولا بزعامتها إلا نها لم تلق الاعتراف الدولي الواسع على الرغم من تأييد عدد من دول العالم للجبهة من بينها الولايات المتحدة الامريكية والصين وزامبيا وجنوب افريقيا. اعتبر ذلك تصعيداً للموقف في الحرب الاهلية الانغولية وبدا ان الاطراف الدولية تدفع بكل قوتها للفوز بنتيجة هذه الحرب. لذلك فقد دفع الاتحاد السوفيتي بعنصر جديد في المواجهة عندما اوعز إلى حلفائه في كوبا بارسال قوات عسكرية إلى انغولا للاشتراك في القتال إلى جانب الحركة الشعبية ولمواجهة التدخل الغربي المباشر عن طريق قوات جنوب افريقيا.

وقد وصل اعداد القوات الكوبية إلى (15) آلف جندي في نيسان عام 1976. لقد افرز التدخل الكوبي عدة معطيات اهمها الرغبة السوفيتية القوية للفوز بهذه المواجهة وانها تمثل حجر الزاوية في اختبار الارادات بينها وبين الولايات المتحدة، كما ان التدخل الكوبي العسكري المباشر قد أخل بموازين القوى داخل انغولا. اذ تمكنت قوات الحركة الشعبية من استثمار ذلك لتحقيق الانتصارات المتوالية وطرد القوى المناوئة لها إلى خارج الحدود. إذ انهارت قوات الجبهة الوطنية بعد وقف الدعم الامريكي وانسحاب قوات جنوب افريقيا وبدأت بالانسحاب إلى دول الجوار لتشن من هناك حرب عصابات.

استطاع الاتحاد السوفيتي ان يصور الحرب في انغولا (من خلال قنواته الاعلامية والدبلوماسية) انما هي حرب بين القوة الحكومية الشرعية ومتمردين مدعومين من قوى اجنبية. لقد اعطى الاتحاد السوفيتي شعوراً لدى الشعوب الافريقية بأن الاتحاد السوفيتي اصبح متفوقاً من الناحية العسكرية يرافق ذلك عجز امريكي عن مجارات هذا التفوق مما هدف إلى اقناع الدول الافريقية بأن الاعتماد على الاتحاد السوفيتي سيحقق لها منافع ومكاسب سياسية واقتصادية. وان القادة السوفيت لا يزالون عند شعاراتهم التي رفعوها

منذ عقود في دعم حركات التحرر الوطني وان الاتحاد السوفيتي هو الحليف الحقيقي لدول العـالم الثالث.

كما ان لتدخل جنـوب افريقيـا في الصراع داخـل انغـولا وهـو النظـام العـنصري المرفـوض افريقياً ودولياً اثر بشكل كبير في انحياز عدد من الدول الافريقية للتدخل السوفيتي بل ان عدد من قادة افريقيا قد دعوا إلى ذلك التدخل بهدف منع قيام نظام موال لنظام جنوب افريقيـا العـنصري، مثل الدعوات التي اطلقها الرئيس التنزاني جلبوس نيريري والرئيس الكنغولي نغوابي وغيرهم.

لقد اشرت الحرب في انغولا ان دول العالم الثالث لا زالت ساحة خصبة للصراع الدولي، وان هذه الدول لم تستطع ان تعتمد على نفسها في الحفاظ على استقلالها حتـى وان كانـت هنـاك منظمـة اقليميـة تضمهم، إذ اشرت هذه الازمة ضعف منظمة الوحدة الافريقية وخضوعها للتأثيرات الخارجية.

وان شعر السوفيت بنشوة النصر في انغولا فان هذا النصر لن يشـكل في المرحلـة القادمـة ومع استمرار السوفيت في سياسة التدخل المباشر في النزاعـات المحليـة إلا عامـل اضـعاف وتـدهور للقدرات وللمكانة السوفيتية.

2. النفوذ السوفيتي في القرن الافريقي

اعتبر القرن الافريقي خلال الحرب الباردة ذا أهمية استراتيجية لطرفي الحرب الذين حاولا جاهدين السيطرة على تلك المنطقة مستغلين الاوضـاع السياسـية غـير المسـتقرة بـين دول المنطقـة. وتأتي تلك الاهمية من كون هذه المنطقة تطل على ممرات مائيـة مهمـة تسـيطر مـن خلالهـا عـلى حركة الملاحة البحرية بين البحر المتوسط وخليج عدن ومنه إلى بحر العـرب. فـالمحيط الهنـدي عـبر مضيق باب المندب. لذا فقد مثلت السيطرة على هـذه المنطقـة او عـلى الاقـل تـأمين الملاحـة فيهـا هدفاً استراتيجياً لمختلف الاطراف.

ومنذ سـتينات القـرن العشريـن عمـل طـرفي الحـرب البـاردة عـلى مـد نفـوذهم إلى دول المنطقـة، فالاتحـاد السـوفيتي مـن خـلال ادعاءاتـه بـدعم حركـات التحـرر الافريقيـة ودول

العالم الثالث بشكل عام تمكن من مد جسور العلاقة مع الصومال منذ عام 1963 مستغلاً حالة النزاع الحدودي بين الصومال واثيوبيا، اذ أمد الحكومة الصومالية بالمساعدات المالية والاقتصادية فضلاً عن اعتماد الصومال على السوفيت في بناء قوتهم العسكرية والذين لبوا بسخاء طلبات الصومال في هذا المجال واستمروا في هذه السياسة حتى منتصف السبعينات.

اما الولايات المتحدة فكان لها تأثيرها ونفوذها على النظام السياسي الاثيوبي الذي كان يتزعمه الامبراطور هيلاسيلاسي وكانت لها قواعدها للاتصالات في عدة مناطق من الاراضي الاثيوبية يعود تاريخها إلى عام 1952، ومن ذلك التاريخ أمدت الولايات المتحدة اثيوبيا بمساعدات مختلفة ومن ابرزها المساعدات العسكرية. إلا ان نفوذ الدولتين العظميين تغير بشكل جذري نتيجة لعوامل عدة من أهمها:

أ- الانقلاب العسكري الذي اطاح بالامبراطور هيلاسيلاسي عام 1974 ووصول مجموعة ثورية (راديكالية) إلى السلطة بدت انها تميل إلى علاقات اوثق مع الاتحاد السوفيتي، ساعد على ذلك ضعف الاهتمام الامريكي بالتطورات السياسية في اثيوبيا وتباطئهم بتقديم العون الاقتصادي والعسكري الذي تعود الاثيوبيون الحصول عليه. مما فسح المجال إلى بدء اتصالات سرية بين القيادة الجديدة في اديس ابابا والقيادة السوفيتية. واشار وزير الخارجية الامريكي سايروس فانس عام 1977 إلى ان النظام الجديد في اثيوبيا ينتهك حقوق الانسان لذا فأن العون العسكري لتلك الدولة سوف يتناقص.

ب- التطورات الداخلية في الولايات المتحدة الامريكية والتي حدت من حركتها في الشؤون العالمية فضلاً عن تناقص اهمية قواعد الاتصالات الامريكية في المنطقة نتيجة للتطورات التقنية والعلمية التي سمحت باستخدام الاقمار الصناعية لحصول على المعلومات، تطور الاسلحة بعيدة المدى، فضلاً عن حالة الوفاق التي سادت العلاقات الامريكية السوفيتية على مختلف الصعد مما اضعف امكانية المواجهة المباشرة على النفوذ في هذه المناطق.

ت- البرغماتية السوفيتية غير المعلنة، اذ بدأ الاتحاد السوفيتي ومنذ عام 1977 بالتخلي عن حليفه العسكري والايديولوجي (النظام الصومالي برئاسة محمد سياد بري) وذلك نتيجة لرغبته بكسب النظام الجديد في اثيوبيا معللاً هذا التغيير بأن الصومال قام بالعدوان على اثيوبيا على الرغم من ان المشكلة الحدودية بين الدولتين لم تكن وليدة ذلك التاريخ وانما تعود إلى عقود من الزمان.

المهم في الامر ان النظام الاثيوبي الجديد بزعامة منغستو هيلا مريام تمكن من ارضاء طموحات الحكومة السوفيتية بتبني الخط الشيوعي في السلطة، والقضاء على كل الضباط الموالين للغرب. فقد تمكن مريام في شباط من عام 1977 بمعركة وصفت بالدموية التخلص من كل مناوئيه وتولي السلطة وسط ترحيب وتأييد دول الكتلة الشيوعية، الامر الذي عد تحولاً جذرياً في خارطة التحالفات في المنطقة. وعندما نشب النزاع الحدودي بين الصومال واثيوبيا باندفاع القوات الصومالية باتجاه اقليم الاوغادين المتنازع عليه في شباط 1977 تحت ستار معاونة قوات (جبهة تحرير الصومال الغربي)، كان السوفيت قد حسموا امرهم في دعم اثيوبيا والتخلي عن الحليف القديم الصومال. وبالرغم من انهم حاولوا لعب دور الوسيط في الحرب واجبار الصومال بالانسحاب من الاراضي الاثيوبية إلا ان اصرار الحكومة الصومالية على الاستمرار بالحرب جعل الاتحاد السوفيتي يتخذ الخطوات بشكل متصاعد لدعم اثيوبيا وبدأ ذلك بانتقاد الاعلام الروسي للموقف الصومالي ووصف الحرب بأنها غزو صومالي لاراضي دولة اخرى. إلا ان ذلك لم يوقف تماماً التعاون العسكري مع الصومال الامر الذي شجع الرئيس الصومالي من خلال زيارته إلى موسكو محاولة كسب التأييد السوفيتي لموقفه إلا انه فشل في مسعاه.

في تشرين الثاني من عام 1977 وصلت العلاقات الصومالية السوفيتية إلى حالة التأزم عندما أعلن السفير السوفيتي في اثيوبيا بأن بلاده اوقفت بشكل كامل التعاون مع الصومال، في المقابل اعلنت الصومال عن طرد كافة الخبراء السوفيت وأوقفت كافة التسهيلات البحرية الممنوحة للسوفيت، وأكثر من ذلك بدأ الصومال بفتح قنوات اتصال مع الولايات المتحدة لعقد تحالفات جديدة في المنطقة.

في هذه الاثناء بدأ الاتحاد السوفيتي بانشاء اكبر جسر جوي إلى المنطقة لنقل الاسلحة المتنوعة لدعم الموقف العسكري الاثيوبي الذي بدأ ضعيفاً في بداية الحرب اذ خسرت اثيوبيا معظم اراضي اقليم الاوغادين. وبنفس اسلوب الحرب في انغولا لم يتدخل الاتحاد السوفيتي بقواته مباشرة وإنما ترك مهمة التدخل لطرف ثالث هو كوبا. إذ وصل آلاف الجنود الكوبيين إلى اثيوبيا عن طريق الجو واشتركوا بالقتال إلى جانب القوات الاثيوبية مدعومين بسلاح الجو السوفيتي الذي بدأ بنقل المعدات الثقيلة إلى ساحة المواجهة. الامر الذي ساعد على ازاحة القوات الصومالية عن مواقعها ولم يحل آذار من عام 1978 حتى استعادت اثيوبيا كل اراضيها.

لقد عمق تدخل الاتحاد السوفيتي بالاحداث نفوذه في افريقيا بعد هذه الحرب وبعد الحرب الاهلية في انغولا قابله تراجع امريكي واضح. وكانت الحسابات السوفيتية تقوم على ان الولايات المتحدة لا يمكن ان تتدخل في المنطقة نتيجة لاوضاعها السياسية بشكل عام فضلاً عن ان الاتحاد السوفيتي كان يدعي انه يقف ضد عدوان دولة على اراضي دولة اخرى مما كان مبرراً مقبولاً دولياً وافريقياً.

حاول الاتحاد السوفيتي من خلال دعمه لأثيوبيا اقامة حزام شيوعي حول المدخل الاسفل للبحر الاحمر. إذ اشار الرئيس الصومالي في احدى مقابلاته مع جريدة الاهرام القاهرية بأن كاسترو طرح اقامة فيدرالية للدول الاشتراكية في المنطقة وهي اثيوبيا والصومال واليمن الجنوبي تكون بمثابة القاعدة المتقدمة للاتحاد السوفيتي في افريقيا والشرق الاوسط، وكذلك المنفذ المهم للسوفيت إلى المحيط الهندي لتأمين تفوق استراتيجي في محاولته استثمار التراجع الامريكي على الصعيد الدولي.

إلا ان هذا التفوق وتلك الانتصارات لم تمنع الولايات المتحدة من العمل بأسلوب اخر لامتصاصها سياسياً واقتصادياً وتقنياً. فضلاً عن ان الاندفاع السوفيتي للتورط في منازعات اقليمية في افريقيا والشرق الاوسط واسيا أدى إلى استنزاف قدراته الاقتصادية المتهالكة اصلاً مما مهد الطريق إلى الصعوبات كبيرة على الصعيد الداخلي والخارجي اضطر معه القيادة السوفيتية إلى تغير استراتيجيتها خلال عقد الثمانينات.

الفصل الثالث عشر

الحرب الامريكية في فيتنام

الفصل الثالث عشر

الحرب الامريكية في فيتنام

اجمع المهتمون بالشأن الامريكي ان منطقة جنوب شرق اسيا لم تمثل من الناحية الاقتصادية اهمية كبرى للولايات المتحدة مقارنة مع مناطق اخرى اكثر اهمية، كما انها لا تمثل تحدياً ملحاً من الناحية العسكرية يهدد الاراضي الامريكية، إلا ان مع ذلك كله رمت الولايات المتحدة بكل ثقلها العسكري والسياسي والمادي في تلك المنطقة. وان التفسير المقبول لذلك هو ان الولايات المتحدة الامريكية وجدت نفسها تنساق بشكل متصاعد في مشاكل هذه المنطقة مأخوذة بتطورات الحرب الباردة التي بدأت في عهد ترومان واستمرت في المراحل اللاحقة لاسيما في مرحلة ايزنهاور – دالس.

كما ان انتصار الشيوعيين في الصين عام 1949 وهزيمة الاتجاه المدعوم امريكياً والمتمثل بـ (تشان كاي شك)عده الامريكيون هزيمة لهم لا يمكن قبولها في هذه المنطقة.

يضاف إلى ذلك ان الولايات المتحدة اعتبرت نفسها البديل او الوريث للقوى الاستعمارية السابقة كفرنسا التي خسرت مواقعها في هذه المنطقة لاسيما في فيتنام بعد مؤتمر جنيف عام 1954. ولانها تخشى ان يملئ الفراغ من قبل الاتحاد السوفيتي وحلفائه والذين يمثلون خطراً ليس فقط عسكرياً وانما ايديولوجياً وسياسياً واقتصادياً، فانها بدأت بالانغماس في مشاكل المنطقة بشكل متدرج حتى اصبحت غير قادرة على الانسحاب من المواجهة فكان (الهروب إلى الامام).

كما ان التدخل الامريكي في المنطقة جاء منسجماً مع سياستها الرامية إلى تطويق الاتحاد السوفيتي بمجموعة من الدول التابعة او المتحالفة مع الولايات المتحدة من اجل منعه من التحرك الاقليمي والدولي.

وفي ضوء ذلك كتب ايزنهاور إلى الحكومة البريطانية عام 1954 يقول له: " اذا وقعت الهند الصينية في ايدي الشيوعيين فان التأثير النهائي على مواقعكم ومواقعنا الاستراتيجية العالمية سيكون كارثة نتيجة لتغيير موازين القوى اللاحق في جميع مناطق اسيا والمحيط الهندي وان اعلم ان ذلك غير مقبول لنا ولكم "[1].

كما اشار في احدى خطبه في نيسان 1954 " ان سقوط الهند الصينية حسب مبدأ (احجار الدومينو) سيهدد الهند واليابان واندنوسيا والفلبين عندما عقد مؤتمر جنيف في عام 1954 لتسوية الازمة الفيتنامية بين فرنسا والثوار الفيتناميين، كان الحل الذي تم التوصل اليه توفيقياً أي لم ينهي جذور المشكلة.

اذ قسمت فيتنام إلى جزء شمالي يحكمه هوشي منه وهو ذا توجه شيوعي ومدعوم من قبل الاتحاد السوفيتي[2]، والجزء الجنوبي المدعوم من قبل الولايات المتحدة والغرب بشكل كامل، وقدرت المعونات الامريكية لنظام سايغون (الجنوبي) بـ (مليارى دولار)، فضلاً عن ارسال بعثات لتدريب الجيش.[3] لذا فان مؤتمر جنيف لم ينهي المشكلة، بل

---

1 هي نفس الاسباب والمبادئ التي قامت عليها الحرب في كوريا (1950 – 1953).

2 يعود تقسيم فيتنام الى شمالية وجنوبية الى مئات السنين اذ شهد شطري فيتنام صراعاً مريراً منذ القرن الثالث الميلادي واستمر حتى عام 968 م عندما تمكن زعيم محلي يدعى بولان من توحيد الاراضي الفيتنامية، الا ان الصراع عاد مجددا في اوخر القران التاسع عشر لتنشطر فيتنام مجددا الى شمالية وجنوبية وتعيش حالة من الصراع استمر حتى عام 1674، وبقيت فيتنام مقسمة الى ان تم توحيدها مرة اخرى مع بداية القرن التاسع عشر. لقد ساهم الفرنسيون خلال هذ المرحله مساهمة فعالة في تعميق الانقسام بين شطري فيتنام لاسيما عندما تمكنت من السيطرة بشكل كامل على فيتنام عام1887 وتقسيمها الى ثلاث محميات تحت ادارتها واستمر ذلك حتى عام 1940 وهو تاريخ الاحتلال الياباني لفيتنام.

د. فايز الصالح ابو جابر، الاستعمار في جنوب شرقي اسيا، (عمان- 1990)، ص83- 92

3 تم الاعتراف بها رسمياً من دول الكتلة الشيوعية وقدمت لها المساعدات المالية الصناعية

اجلها حتى عام 1960 عندما وجد (هـو شي منـه) انـه اسـتطاع ان يبنـي تجربـة ناجحـة في فيتنـام الشمالية، وانه تمكن من بناء البنية التحتية الاقتصادية والعسكرية التي تؤهلـه للتصـدي لـلـهيمنة الامريكية على الجزء الجنوبي من فيتنام. وانه من المؤكد ان (هوشي منه) يعلم جيـداً انـه لا يـتمكن وحده من القيام بذلك لولا الدعم اللامحدود الـذي يقدمـه السـوفيت والصـينيون لـه وان عليـه ان يستغل حالة الصراع المستمر (الحرب الباردة) بين المعسكرين ليحقق هدفه بتوحيد فيتنام.

ومع حلول كانون اول 1960 تم تشكيل جبهة التحرير الوطنيـة مـن مجموعـة مـنظمات عسـكرية شمالية وجنوبية وبدأت بالقيـام بـأعمال الاغتيـال والخطـف واعـمال عسـكرية مختلفـة في فيتنـام الجنوبية. واشار كندي عـام 1961 إلى هـذه الاعـمال عنـدما ذكـر ان اربعـة الاف رجـل مـن صـغار المسؤولين الفيتناميين يقتلون شهرياً.

مع بداية ولاية كندي 1961 كان هنـاك مـا يقـارب (20) الـف مقاتـل مـن (الفيـت كونـغ) وتعنـي الشيوعي الفيتنامي يعملون للاطاحة بحكم (ديم) في جنـوب فيتنـام والعمـل عـلى توحيـد الاراضي الفيتنامية. فيما ارسلت الولايات المتحدة في نفس العام ما يقارب (685) مستشاراً عسـكرياً امريكيـاً لدعم حكومة (ديم).

وعلى نفـس المـبررات التـي اوردهـا ايزنهـاور وهـي الخشـية مـن سـقوط المنطقـة بالتتـابع بأيـدي السوفيت (لعبة الدومينو) اشار كندي في ايلول عام 1963: "اذا سقطت فيتنام الجنوبيـة فـان ذلـك يعطي الصينيين وضـعاً جغرافيـاً افضـل وسـيعطي الانطبـاع ان الصـين والشـيوعيين سـتكون موجـة المستقبل في جنوب شرق اسيا". وهذا ما اكد عليه ايضاً وزير الدفاع الامريكي في آذار من عام 1964. وبناءً على ذلك اوصى الخبراء العسكريون والسياسيون بضرورة ارسال قوات عسـكرية امريكيـة مـن اجل دعم فيتنام الجنوبية ضد محاولات ضمها إلى حكومة فيتنام الشمالية. وعند وصـول جونسـون إلى السلطة (بعد اغتيـال كنـدي في 1963) كانـت الولايـات المتحـدة قـد ارسـلت اكـثر مـن (1500) مستشاراً عسكرياً امريكياً، لذا وجد جونسون نفسه مضطراً للاسـتمرار في دعـم المجهـود العسـكري الامـريكي في فيتنـام. وقـد سـاعدت عـدة عوامـل عـلى ان يجـد الامريكيـون انفسـهم ووجهـاً

لوجه مع (الفيت كونغ) بعد ان كانوا يظهرون بمظهر الداعم لسلطات كوريا الجنوبية ومن بين هذه العوامل:

أ- تراجع شعبية (ديم) في جنوب فيتنام بسبب الاعمال الارهابية التي قام بها ضد خصومه السياسيين والدينيين لاسيما قمعه للمظاهرات المناوئة له في عام 1963، والتي اثارت سخط شعبي عارم تمثل بقيام الرهبان البوذيين باحراق انفسهم امام الناس احتجاجاً على سياسة (ديم).

لذا تقرر في الولايات المتحدة العمل على تنحيته واقامة حكم عسكري باشراف امريكي، وهكذا حصل انقلاب عسكري ضد ديم في 2 تشرين الثاني 1963، ادى إلى اغتياله واستلام الجنرالات العسكريين للسلطة. إلا ان هذا الانقلاب لم ينهي حالة عدم الاستقرار السياسي في فيتنام الجنوبية، بل ان الاوضاع ازدادت سوءاً إلى ما يشبه الانهيار السياسي.

ب- تصاعد الاعمال العسكرية المنظمة ضد فيتنام الجنوبية والقوات الامريكية فيها والتي كانت فاعلة ومؤثرة، وتنذر باحتمال سقوط فيتنام الجنوبية تحت سيطرة (الفيت كونغ). لذلك قررت الولايات المتحدة تصعيد الموقف إلى مداه من خلال الدخول مباشرة في الحرب. إذ اشار وزير الخارجية الامريكية في عام 1964 بأن التزامات بلاده في فيتنام لا حدود لها ولمح إلى ان الرئيس جونسون مستعد للمجازفة في الحرب.

في صيف عام 1964 اختلقت الولايات المتحدة مبرراً لاعلانها الحرب ضد فيتنام الشمالية عندما اتهمت السفن الحربية لهذه الدولة باطلاق النار على السفن الحربية الامريكية التي كانت في مياه دولية (سربت معلومات فيما بعد بأن الحادث كان مفتعلاً لايجاد المبررات الكافية لتصعيد الحرب في فيتنام). وكان ذلك كافياً لاقناع الامريكيين والمتحالفين معهم بضرورة خوض غمار الحرب في فيتنام. اذ حصل الرئيس جونسن على تفويض من الكونغرس الامريكي بشن الحرب وطالب (باتخاذ جميع الاجراءات اللازمة لوقف العدوان وعدم تكراره). فضلاً عن ان الشارع الامريكي تحمس للحرب عندما

أظهر استفتاءً جرى في امريكا في نفس الفترة ان (85%) من الامريكين يؤيدون اجراءات الرئيس جونسون في خطواته العسكرية.

بدأت امريكا حربها بقصف مكثف على المنشآت المدنية والعسكرية في فيتنام الشمالية، وخلال شهور عدة من اعلان امريكا الحرب كان عدد القوات الامريكية قد تجاوز (100) الف جندي ثم تجاوز في عام 1967 نصف مليون جندي.

واستخدمت القوات الامريكية اساليب بالغة القسوة في حربها، اذ اشارت التقارير اليومية للحرب ان الولايات المتحدة الامريكية ارتكبت جرائم حرب ومجازر من خلال استخدامها للاسلحة المحرمة دولياً كالقنابل الفسفورية والنابالم وقنابل الغاز التي ضاعفت اعداد الضحايا من الفيتناميين.

إلا ان هذه القسوة البالغة لم تثن الفيتناميون من مواصلة القتال والتصميم على كسب المعركة بالرغم من التضحيات الهائلة الامر الذي دعا المخططين العسكريين الامريكيين للمطالبة بزيادة عدد القوات وتوسيع العمليات العسكرية لتشمل دول اخرى يتخذها الفيتناميين قواعد لهم مثل كمبوديا.

في عام 1968 وبالتحديد كانون الثاني شن الفيتناميون هجوماً كاسحاً بمناسبة رأس السنة الفيتنامية (تت) والذي مثل تحدياً كبيراً بعد سنوات عدة من القصف والتدمير الامريكي لاسيما ان القوات الامريكية قد جاوزت في هذه الفترة (600) الف جندي.

مع بداية عام 1969 كان الامريكيون قد وصلوا إلى حد الانهاك العسكري والسياسي في هذه الحرب وبدأوا بدراسة الكيفية التي يعالجون بها موقفهم، وصادف ذلك تخلي جونسون عن الرئاسة وفوز ريتشارد نيكسون بالانتخابات الامريكية. عندما وصل نكسون إلى السلطة كانت تقارير الخسائر الامريكية البشرية مخيفة فضلاً عن التكاليف المادية. وتشير تلك التقارير الى أن الخسائر الامريكية خلال عام 1969 فقط بلغت (278) قتيل اسبوعياً، اما خسائرها المادية فقد جاوزت (22) مليار دولار سنوياً. لذلك اتخذ الرئيس نيكسون قراراً بتغيير الاستراتيجية العسكرية في فيتنام إلى ما أطلق عليها (فتنمة الحرب) والقاضية بتقليل الاعتماد على القوات البرية الامريكية وترك هذه المهمة

لقوات فيتنام الجنوبية مع التركيز على القصف الجوي الامريكي وضرب قواعد الفيت كونغ في دول الجوار الفيتنامي، وقد بدأ بالفعل تخفيض عددالقوات الامريكية تدريجياً.

لاقت الحملة الامريكية في فيتنام انتقادات واسعة في العالم فقد اعلنت فرنسا معارضتها للسياسة الامريكية في فيتنام عندما اشار بيان الحكومة الفرنسية في 1965/1/10 الى انها لا تتفق مع الحكومة الامريكية في استخدام السلاح لحل المشاكل في جنوب شرق اسيا. اما المعسكر الشيوعي فقد اعلن تضامنه وتأييده لفيتنام الشمالية لصد ما اطلق عليه بالعدوان الامريكي. وكان للدعم المادي والعسكري الاثر الكبير في الصمود الفيتنامي ضد القوة الامريكية. اما دول عدم الانحياز فانها اصدرت بياناً في نيسان 1965 طالبت فيه بوجوب حل الازمة بالطرق السلمية. اما الامم المتحدة فقد كان دورها ضعيفاً وغير مؤثر ولا يتجاوز الدعوات والرغبات باحلال السلام.

الموقف في دول جنوب شرق اسيا:

قبل اشتعال الحرب في فيتنام كان الاتحاد السوفيتي يسعى جاهداً لتوسيع نشاطه في هذه المنطقة، ومنذ عام 1958 تمكن من كسب اندنوسيا اقتصادياً وعسكرياً عندما عقد معها اتفاقاً في ذلك العام على شراء الاسلحة وانشاء معامل الفولاذ والصلب. وقد زار سوكارنو (الرئيس الاندنوسي) موسكو مرات عديدة وتحالف داخلياً مع الحزب الشيوعي الاندنوسي الذي كان له دوراً مميزاً في الحياة السياسية الداخلية الاندنوسية. في عام 1961 ندما زار سوكارنو موسكو اعلن اتفاقه مع السوفيت على مجمل القضايا الدولية وعلى وجه الخصوص ما يتعلق بمنطقة جنوب شرق اسيا.

وخلال الازمة الفيتنامية وتصاعدها زار وزير الدفاع السوفيتي اندنوسيا عدة مرات في عام 1962 وفي آذار 1963 فسرتها الصحافة الامريكية بأنها من اجل توقيع صفقات للاسلحة السوفيتية. وهذا ما اكدته اندنوسيا باعلانها انها سوف توقع اتفاقاً مع السوفيت حول تجهيز القوات الاندنوسية بأسلحة حديثة. إلا ان الولايات المتحدة لم تترك

الامر هكذا فقد اسهمت في احداث ازمة داخلية في اندوسيا ادت بالنتيجة إلى اضعاف سلطة سوكارنو وبالتالي اسقاطه من خلال انقلاب عسكري قاده سوهارتو والذي انهى النفوذ المتزايد للحزب الشيوعي الاندنوسي عام 1967.

اما الهند فكانت هي الاخرى مجالاً للتنافس السوفيتي الامريكي وذلك من خلال محاولة السوفيت دعم الهند اقتصادياً وعسكرياً والوقوف بوجه الهجوم الصيني ضد الاراضي الهندية (تشرين الثاني 1962)، فضلاً عن ذلك وقفت الدول الشيوعية الاخرى (في اوربا) نفس الموقف السوفيتي في دعم الهند.

اما لاوس وكمبوديا وهما دولتان لهما حدودهما مع فيتنام فقد عملت الولايات المتحدة على ضمان سيطرتها على هذه المناطق بالدعم المادي، او حتى بالقوة العسكرية، وذلك لتدمير القواعد الفيتنامية فيها.

لقد مثلت لاوس احدى النقاط الساخنة في المواجهة الامريكية السوفيتية في بداية عام 1962، حيث اجبر كندي السوفيت من خلال التهديد باستخدام القوة العسكرية والتي تحركت فعلاً في تايلند وبحر الصين، على رار حياد لاوس[1]، إلا ان تصاعد الحرب في فيتنام جعل الامريكيون يتحركون عسكرياً ضد لاوس وكمبوديا واقامة انظمة موالية لها في هاتين الدولتين.

---

(1) في 22 تموز 1962 تم توقيع معاهدة جنيف حول حياد لاوس بين (13) دولة، وتأسيس حكومة وسط لتحفظ التوازن بين الشيوعيين والمحافظين. إلا ان هذا التوازن انهار مع بداية عام 1963. الامر الذي دعا الولايات المتحدة الى خرق الحياد والتدخل لصالح القوات الحكومية في مقاومة المجموعات الشيوعية المسلحة، واستمر ذلك حتى عام 1970.

عقدة الولايات المتحدة الامريكية في فيتنام

عند استلام الرئيس الامريكي ريتشاد نيكسون السلطة (بعد فوزه بالانتخابات) من الرئيس جونسون في 20 كانون الثاني 1969 كان الاخير قد بدأ مساعيه السلمية لانهاء الحرب في فيتنام بعد الاخفاقات العسكرية والسياسية الامريكية في هذه الحرب، لذا فقبل يومين من تولي الرئيس نيكسون السلطة بدأت المفاوضات بين وفد فيتنامي وآخر امريكي في باريس.

لقد بدت الحرب الفيتنامية بمثابة الكارثة للامريكيين، وذلك انطلاقاً من حقائق عدة:

طول فترة الحرب وتكبد القوات الامريكية خسائر بشرية ومادية هائلة دون تحقيق نتائج تذكر.

ازدياد المعارضة الداخلية في الولايات المتحدة للاستمرار في الحرب والضغط باتجاه ايجاد حل سريع لانهائها.

وفي هذا الاطار اكد احد السياسيين الامريكيين في شهادته امام الكونغرس وهو (جورج ماكينان) " ان جنوب شرق اسيا ليس بذلك التأثير الحاسم على المصالح الامريكية الاستراتيجية أو على التوازن العالمي للقوى إلى الحد الذي يبرر استمرار التورط فيه000".

كما قاد عدد من زعماء الكونغرس حملة مضادة لاستمرار الحرب مدعومين بازدياد حدة الاحتجاجات والاضطرابات التي قام بها الطلبة الاميركيون في عدد من الجامعات.

على الرغم من القصف الجوي العنيف وبمختلف الاسلحة ذات التدمير الهائل إلا ان ذلك لم يحطم ارادة الفيتناميين. فقصف المدن والمراكز الصناعية في فيتنام لم تؤثر على الشعب الفيتنامي كثيراً لانهم اساساً أغلبية فلاحية ويعتمدون في الحصول على حاجاتهم الاساسية من الدعم الصيني والسوفيتي لهم.

فضلاً عن ذلك فأن (60%) من الاراضي الفيتنامية تقع تحت سيطرة (الفيت كونغ) مما يعطيهم القدرة على المناورة والحركة حتى في الاراضي التي لا تقع تحت سيطرتهم. إذ ان

ايديهم تصل إلى هذه المناطق بأسلوب او بآخر لاغتيال او اختطاف المتعاونين مع نظام الشطر الجنوبي متهمين اياهم بالعمالة او الخيانة.

لهذا فقد فشل نظام (سايغون) الجنوبي من جذب المزيد من المؤيدين له او المتعاونين معه خشية ان يطالهم سلاح (الفيت كونغ). ويزيد في ذلك ان الفيتناميين جميعاً كانوا يشعرون بالمرارة والحقد نتيجة الغارات العنيفة التي يشنها الطيران الامريكي والتي تقتل الالاف من ابناء وطنهم.

لهذه الاسباب وغيرها شعر صناع القرار في الادارة الامريكية ان عليهم دراسته الموقف من منظور جديد يضع في الحسابات وعود الرئيس الامريكي (اثناء الانتخابات) بانهاء الحرب وعودة ابناء القوات الامريكية الى ديارهم. من هنا جاء المبدأ الذي سمي (مبدأ نيكسون) والذي اطلق عليه ايضاً بـ (سياسة الفتنمة) والذي اصبح احد ركائز السياسة الامريكية ليس في فيتنام فحسب وانما في بقاع اخرى من العالم.

ويقوم هذا المبدأ على مجموعة من الاسس من أهمها استمرار الاهداف والالتزامات الامريكية في المنطقة، ولكن ليس من خلال التدخل العسكري المباشر، وإنما من خلال استخدام قوات الدول الحليفة مع مدها بحماية جوية مطلقة بما فيها المظلة النووية الامريكية، فضلاً عن تقديم كافة المساعدات المادية والفنية العسكرية والاقتصادية الذي يؤمن تفوق القوات الحليفة من دون اشراك القوات الامريكية في المعارك بشكل مباشر.

وبموجب هذه السياسة الجديدة فقد قررت الادارة الامريكية الاعتماد على قوات فيتنام الجنوبية من خلال تدريبها وتهيئتها وتقديم المساعدات اللازمة لها لتكون في مواجهة (الفيت كونغ) يرافق ذلك انسحاب تدريجي للقوات الامريكية من فيتنام، وذلك في اطار زمني حدد بعامين.

في ذات الوقت كانت القوى الفيتنامية المناوئة للوجود الامريكي تسعى لتوحيد جهودها وتعزيز مواقعها واستثمار حالة الانكسار المعنوي للولايات المتحدة، لذا فقد اعلن في 8 حزيران عام 1969 تشكيل حكومة ثورية لفيتنام الجنوبية وتخويلها كافة الصلاحيات والسلطات على الصعيدين الداخلي والخارجي.

كان الهدف من اعلان الحكومة هو سحب الشرعية من نظام سايغون المدعوم امريكياً والتالي اضعافه دولياً. وبالفعل فقد اعترفت (20) دولة بالحكومة الجديدة من بينها الاتحاد السوفيتي والصين ومصر، فضلاً عن اعطاء هذه الحكومة الصفة الشرعية لتكون المفاوض الرئيس في محادثات السلام الجارية في باريس.

في آب من عام 1970 بدأت المفاوضات سرية ودعا خلالها (هنري كيسينجر) ممثل الحكومة الامريكية إلى احلال السلام وفقاً لاتفاقية جنيف لعام 1954 (وتقضي بوجود دولتين فيتناميتين شمالية وجنوبية، تفصل بينهما منطقة منزوعة السلاح مع انشاء لجنة دولية للرقابة). إلا ان الفيتناميين رفضوا ذلك واصروا على الانسحاب الامريكي دون أي شروط واجراء انتخابات لتشكيل حكومة شرعية في سايغون.

ولجأت القوات الامريكية اثناء المفاوضات إلى تشديد القصف على (هانوي) في محاولة للضغط، إلا ان ارادة الفيتناميين كانت اقوى مما حسبه الامريكيون، فقد رد (الفيت كونغ) بحملة قصف مدفعي كثيف ضد المدن الجنوبية والقواعد الامريكية القريبة منها.

الولايات المتحدة وسياسة الهروب إلى الامام:

مع استمرار المفاوضات المتعثرة واستمرار المعارك الجوية والبرية، كان لابد ان تخطو الولايات المتحدة خطوات جديدة للضغط على الفيتناميين وإجبارهم على قبول الشروط الامريكية للسلام، وكان هدف قطع الإمدادات العسكرية والبشرية عن (الفيت كونغ) اسلوباً جديداً للضغط. اذ كانت الإمدادات العسكرية والبشرية تأتي للثوار من طرق واطراف مختلفة من بينها الاراضي الكمبودية التي كانت (60%) منها تحت سيطرة الفيتناميين الشماليين بمباركة وتأييد من قبل الزعيم الكمبودي (نوردوم سيهانوك) الذي كان له اتصالات مستمرة مع الاتحاد السوفيتي والصين، فضلاً عن تأييده غير المعلن للمد الشيوعي في المنطقة. لذلك تحركت الولايات المتحدة من خلال مؤيدين في الحكومة الكمبودية وعلى رأسهم (لون نول) من اجل ابعاد سيهانوك والعمل على تدمير قواعد الفيتناميين في كمبوديا. واستغل (نول) زيارة سيهانوك إلى الصين في آذار 1970 ليعلن عزله من السلطة وتطبيق سياسة جديدة ازاء السيطرة الفيتنامية على الاراضي الكمبودية،

لذا اصدر تحذيراً إلى فيتنام الشمالية يطلب فيها سحب قواتها. وفي ذات الوقت اعلن الرئيس الامريكي نيكسون التدخل المباشر لدعم حلفائه في كمبوديا، وذلك في 3 نيسان، اذ اندفعت الدبابات الامريكية عبر حدود فيتنام الجنوبية وبغطاء جوي كثيف وتمكنت من فرض سيطرتها على معظم الاراضي الكمبودية.

لقد جاءت هذه الخطوة مفاجئة حتى للامريكيين انفسهم ذلك ان الرئيس نيكسون كان قد اعلن انه بصدد تخفيف التواجد الامريكي في المنطقة وسحب القواعد الامريكية والبدء بالتفاوض لاحلال السلام. كما ان هذا العمل جاء متناقضاً للمبدأ الذي اعلنه نيكسون وهو مبدأ (الفتنمة) أي الابتعاد عن التدخل المباشر في جنوب شرق اسيا، فضلاً عن ذلك كله انه اتخذ قرار التدخل دون الرجوع إلى الكونغرس الامريكي الذي رفض في حزيران 1970 ارسال قوات اضافية إلى كمبوديا، الامر الذي اجبر الرئيس الامريكي على التسريع بعملية الانسحاب من كمبوديا والذي تم في 30 حزيران عندما استبدلت القوات الامريكية بقوات من فيتنام الجنوبية مع ابقاء الدعم العسكري والمادي.

اما الموقف الدولي فكان معارضاً بشدة للخطوة الامريكية، لاسيما الاتحاد السوفيتي الذي عد العملية خرق لكل الاتفاقات الدولية، اما الصين فكانت اجراءاتها اكثر عمقاً عندما قطعت علاقتها الدبلوماسية مع حكومة الانقلاب في كمبوديا، واعلنت تأييدها لتشكيل قوات التحرير الوطنية الكمبودية التي شكلها سيهانوك على الاراضي الصينية، وقدمت لها العون المادي والعسكري بهدف تعزيز حالة الانكسار الامريكي في المنطقة.

ولم تكتف القوات الامريكية نشاطها العسكري في كمبوديا وانما وسعت جبهتها العسكرية لتشمل اراضي لاوس عندما قامت بقصف عدة مواقع يتخذها الشيوعيون كقواعد لهم في هذه الدولة لتقديم الدعم (للفيت كونغ) ومحاولة اضعاف حكومة لاوس المتحالفة مع الولايات المتحدة.

اما تايلند فكانت فيها حكومة عسكرية موالية للولايات المتحدة وعلى اراضيها قواعد عسكرية امريكية وتعد هذه القواعد منطلقاً مهماً لشن الغارات الجوية ضد الثوار في فيتنام وكمبوديا ولاوس.

وبعد الانقلاب في كمبوديا دعمت الحكومة التايلندية هذا الانقلاب من خلال القيام بغارات جوية ضد قواعد الشيوعيين الكمبوديين، كما ان تايلند قامت بتدريب اكثر من (10000) عشرة الاف جندي كمبودي لاعدادهم للاشتراك في المواجهات الدائرة في المنطقة.

لقد كان فشل الغزو الامريكي لكمبوديا ذا اثر معنوي سلبي على القوات الامريكية، ففي الوقت الذي شعرت فيه الادارة الامريكية بالاحباط والشعور بالورطة، شكل هذا الفشل انتصاراً معنوياً للصين التي كانت الطرف الرئيس في دعم القوى الشيوعية في المنطقة، وذلك من خلال ترسيخ مركز الصين وهيمنتها على الثوار في دول جنوب شرق اسيا الذين اجتمع هدفهم على الحاق الهزيمة بالولايات المتحدة مهما كان الثمن.

فشل الجهود السلمية والهزيمة التاريخية:

مع تصاعد العنف وتزايد الخسائر البشرية والمادية لدى الطرفين الفيتنامي والامريكي حاول الطرفان الاتجاه نحو الحل السلمي. وفي حزيران من عام 1971 اجرى الوفد الامريكي برئاسة هنري كيسنجر والفيتنامي برئاسة لي دوغ جولة جديدة من المفاوضات في باريس وقدم كل وفد مشروعه للحل، وعندما تعثرت المفاوضات حاولت الولايات المتحدة الضغط باستئناف القصف الجوي العنيف على هانوي، إلا ان القوات الفيتنامية واصلت ايضاً تحديها للقوات الامريكية.

وفي محاولة من الرئيس نيكسون لتحييد موسكو وبكين فقد عمل على مد الجسور الدبلوماسية مع العاصمتين. إلا ان ذلك لم يمنع من قيام الفيتناميون بهجومهم الواسع في آذار من عام 1972 والذي سيطروا خلاله على مواضع مهمة في الشطر

الجنوبي من فيتنام، وقد واجهت القوات الامريكية ذلك بمزيد من القصف المكثف بالطائرات.

وفي هذه الاجواء استمرت المفاوضات في باريس إلى ان تم التوصل في كانون الثاني من عام 1973 إلى اتفاق بين الطرفين يقضي بانسحاب القوات الامريكية من الاراضي الفيتنامية خلال (60) يوم، وايجاد خط فاصل بين طرفي القتال منزوع السلاح، وانشاء لجنة دولية لمراقبة الاوضاع في فيتنام.

إلا ان هذا الاتفاق لم ينه حالة الحرب، بل تصاعد الموقف العسكري بين شطري فيتنام، وذلك عندما حاولت فيتنام الجنوبية استعادة الاراضي التي سيطر عليها الشماليون في الاعوام السابقة.

ولم تنفع الجهود السلمية في انهاء المشاكل المتراكمة بين الطرفين. الامر الذي جعل الحل العسكري سيد الموقف. ومع بداية عام 1975 بدأ الشماليون بتخطيط مسبق هجوماً عسكرياً شاملاً بهدف السيطرة على كل اراضي فيتنام الجنوبية، ووسط تراجع سريع لقوات الشطر الجنوبي وانعدام الدعم الامريكي الفاعل، بدا الشماليون على وشك تحقيق اهدافهم، الامر الذي جعل الامركيون يعلنون خطة طارئة لاجلاء قواتهم المتبقية وخبرائهم وعدد من المتعاونين معهم إلى حاملة الطائرات الامريكية المتواجدة على الشواطئ الفيتنامية.

مع تقدم القوات الشمالية حصلت انتفاضة جماهيرية في العاصمة سايغون عجلت من انهيار النظام السياسي فيها، وعمت الفوضى لينتهي الامر بسيطرة كاملة للشيوعيين الفيتناميين الذين اعلنوا قيام دولة فيتنام الموحدة.

اما الولايات المتحدة فعدت ذلك هزيمة تاريخية لها اعطتها دروساً مهمة في كيفية تعاملها مع الشعوب واجبرتها على تبديل استراتيجيتها القائمة على التفوق العسكري لتبدأ استراتيجية جديدة تقوم على اسس (الفتنمة) أي اقامة أنظمة موالية تحارب وتدافع عن المصالح الامريكية نيابة عن الولايات المتحدة فكانت (الحرب بالنيابة) ابرز سمات الحرب الباردة في سبعينيات القرن العشرين.

لقد تجسدت الهزيمة العسكرية في عدة قرارات اتخذها الكونغرس الامريكي ومن بينها:

1. اصدار قانون (صلاحيات الحرب) الذي حد من قدرة الرئيس في الدخول في حرب دون موافقة مسبقة عن الكونغرس، وقانون (هيوزراين) الذي وضع عمل الاستخبارات الامريكية تحت مراقبة السلطة التشريعية.
2. الغاء التجنيد الالزامي والاكتفاء بالدخول الطوعي للقوات المسلحة الامر الذي ساهم في انخفاظ القوات المسلحة الامريكية إلى ما يقارب المليونين بعد ان كان يتجاوز (3.5) مليون جندي[1].

(1) بعد حرب الولايات المتحدة في العراق عام 1991 اعلن الرئيس جورج بوش تجاوز ما اطلق عليه عقدة فيتنام، إذ قال " انه يوم عظيم لامريكا فنحن قضينا بعون اللـه على امراض فيتنام 000 وإلى الابد ".

الفصل الرابع عشر

التعاطي الدولي مع المشكلة القبرصية

الفصل الرابع عشر

التعاطي الدولي مع المشكلة القبرصية

مثلت قبرص أهمية استراتيجية كبيرة للدول الفاعلة في العلاقات الدولية منذ زمن بعيد. وفي التاريخ المعاصر كانت قبرص نقطة وثوب للقوى الدولية في نشاطاتها العسكرية في منطقة الشرق الاوسط فضلاً عن كونها قاعدة بحرية تتحكم في طرق المواصلات في البحر المتوسط.

وقد استخدمت بريطانيا قبرص كقاعدة لها في حرب عام 1956 ضد مصر، كما استخدمتها دول حلف شمال الاطلسي كقاعدة للعمل ضد دول شرق اوربا وضد المصالح السوفيتية في البحر المتوسط والشرق الاوسط.

واستمرت السيطرة البريطانية على الجزيرة حتى آب من عام 1960[1]، إلا ان انهاء السيطرة البريطانية مثلت بداية لنزاع طويل بين مكونات الشعب القبرصي المنقسمين إلى اصول يونانية مسيحية ومن اصول تركية اسلامية[2]. وجاء هذا النزاع نتيجة للخلاف حول تقسيم المناصب الحكومية وتشكيل قوات الجيش، إذ كانت هناك وحدات عسكرية يونانية واخرى تركية. الامر الذي جعل مهمة تشكيل جيش وطني شيء عسير، كما شمل الخلاف امور اخرى كتحديد البلديات وحدودها الادارية وسلطاتها وصلاحياتها.

---

(1) ظلت قبرص تحت السيطرة العثمانية حتى عام 1878 عندما تنازلت عتها لبريطانيا مقابل ضريبة سنوية، إلا ان بريطانيا ضمتها إلى ممتلكاتها بعد الحرب العالمية الاولى، وتنازلت تركيا رسمياً عن الجزيرة لبريطانيا وفقاً لاتفاقية لوزان عام 1923.

(2) حسب احصاء 1962 هناك (430) الف يوناني مسيحي و (90) الف تركي و (10) الاف اقليات اخرى.

لقد دعمت الدول جميعاً مساعي الرئيس المنتخب (مكاريوس) لتوحيد الجزيرة واعمارها، وحصل من اجل ذلك على معونات اقتصادية من الولايات المتحدة وبريطانيا والمانيا الغربية وغيرها. إلا ان الخلاف أخذ بالتعمق عندما تدخلت كل من تركيا واليونان في المشاكل الداخلية للجزيرة، ففي عام 1963 دعمت تركيا رسمياً مطالب القبارصة الاتراك بعد زيارة لها قام بها نائب الرئيس القبرصي (التركي الاصل) كوتشوك، فيما اعلنت اليونان دعمها للقبارصة اليونانيين.

في 21 كان أول من عام 1963 أخذت الازمة الداخلية طابع العنف عندما حصلت مواجهة بين عناصر من الطائفة التركية مع الشرطة في المناطق التي تفصل بن الطائفتين في العاصمة نيقوسيا، وقتل اثناء هذه المواجهات عدد من الاتراك الامر الذي ادى إلى تعاقب المواجهات وانتشارها في انحاء الجزيرة.

ولكي تؤكد تركيا دعمها للطائفة التركية فقد اتخذت عدة اجراءات عسكرية من بينها تحليق الطائرات الحربية فوق الاراضي القبرصية، فضلاً عن تحريك الاسطول البحري التركي ليقترب من سواحل الجزيرة، دعمت ذلك بتصريحات حادة اكدت فيها استعدادها لاتخاذ كل الاجراءات المناسبة لحماية رعاياها في قبرص. اما الجيش اليوناني المتواجد على الاراضي القبرصية فقد تحرك لمواجهة القوات التركية[1].

ونتيجة لتصاعد الازمة دعا مندوب قبرص في الامم المتحدة إلى تدخل المنظمة الدولية، واعلنت بريطانيا انها سوف تقدم المساعدة اللازمة لاعادة النظام والاستقرار للجزيرة، وبالفعل فقد انتشرت قوات من الجيش البريطاني في المناطق المتوترة.

حاولت تركيا اظهار التحركات اليونانية على انها محاولة لجر قبرص إلى المعسكر الشيوعي، وذلك في محاولة منها لاقحام الازمة في خضم الحرب الباردة التي كانت على

---

(1) كان على ارض الجزيرة (850) فرد من الجيش اليوناني و (600) فرد من الجيش التركي، وذلك بموجب اتفاقية لندن عام 1959.

اشدها في تلك المرحلة. فقد اتهمت اليونانيين بأنهم تابعين للحزب الشيوعي اليوناني، وانهم يعملون على جعل الجزيرة (كوبا ثانية) في المنطقة.

لذا عقد في 15 حزيران 1964 مؤتمر في لندن ضم عدداً من الاطراف الدولية المعنية بالمشكلة، ودعت خلاله بريطانيا كل من الولايات المتحدة وفرنسا وايطاليا باعتبارهم اعضاء في حلف الاطلسي الذي تنتمي اليه كل من تركيا واليونان بالتدخل لوضع حد لحالة عدم الاستقرار.

لكن الرئيس مكاريوس رفض أي تدخل اجنبي في البلاد، وانه في حال استمرار التهديد بذلك فأنه سينظر بطلب دعم دول اخرى، والواضح انه كان يرمي إلى الاتحاد السوفيتي، والذي اكدت عدة مصادر من ان الرئيس مكاريوس قد عقد فعلاً اتفاقيات معه، لاسيما في ما يتعلق بالتسلح.

وزاد من مصداقية هذه العلاقة التصريحات التي اطلقها الاتحاد السوفيتي خلال انعقاد مؤتمر لندن من ان مكاريوس ابلغ الحكومة السوفيتية عن مخاوفه من التدخل الغربي في شؤون الجزيرة ووصف هذه القوات بأنها (قوة استعمارية معتدية من حلف شمال الاطلسي) وحذر السوفيت من هذا التدخل مطالباً مجلس الامن بالتدخل لحل المشكلة.

إلا ان الموقف السوفيتي لم يمنع الدول الغربية من المضي قدماً في خطتها لمنع حصول انشقاق في حلف الاطلسي نتيجة الخلاف اليوناني التركي في قبرص. لذا فقد قررت تشكيل قوة مشتركة من الحلف قوامها عشرة الاف رجل يشكل الامريكيون منها (1200) رجل تكون مهمتهم انهاء الخلاف واعادة الاستقرار للجزيرة على ان لا تتعدى مهمتها الثلاثة اشهر.

وفي الوقت الذي ايدت فيه اليونان وتركيا هذه الخطوة عارضها الرئيس مكاريوس وطالب ان تكون هذه القوة تحت اشراف وسلطة الامم المتحدة على ان تنظم لها قوات من دول اسيوية وافريقية.

في شباط من عام 1964 تجددت الاضطرابات في الجزيرة عندما هاجم الاتراك عمال يونانيين قتل خلالها عدد من الاشخاص. الامر الذي دعا القوات البريطانية التدخل لحماية السكان العزل من اعمال العنف. إلا ان القوات البريطانية فشلت في ذلك الامر الذي دعاها إلى زيادة عدد قواتها بإرسال المزيد منها إلى قبرص.

في هذه الاثناء طرح موضوع تقسيم قبرص من قبل الاتراك إلى دولتين تركية ويونانية لتجنب تطوير الصراع في قبرص. فقد اعلنت اليونان انها على اتم الاستعداد لمواجهة تركيا إذا ما حاولت التدخل وعززت ذلك بارسال سفن حربية إلى قبرص، في حين ارسلت تركيا اسطولها الحربي تجاه الجزيرة.

ولخطورة المشكلة وتعقد التدخلات الدولية فيها طلب عدد من اعضاء مجلس الامن في آذار اصدار قرار بتشكيل قوة طوارئ دولية ترسل إلى قبرص وتكون تحت اشراف الامين العام للامم المتحدة. وبعد مداولات وافق مجلس الامن على المقترح. وتمكن الامين العام من تشكيل القوة الدولية من دول البرازيل وكندا وايرلندا والسويد تحت قيادة الهندي (سيج جياني).

في ذات الوقت سادت مشاعر التفاؤل على قبرص بعد ان اتخذ كل طرف خطوات تهدئة تجاه الطرف الاخر، فقد قرر مكاريوس اطلاق سراح المعتقلين الاتراك قابله الاتراك باطلاق سراح المعتقلين اليونانيين، إلا ان ذلك لم يخفف حالة التوتر بين تركيا واليونان.

وقبل وصول القوات الدولية طالب الرئيس مكاريوس بانسحاب القوات اليونانية والتركية من الجزيرة لفسح المجال للقوة الدولية بأن تأخذ دورها. واعلن انه مستعد لنزع سلاح جميع القبارصة اليونايين تحت رقابة الامم المتحدة على ان يتخذ الاتراك نفس الاجراءات الا ان الاتراك رفضوا هذا الاقتراح.

في 25 نيسان 1964 كان أول اختبار للقوة الدولية عندما قام المئات من اليونانيين باقتحام احد الممرات الفاصلة مع القبارصة الاتراك (ممر كيريتيتا) وجرى تصادم مع القوات التركية الموجودة هناك.

كانت الاضطرابات عنيفة وأخذت بالاتساع، وكانت اكبر من قدرة وصلاحيات القوات الدولية التي اتهمها الاتراك بالتقصير في منع هجوم القبارصة اليونانيين ووجهوا لها انتقادات لاذعة.

وبالرغم من دعوة الامين العام للامم المتحدة (بوتانت) لانجاح مهمة القوة الدولية إلا ان الوقائع كانت تشير إلى عكس ذلك، فقد طالبت دول حلف الاطلسي في اجتماع لها في باريس في مطلع مايس 1964 بأن يكون التدخل الدولي اكثر حزماً وفعالية، كما تقرر البدء بمحاولات دبلوماسية لتخفيف حالة التوتر. لم يكن السوفيت ببعيدين عن الدور الغربي في قبرص إذ صرح خروشوف خلال انعقاد مؤتمر باريس بأن التدخل الاطلسي في قبرص "هو محاولة لتحويل الجزيرة إلى مستودع لاسلحتها وحاملات طائراتها 000 وانها تسعى لاقامة قاعدة ذرية فيها000".

في مايس تصاعدت حدة الاشتبكات في الجزيرة وعززت كل من اليونان وتركيا قواتها استعداداً للمواجهة العسكرية وقد حاولت الولايات المتحدة منع حصول مثل هذه المواجهة وذلك بوضع اسطولها السادس في البحر الاحمر في حالة الاستعداد لمنع نشوب الحرب.

إلا ان ذلك لم يمنع تواصل الاستعدادت للحرب، إذا اشارت التقارير إلى تسلل الالاف من اليونانيين والاتراك إلى داخل الجزيرة.

في منتصف تموز تطورت الاحداث بشكل خطير عندما بدأت اشتباكات واسعة بين اليونانيين والاتراك وتعمقت في آب عندما تدخل الطيران التركي بالاغارة على المدن القبرصية اليونانية دمرت خلالها عدد من المواقع اليونانية وقتلت وجرحت عدد كبير من السكان اليونانيين.

تحركت دول العالم كل لاهدافه لمنع تطور الازمة إلى حرب مباشرة بين تركيا واليونان، فقد اجتمع مجلس الامن في 8 آب لدراسة الاوضاع في قبرص، كما ناشدت دول حلف الاطلسي بوقف التصعيد خشية انفراط عقد الحلف الذي تنتمي اليه كل من تركيا واليونان.

اما الرئيس السوفيتي خروشوف فقد ارسل محذراً تركيا استمرارها بالتصعيد العسكري، وداعماً الرئيس مكاريوس، الا ان الولايات المتحدة رفضت هذه التحذيرات وصرح وزير الخارجية الامريكي " انه واثق من ان السوفيت يقدرون خطورة تدخلهم في تركيا ".

في 9 آب اصدر مجلس الامن قراره بوقف الغارات التركية على قبرص، ووقف اطلاق النار بين كافة الاطراف في الجزيرة، وقد ابلغت كل من قبرص وتركيا موافقتها على القرار. ووجه رئيس وزراء تركيا دعوة إلى رئيس وزراء اليونان لانهاء المشكلة.

الفصل الخامس عشـــر

التحول في السياسة الأمريكية تجاه المعسكر الشيوعي

الفصل الخامس عشـــر

التحول في السياسة الأمريكية تجاه المعسكر الشيوعي

أولاً -العلاقات الأمريكية الصينية

كان تورط الولايات المتحدة في جنوب شرق اسيا والذي بدأ عملياً مع الحرب الكورية يعـزى إلى رد الفعل الامريكي ازاء انتصار الشيوعية في الصين، عندما تمكن ماوتسي تونغ مـن قيـادة الحـزب الشيوعي الصيني للسيطرة عـلى معظـم الاراضي الصـينية وطـرد قـوات تشـان كـاي شـك المـدعون امريكياً.

لقد جاء الانتصار الشيوعي في الصين في ذروة التوجه الامـريكي لمقاومـة المـد الشـيوعي في العالم ووقف انتشار الشيوعية والذي تبناه بقوة الرئيس هاري ترومان بعـد انتهـاء الحـرب العالميـة الثانية، والذي أطلق عليه سياسة القبضة الحديدية أو (سياسة الرد الشامل).

وكان ورثة ترومان اوفياء لهـذا التوجـه لاسـيما آيزنهـاور وكنـدي وجونسـون مـع اخـتلاف الاساليب والوسائل. إلا ان الهزيمة العسكرية الكبرى التي بدأت ملامحها بالظهور مـع بدايـة العقـد السابع من القرن العشرين في فيتنام وكمبوديا ولاوس جعلت الأمريكيون يعيدون حسـاباتهم في مـا يتعلق بالعلاقة مع المعسكر الشيوعي بشكل عام والصـين بشـكل خـاص. انطلاقـاً مـن كـون الصـين اللاعب الابرز والعنيد في المواجهة في جنوب شرق اسيا. ساعد على ذلك عوامل عدة من بينها:

أ- اتساع الخلاف الصيني السوفيتي الامر الذي شجع الامريكيين على محاولـة اسـتغلال ذلـك في تعميق حالة الانقسام في المعسكر الشيوعي على امل اضعاف هذا المعسكر من الداخل دون الحاجة إلى وسائل اخرى قد تكون مكلفة كالمواجهة العسكرية.

ب- ظهور الصين كقوة اقليمية مؤثرة وفاعلة على جميع الصعد، فعلى الصعيد العسكري استطاعت الصين من امتلاك الاسلحة الذرية منذ عام 1964 وتمكنت ايضاً من امتلاك السلاح الهيدروجيني منذ عام 1967 فضلاً عن ذلك فقد امتلكت الصين صواريخ قادرة على حمل رؤوس نووية بمديات مختلفة. كما تمكنت من اطلاق قمرها الصناعي الاول في 24 نيسان عام 1970 مما اعتبر مفاجأة غير سارة للامريكيين، وعنصر المفاجئة هنا ليس فقط القمر الصيني وانما الصاروخ الذي حمل القمر إلى مداره والذي اعتبر تطوراً مهماً في قدرات الصين التسليحية.

اما على الصعيد السياسي كان للافكار الصينية وتجربتها المتميزة في البناء اثراً كبيراً في كسب ود شعوب المنطقة، فضلاً عن ان الصين مدت لتلك الشعوب يد المساعدة العسكرية والاقتصادية لمواجهة الهجمة الامريكية، مما كان له الاثر البالغ في ازدياد نفوذ الصين في المنطقة.

ت- الرغبة الامريكية في الخروج من الورطة العسكرية في فيتنام وذلك بمد الجسور الدبلوماسية مع الصين الطرف الداعم الاساسي (للفيت كونغ)، إذ ان الصين كانت الممول الاساس للثوار من خلال تقديم المساعدات الهائلة، عسكرية كانت ام اقتصادية، مما كان له الاثر في قوة المقاومة وديمومتها.

ث- تأكيد الطابع البرغماتي للسياسة الامريكية التي لا تستكين لسياسة محددة، فبامكان اعداء الامس ان يكونوا اصدقاء اليوم اذا ما تطلبت المصلحة الامريكية ذلك وهذا ينطبق على حلفاء الولايات المتحدة فغالباً ما شهدنا تخلي امريكا عن حلفائها اذاما دعت المصلحة الامريكية إلى ذلك.

ج- محاولة تخفيف الضغط السياسي والاقتصادي والعسكري عن اليابان الحليف الاستراتيجي للولايات المتحدة في المنطقة وقاعدتها العسكرية الكبرى، اذ كانت علاقاتها مع الصين في حالة توتر دائم، انطلاقاً من تراكمات تاريخية شابت تلك العلاقة.

الا اننا يجب ان نسلم ان السياسة الامريكية ليست هي الطرف الوحيد الراغب في مد جسور العلاقة مع الصين وانما التقت هذه الرغبة مع رغبة صينية في التقارب مع الولايات المتحدة انطلاقاً من حسابات وعوامل عدة:

أ- محاولة كسب الاعتراف الدولي بالصين الشعبية لاسيما انها لم تشغل مقعد الصين في الامم المتحدة طيلة العقود السابقة بسبب معارضة الولايات المتحدة لذلك، إذ كانت حكومة فرموزا (تايوان) هي التي تشغل المقعد المذكور.

ب- محاولة كسر طوق العزلة الدولية التي عانت منها الصين لاسيما خلال الثورة الثقافية التي شهدتها، اذ لم يبقى في بكين خلال عام 1968إلا رئيس بعثة دبلوماسية واحد من اصل (43) بعثة نتيجة للطبيعة العنيفة التي تميزت بها تلك الثورة.

ت- رغبتها في تدعيم موقفها في المواجهة الفكرية والسياسية والعسكرية مع موسكو وذلك من خلال التلويح بالتقارب مع الولايات المتحدة من اجل ردع الاتحاد السوفيتي ومنعه من اتخاذ خطوات مؤثرة ضد الصين. فضلاً عن رغبتها في ان تثبت للسوفيت بأنهم اصبحوا قطباً دولياً مهماً يحسب له ولسياسته.

ث- محاولة ايجاد مناخ ملائم لعلاقاتها الاقليمية لاسيما مع اليابان من اجل الاستفادة من هذه الاجواء للتطور والبناء الاقتصادي التي هي بحاجة ماسة اليه لاطعام اكثر من مليار انسان صيني.

لذلك كله ولتقييم القيادة الصينية للموقف الامريكي الضعيف في المنطقة فقد بادرت هي لاطلاق شرارة تسخين العلاقات الامريكية – الصينية عندما دعت الحكومة الصينية وفداً رياضياً امريكياً في نيسان من عام 1971. وذكر ان الدعوة جاءت من اعلى المستويات في القيادة الصينية أي ماو نفسه كما ذكر رئيس الوزراء شو ان لاي.

لقد بدا هذا الامر مفاجئاً للاوساط الاعلامية والسياسية في العالم، اذ عدته انفراجاً غير متوقع في العلاقة بين البلدين لا بل بين المعسكرين. ولاضفاء الطابع السياسي لهذه الدعوة فقد استقبل الوفد من قبل رئيس الوزراء الذي اكد على رغبة بكين

لفتح صفحة جديدة في العلاقة بين الشعبين الامريكي والصيني، واعتبر هـذه الزيـارة بدايـة جديـدة للصداقة بين البلدين.

ان المفاجئة جاءت في هذه الدعوة من ان الموقف في جنوب شرق اسيا كان متأزمـاً لاسـيما في فيتنام وكمبوديا ولاوس، وكانت الولايـات المتحـدة تسـتخدم قواتهـا وطائراتهـا في قصـف مواقـع الشيوعيين في هذه الدول فضلاً عن محاصرة الشواطئ الفيتنامية بالالغام البحرية، في الوقـت ذاتـه كانت الصين تقدم الدعم والمأوى للمنظمات الشيوعية في هذه الدول.

ردت الولايات المتحدة على هذه الخطوة في اليوم التالي من خلال خطاب للرئيس الامريكي ذكر فيه ان حكومته اتخذت تدابير عديدة منها الترخيص بالتصدير والاستيراد المباشر للسلع من والى الصين والسماح للشركات الامريكية النفطية بتزويد السـفن والطـائرات المتجهـة إلى الصـين بـالوقود بعد ان كان ذلك من المحضورات، كما اعلن الرئيس الامريكي السماح للسـفن والطـائرات الامريكيـة بالتعامل مع الموانئ والمطارات الصينية.

لقد فهم الرئيس الامريكي نيكسون الرسالة الصينية واندفع بقوة لاستغلالها إلى اقصى مدى وذلك حين اعلن في 16 نيسان لصحيفة الصنداي تلغراف عن رغبته لزيارة بكين.

وفي خطوة عبرت عن تطور الموقف الامريكي ازاء الصين اعلن وزير الخارجيـة الامـريكي ان بلاده سوف لن تعارض ضم الصين الشعبية إلى الامم المتحدة وطبقاً لذلك فقد تقدمت البانيا في 25 تشرين اول عام 1971 بمشروع قرار إلى الجمعية العامة للامم المتحدة يقضي باشغال الصين الشعبية لمقعد الصين في الامم المتحدة بدلاً من فرموزا (تايوان). وقد تمت الموافقة على هذا المشروع بأغلبية 76 صوت مقابل 35 صوتاً، وتم طرد ممثل تايوان من المنظمـة الدوليـة اذ جـاء في نـص القـرار (ان ممثلي حكومة الصين الشعبية هم الممثلون الشرعيـون الوحيـدون للصـين لـدى الامـم المتحـدة وان الصين هي واحدة من الدول الخمسة الدائمة العضوية في مجلس الامن 000).

لقد مثل تخلي الولايات المتحدة عن تايوان في المنظمة الدولية اقراراً بأهمية الدور الذي تقوم به حكومة الصين الشعبية، فضلاً عن كونه يمثل صوره واضحة للنهج البرغماتي الامريكي الذي يقوم على امكانية التخلي عن اقرب الحلفاء اذا ما اقتضت المصلحة الامريكيةذلك.

في ذات الوقت كان هنري كيسنجر (مهندس السياسة الامريكية الجديدة) يقوم بزيارة (ثانية) للصين واعلن خلالها ان الرئيس نيكسون يرغب بزيارة بكين وحدد يوم 21 شباط من عام 1972 موعداً لبدء الزيارة. وخلال هذه الزيارة التي قام بها نيكسون إلى بكين تم الاتفاق على اعادة العلاقات الدبلوماسية بين البلدين وتوسيع التبادل التجاري، كما تعهد الرئيس الامريكي بترك موضوع تايوان ليحل بين الصينيين انفسهم. واكد المراقبون إلى ان موضوع فيتنام كان حاضراً في هذه الزيارة وان لم يعلن ذلك في البيان الصادر عن البلدين، اذ تعهدت الصين بدفع القضية إلى الحل السلمي مقابل تعهد امريكي بتخفيض وجودها العسكري في المنطقة.

لقد اشرت زيارة الرئيس نيكسون إلى بكين بداية لسياسة جديدة تقوم على اساس الاحتواء السياسي لخصوم الولايات المتحدة بدلاً من الدخول في مغامرات عسكرية غير محسوبة العواقب مع الابقاء على دعم الحلفاء وتسليحهم وهي السياسة التي دشنها نيكسون واطلق عليها (بالفتنمة)، إلا انه من جانب اخر اشرت هذه الزيارة الضعف والشعور بالاحباط لدى الادارة الامريكية من نتائج سياستها في فيتنام وجنوب شرق اسيا بشكل عام والتي تبين على ما عرف بـ (الماركثية)(1) والتي تدعو إلى المواجهة المباشرة للقوى الشيوعية في اسيا.

---

(1) نسبة إلى القائد العسكري في الحرب الكورية (ماك آرثر) والذي كان يدعو إلى تصعيد المواجهة العسكرية ضد الصين.

اما الموقف السوفيتي من التقارب الامريكي الصيني فأنه لم يظهر بشكل رسمي وانما من خلال اعلامهم الموجه من الدولة الذي شن حملات صحفية عنيفة ضد الطرفين، إلا ان هذه الحملات خفت مع الاعلان عن زيارة مرتقبة للرئيس نيكسون إلى موسكو.

ثانياً - العلاقات الامريكية السوفيتية

منذ استلام نيكسون الرئاسة الامريكية (عام 1969) جعل ضمن خططه وضع استراتيجية جديدة في علاقاته مع العالم الشيوعي (بوحي من مستشاره هنري كسنجر) تقوم على تحويل المواجهة في الحرب الباردة إلى حالة من الوفاق واحتواء الصراعات والتوترات الدولية، واتباع اساليب سياسية في اضعاف الخصم الشيوعي عن طريق الاحتواء وليس المواجهة، وعلى الرغم من ان هذه الخطة قد تتطلب وقتاً اطول في تحقيق الاهداف المطلوبة في تجميد وتدمير الاتحاد السوفيتي إلا انها تتميز بخسائر اقل على الصعيد العسكري والاقتصادي فضلاً عن تحقيق بعض الامتيازات على صعيد العلاقات الدولية اذ ان الرأي العام العالمي بدأ يرفض الحرب كحل للنزاعات الدولية.

وانطلاقاً من هذه الاستراتيجية الامريكية الجديدة بدأت محادثات مشتركة للحد من التسلح النووي في هلسنكي في تشرين الثاني عام 1969، وكانت المحادثات قد بدأت سرية ووصفت انها معقدة انتهت إلى التوصل إلى مجموعة من الاتفاقيات. وكان لابد لهذه الاتصالات والاتفاقيات ان تناقش على اعلى المستويات الحكومية الامر الذي ادى إلى ان يقرر الرئيس الامريكي نيكسون زيارة موسكو ضمن خطة بدأها بزيارته إلى الصين، كان السوفيت ينظرون إلى هذه الزيارة من عدة نقاط:

ايقاف عجلة سباق التسلح النووي التي بدأت ترهق الميزانية السوفيتية وتؤثر على الواقع الاقتصادي المتدهور اصلاً نتيجة آلية الاقتصاد السوفيتي القائم على المركزية الشديدة في

كل حلقات الادارة الاقتصادية. وتشير الاحصاءات إلى ان السوفيت ينفقون اكثر من (23.5%) من الدخل القومي على التسلح[1].

الاوضاع في فيتنام والتي حاول السوفيت استثمار التراجع الامريكي في حربها ضد (الفيت كونغ) والعمل على دفع الولايات المتحدة لسحب قواتها من فيتنام لما لوجودها من اثر سياسي وعسكري وستراتيجي سلبي في المنطقة، فضلاً عن ما تسببه هذه الحرب من استنزاف للقدرات الاقتصادية السوفيتية نتيجة المساعدات الضخمة التي تقدمها للثوار.

التقارب الصيني الامريكي في الوقت الذي تصاعد فيه الخلاف الصيني السوفيتي والذي وصل مع بداية السبعينات إلى المواجهة العسكرية على الحدود بين الدولتين، لذا فقد حاول السوفيت تطويق هذه العلاقة الجديدة وتخفيف اثارها المحتملة على الاتحاد السوفيتي ومكانته الدولية والاقليمية.

محاولات السوفيت استثمار التقارب مع الولايات المتحدة لتحقيق تقارب سياسي واقتصادي مع اوربا الغربية لما لهذا التقارب من اهمية كبيرة ليس فقط للسوفيت وانما لدول اوربا الشرقية لاسيما من الناحية الاقتصادية.

سعي السوفيت للحصول على مساعدات اقتصادية وتكنولوجية من الولايات المتحدة في اطار وفاق مشترك في جميع المجالات.

لقد جاءت هذه الزيارة في 1972/5/26 في ظل تصاعد العمليات العسكرية في فيتنام لاسيما الحصار البحري المشدد الذي قامت به القوات الامريكية للموانئ الفيتنامية من خلال زرع الالغام البحرية، وكذلك في ظل استمرار الفيتناميين بالمقاومة والرد على الهجمات الامريكية مما احرج القوات الامريكية والقوات المتحالفة معها. إلا ان هذه الاجواء العسكرية التي خيمت على المنطقة لم تثن اصحاب القرار في القيادة السوفيتية والامريكية من السير قدماً في تحقيق اهدافهم التي خططوا لها واجتمعوا من اجلها. اذ تم

(1) للتفصيل عن الواقع الاقتصادي السوفيتي يراجع الباب الثالث من هذا الكتاب.

التوقيع على وثيقة مشتركة اطلق عليها (مبادئ اساسية للعلاقات بين الولايات المتحدة وبين اتحاد الجمهوريات السوفيتية) وبدأت بعبارة مهمة أفصحت عن موقف الطرفين للبحث عن صيغة مسالمة للعلاقة بينهما اذ جاء فيها " لا يوجد في العصر النووي بديلاً للعلاقة المتبادلة غير قاعدة التعايش السلمي". وتضمنت هذه الوثيقة عدة نقاط:

أ- التأكيد على مبدأ التعايش السلمي وان الخلاف الفكري بين الجانبين لن يوقف تنمية العلاقات بين الطرفين.

ب- التعهد بتجنب المواجهة العسكرية المباشرة ومنع نشوب حرب ذرية، والعمل على حل الخلافات من خلال التفاوض والطرق السلمية.

ت- تواصل الجهود للعمل على تحديد انتاج الاسلحة الاستراتيجية.

ث- تعميق الروابط الاقتصادية بين الجانبين.

واشار البيان المشترك الذي صدر عن الجانبين إلى اهمية هذه الوثيقة باعتبارها قاعدة للعمل على تنمية علاقات سلمية بين البلدين. وتكتسب زيارة نيكسون إلى موسكو اهمية كبيرة انطلاقاً من:

1. انسحاب أي تفاهم بين الدولتين على العلاقات الدولية كون لكل طرف شبكة من التحالفات الدولية التي تتبع سياستهما الخارجية.
2. تعميق التفاهم حول تحديد الاسلحة الاستراتيجية.

اذ توصلا إلى مجموعة من الاتفاقيات حول الموضوع كما انهم قرروا استمرارية الاتصالات لتحقيق مزيد من هذه الاتفاقيات من خلال لجنة مشتركة تجتمع بشكل منتظم لمناقشة الاقتراحات والاتفاق عليها.

بعد هذه الزيارة جرت خطوات عديدة للتقارب السياسي والاقتصادي بين الجانبين، فمع بداية العام 1973 تم توقيع اتفاق سياسي حول تجنب الحرب النووية، كما استمرت الاتصالات على اعلى المستويات فقد التقى نيكسون وبرجينيف مرة اخرى في تموز 1973 وتموز 1974، وبعد مجيئ جيرالد فورد إلى السلطة في واشنطن عقد اجتماع قمة مع برجينيف في تشرين الثاني 1974.

لقد سمح هذا التقارب والحوار المستمر على اعلى المستويات إلى حالة من الانفراج في العلاقات الدولية لاسيما في اوربا، اذ تم تطبيع العلاقات بين الاتحاد السوفيتي وحلفائها مع دول اوربا الغربية، كما تم تحقيق عقد مؤتمر الامن والتعاون في اوربا بين جميع الدول الاوربية في هلسنكي وذلك في تموز 1973 على مستوى وزراء الخارجية وفي عام 1975 على مستوى رؤوساء الدول والحكومات. وقد اقر في هذا المؤتمر مجموعة من المبادئ المشتركة للتعاون في اوربا تقوم على احترام السيادة والمساواة وعدم اللجوء للتهديد بالقوة وتسوية المنازعات بالطرق السلمية فضلاً عن عدم التدخل في الشؤون الداخلية. كما تقرر ان تتخذ جميع الدول الاجراءات الفعلية لنزع السلاح وتعميق مجالات التعاون الاقتصادي بكافة فروعه التجارية والصناعية والتكنولوجية.

كان من نتائج سياسة الانفراج في العلاقة بين العملاقين ان تم التبادل التجاري والاقتصادي والتقني بينما اتسعت مساهمة الشركات الاوربية في بلدان اوربا الشرقية فارتفع عدد الشركات من (150) شركة عام 1968 إلى (1000) شركة عام 1976 عاملة في دول المعسكر الشيوعي. وقامت الدول الاوربية بتمويل مشروع غاز سيبريا وهو من المشاريع الضخمة والحيوية بالنسبة للاتحاد السوفيتي، اذ انه يربط المصالح الاقتصادية السوفيتية مع مصالح المانيا وايطاليا المستفيدة من هذا المشروع. إلا ان هذا الوفاق بين الطرفين لم يكن ليستمر طويلاً فقد تعرض إلى هزات عنيفة لاسيما عام 1973 في ازمة الشرق الاوسط، وفي دعوة الرئيس الامريكي فورد عام 1975 بتعزيز الوجود الامريكي في الباسفيك من خلال التعاون العسكري مع اليابان بما اطلق عليه (مبدأ الباسفيك) والذي وضع اهتمام الامريكيين بأمن اندنوسيا والفلبين وسنغافورا وماليزيا كونه يمثل حاجة استراتيجية للولايات المتحدة في مواجهة السياسة السوفيتية التي اشار المبدأ إلى تزايد ثقلها العسكري في المنطقة.

وتعرضت سياسة الوفاق إلى اخطر تحدي مع الاحتلال السوفيتي لافغانستان عام 1979، إلا ان السياسة الامركية ابتعدت عن المواجهة المباشرة وركزت على احتواء

الخطر السوفيتي في اساليب عسكرية وسياسية وهو الاسلوب الذي سوف ينجح في تحقيـق اهـداف امريكا في النهاية من خلال انهيار الاتحاد السوفيتي والمعسكر الشيوعي برمته.

الفصل السادس عشر

المقامرة السوفيتية في افغانستان

الفصل السادس عشر

المقامرة السوفيتية في افغانستان

الفصل السادس عشـــر

المقامرة السوفيتية في افغانستان[1]

لا يمكن فصل الغزو السوفيتي لافغانستان في 28 كانون اول 1979 عـن السياسـة السـوفيتية تجاه هذه الدولة منذ عشرات السنين. فاذا استثنينا اهتمام روسـيا القيصريـة في افغانسـتان كبوابـة اساسية ومهمة للنفوذ الـروسي باتجـاه المحـيط الهنـدي والخلـيج العـربي (بمـا يطلـق عليهـا بالميـاه الدافئة)، فان روسيا الشيوعية كانت اول الدول التي اعترفت باستقلال افغانستان عـام 1919 الـذي اعلنه الملك الافغاني (امان اللـــه خـان 1919-1929) للـتخلص مـن النفـوذ الخـارجي لاسـيما نفـوذ بريطانيا التي وقفت بشدة ضد هذا الاستقلال.

كان هدف روسيا في تلك المرحلة، فضلاً عن اهدافها التقليدية، محاولة التخلص مـن الطـوق او الحصار الذي فرضته عليهـا الـدول الاوربيـة والولايـات المتحـدة بعـد نجـاح الثـورة البلشـفية في تشرين ثانـي من عام 1917 وتبنيها الخط الماركسي الذي تعارضه تلـك الـدول وتعتـبره خطـراً عـلى واقعها الاجتماعي والسـياسي. وكـان الاعـتراف بافغانسـتان والتعامـل معهـا جـزء مـن خطـة روسـيا الشيوعية تقضي بمد الجسور مع عدد من الـدول في المنطقـة مثـل تركيـا (بزعامـة اتـاتورك) وايـران وغيرها.

---

(1)افغانستان دولة مغلقة (لا تطل على البحر) ذات موقع استراتيجي يحدها من الشـمال بحـدود طويلـة الاتحـاد السوفيتي نحو (500) كم والصين من الشرق اما الباكستان فتاحدها من الشرق والجنـوب وايـران تحـدها مـن الغرب. ذات طبيعة جبلية وعرة وصحراوية (تمثل هذه الطبيعة (80%) من اراضيها. يصل عـدد سـكانها عنـد الغزو (19) مليون نسمة ينحدرون من قبائل عدة ويتكلمون عدة لغات، امـا واقعهـا الاقتصـادي والاجتماعـي فتشير التقارير انها تصنف انها افقر دول العالم وتزيد فيها الامية عن (90%).

الا ان النفوذ الروسي وان كان حاضراً في افغانستان فان الحكومة الافغانية عملت جاهـدة على ابقاء حالة التوازن او الحياد في علاقاتها الخارجية لاسيما مع الاتحاد السوفيتي (الذي اعلن عن تاسيسه عام 1922) وبريطانيا. وانطلاقاً من هذا المبدأ دخلت افغانستان في تحالف مع دول الشرق الاوسط المحسوبة على الغرب عندما وقعت مع العراق وايران ميثاق سعد آباد عام 1937. لذا فقـد وصف المراقبون افغانستان بأن مثلها (مثل الشاة بين الدب الروسي والاسد البريطاني).

بعد الحرب العالمية الثانيـة استـمر الـنهج الافغـاني في التـوازن بـين الشرق والغـرب ففـي الوقت الذي عمل فيه الجنرال داوود (رئيس الوزراء عـام 1953-1963) عـلى التقـارب مـع الاتحـاد السوفيتي والذي مده بمساعدات عسكرية واقتصـادية كبـيرة. حـاول الملـك الافغـاني اعـادة التـوازن باقالة داود من منصبه نتيجة للضغوط الغربية والابقاء على العلاقات المتوازنة بين الشرق والغرب.

ومع بداية سبعينات القرن العشرين وفي ظل الصراع الدولي، لاسيما في اسيا، استمر الحيـاد الافغاني وبمحاولة مسك العصا من الوسط. تدل عـلى ذلـك العلاقـات الاقتصـادية والعسـكرية التـي اقامتها افغانستان مع كل من الاتحاد السوفيتي والولايـات المتحـدة الامريكيـة. فعـلى سـبيل المثـال عندما كان السوفيت وحلفائهم ينفذون المشاريع في الجزء الشمالي مـن افغانسـتان كتعبيـد الطـرق ومد الجسور وانشاء الشبكات الكهربائية فضلاً عن بناء مطار كـابول الـدولي سـارع الامريكيـون إلى تنفيذ مشاريع الجزء الجنوبي من افغانستان ومنها انشاء مطار حديث في قنـدهار. وهـذا مـا جعـل الصحفيون يعلقون بأن (اذا كانت السكائر امريكية فان علبة الكبريت سوفيتية).

إلا ان التحول المهم والكبـير في الواقـع السـياسي الافغـاني لصـالح الاتحـاد السـوفيتي حصل في اعقاب الانقلاب الذي قاده الجنرال داوود في 27 تموز عام 1973 وهو من المقـربين مـن الاتحـاد السـوفيتي، والـذي ادى إلى الغـاء الملكيـة واعـلان الجمهوريـة وفـق الاسـلوب السـوفيتي في الادارة مـما جعـل المراقبـون يعـدون ان هـذا الانقـلاب بأنـه ازاح مـن

امام السوفيت الجدار العازل الذي يقف عائقاً امام السياسة السوفيتية التي ترنـو بنظرهـا إلى بحـر العرب وخليجهم.

إلا ان الاوضاع في افغانستان لم تستقر،والحكم الجديد لم يستطيع ترسيخ اقدامه في المجتمـع الافغاني ذات التركيب القبلي والعرقي المعقد. الامـر الـذي ادى إلى ان تتحـول السـاحة الافغانيـة إلى مسرح للمنافسات السياسية والقبلية انعكس على الواقـع السـياسي، اذ شـهدت الحكومـة الافغانيـة عدة تغيرات في هرم السلطة بـيّن حجـم الهـوة العميقـة التـي تعـاني مـنهما الاطـراف السياسـية في افغانستان. وانتهى الامر إلى حدوث انقلاب عسكري في عام 1978 قاده حفـيظ اللـــه امـين. إلا ان هذا الانقلاب زاد من سوء الاوضاع الداخلية، اذ نشب صراع مرير وعنيف بين انصار الجـنرال داوود ومعارضيه.

ان احتدام الصراع الداخلي في افغانستان جعل السوفيت يتخوفون من فقدان نفوذهم، وان الاوضاع قد تؤدي إلى فسح المجال لقـوى خارجيـة معاديـة للاتحـاد السـوفيتي مـن السـيطرة عـلى افغانستان وانهاء النفوذ السوفيتي او على الاقل اعاقته. ونتيجة لهذا الفهم وانطلاقـاً مـن حسـابات سوفيتية محددة اجتاحت القوات السـوفيتية الاراضي الافغانيـة في 28 كـانون الاول مـن عـام 1979 ليتم تنصيب بابراك كارمل رئيساً للدولة بحماية القوات السوفيتية.

السؤال الذي يطرح هنا وبالحاح مما انطلق السوفيت في قـراراهم الخطـير باجتيـاح الاراضي الافغانية ذات الموقع الحساس لاكثر من طرف كالولايات المتحـدة وايـران وتركيـا وباكسـتان وحتـى اقطار الخليج العربي ؟

لم تطرح القيادة السوفيتية مبررات محـددة وحقيقيـة في تفسـيرها للغـزو، إلا انـه بالامكـان اعطاء استنتاجات من الوقائع الدولية والاقليمية التـي سـمحت او شـجعت السـوفيت عـلى اتخـاذ هذه الخطوة.

أولاً - إن موسكو كانت تعيش في تلك المرحلة معركة حياة او موت على الصـعيدين الداخلي والخـارجي، وبـدأ الاتحـاد السـوفيتي يبحـث عـن طـوق النجـاة لانتشـال الواقـع السـياسي والاقتصـادي والاجتماعـي المتـدهور. ذلـك بـالرغم مـن الهالـة الكبـيرة التـي

كان يصورها الاتحاد السوفيتي لتفوقه العسكري الاستراتيجي والتـي كانـت تخفـي وراءهـا اوضـاعاً اقتصادية متدهورة جداً وواقع اجتماعي مهئ للانفجار بسبب التنوع العرقي والديني والذي خنقته المركزية الشيوعية الشديدة، فضلاً عن صراع خفي على السلطة بين جيلين من القادة السوفيت. لـذا وصف القرار بأنه مقامرة بنيت على حسابات تحتمل النجاح والفشل القاتل.

لقد اغفل قادة الاتحاد السـوفيتي الـثمن البـاهظ الـذي قـد يدفعونـه ازاء خطـوتهم بغـزو افغانستان، فكان هدف تثبيـت انصـارهم بالسـلطة هـو الهـدف الاسـاس، إلا ان القيـادة الافغانيـة الجديدة فشلت في تثبيت سلطتها وبـدا ان الشـعب الافغـاني قـد رفضـهم مـما اشر فشـل الخطـوة السوفيتية في الغزو.

ثانياً - ان التغيرات الجديدة في المنطقة لاسيما ما يتعلق بالثورة في ايران والتي تفجـرت عـام 1979، قد اثارت مخاوف السـوفيت مـن ان تمتـد اثارهـا إلى داخـل افغانسـتان او حتـى الى داخـل الاتحاد السوفيتي الذي يضم في تكوينه عدد من الشعوب الاسـلامية. لـذا فعمـل القـادة السـوفيت على خطوة استباقية وايجاد حاجز لمنع هذا التأثير فضلاً عـن اعتقـادهم ان الثـورة في ايـران مثلـت تراجعاً وانتكاسة للسياسة الامريكية في المنطقـة تضـاف الى انتكاسـاتها في فيتنـام مـما سـيؤثر عـلى قدرتهم على ابداء رد فعل مؤثر وقوي ضد الاتحاد السوفيتي.

ثالثاً - لقد حاول السوفيت اعادة الثقة والمصداقية لسياستهم التي وضعت في حالـة اختبـار صعبة في مواقف عديدة مع حلفائهم، والتأكيد بان الاتحاد السوفيتي جاد في سياسته تجـاه حلفائـه مهما كان الثمن. ولكن الواقع ان الاتحاد السوفيتي اراد ان يعيد الثقة لنفسـه قبـل حلفائـه لاسـيما بعد المواقف الضعيفة او المتذبذبة التـي اتخـذها ازاء منـاطق عديـدة مـن العـالم كفيتنـام وقضـية الشرق الاوسط والتي اثارت التساؤل لدى عدد كبير من الـدول عـن قيمـة او اهميـة التحـالف مـع الاتحاد السوفيتي والاعتماد عليه لاسيما في حالات الازمات.

رابعاً - لقد بنى القادة السوفيت حساباتهم عن الغزو منطلقين من تقديرات سابقة حول عدد من الاحداث الدولية، فعلى سبيل المثال ان الامريكيون لم يتخذوا موقفاً عنيفاً ازاء التدخل السوفيتي في جيكوسلوفاكيا عام 1967، كما ان الولايات المتحدة الان هي في وضع اضعف بعد الهزيمة المنكرة في فيتنام وفضيحة ووترغيت وان محددات تدخلها في المنطقة تجعل رد فعلها لا يتجاوز الخطاب السياسي.

الا ان الواقع كان يشير الى خطأ الحسابات السوفيتية والدليل على ذلك ازمة عام 1973 في الشرق الاوسط التي اثبتت للسوفيت ان الولايات المتحدة مستعدة للذهاب إلى ابعد مدى في الحفاظ على مكاسبها الاستراتيجية في العالم.

خامساً - وجد السوفيت انفسهم في حالة تفوق عسكري استراتيجي نتيجة لتصاعد انتاجها للصواريخ النووية بعيدة المدى، وقد اعترف الامريكيون بالفجوة التي تفصلهم عن السوفيت في مجال التسليح. الامر الذي اعطى السوفيت نوع من الثقة الزائدة بالنفس متناسين ان المواجهة النووية لم تعد قابلة للتحقيق مهما كان نوع التفوق، لان نتائج مثل هذه المواجهة ستكون كارثية على الطرفين وليس على طرف واحد مهما كان تفوق الطرف الاخر، لذلك فقد اصبح مثل هذا الاحتمال غير واقعي، لاسيما في مشكلات اقليمية بعيدة جغرافياً عن احد طرفي الصراع، وبذلك يخرج التفوق التسليحي من خانة الحسابات في المشكلة الافغانية لأن هناك عناصر تهديد امضى في تأثيرها كالاقتصاد والسياسة التي كانت لها تأثيرها السلبي الكبير على الاتحاد السوفيتي.

لقد جاء رد الفعل على عملية الغزو بعيداً عن كل الحسابات السوفيتية وعلى جميع الصعد.

اولاً - داخل افغانستان فوجئ السوفيت بالمقاومة المسلحة العنيفة من قبل الشعب الافغاني المدعومين من قوى خارجية لها اهدافها المتباينة التي اتفقت على الحاق الهزيمة بالقوات السوفيتية. وقد احرجت هذه المقاومة وبطريقة حرب العصابات الجيش السوفيتي لاسيما ان مناطق القتال هي مناطق جبلية وعرة فضلاً عن تفاني الشعب الافغاني في القتال بشكل فاق التصور كونه ينطلق ليس فقط من منطلقات قومية او قبلية وانما ايضاً

من العقيدة الاسلامية التي فرضت على المسلمين الافغان الجهاد ضد المحتل. فقد توحدت فصائل المقاومة الافغانية بعد ان كانت مشتتة وغير فعالة. اذ اعلن في 1980/1/27 في الباكستان تشكيل تحالف اسلامي لستة حركات ثورية افغانية بزعامة برهان الدين رباني بهدف تحرير البلاد. وقد تمكن الثوار من تحقيق عدة انتصارات ففي جلال اباد انضمت فيها القوات الافغانية إلى الثوار. وفي شباط استولى الثوار على عدة مناطق في شمال العاصمة كابل، كما اعلن في 20 شباط اضراب عام في العاصمة الامر الذي دعا السلطة المحلية إلى اعلان الاحكام العرفية وفرض حضر التجول.

ثانياً – اما رد الفعل العالمي فقد كان هو الاخر خارج الحسابات السوفيتية.

أ- فقد تصاعدت الادانة للغزو السوفيتي في الامم المتحدة وفي منظمة المؤتمر الاسلامي وكذلك في مؤتمر عدم الانحياز الذي كان السوفيت يعدونه ضمن مؤيديه لما كان للدول المؤسسة لهذه الحركة من ارتباط وثيق بالاتحاد السوفيتي الذي عد في مرحلة ما داعماً للحركات الوطنية والثورية في العالم الثالث.

ب- اما الغرب فانه لم يكتف بالادانة وانما بدأ باتخاذ خطوات عملية لمعاقبة الاتحاد السوفيتي ومحاصرته ومنعه من انجاح عملية الغزو، اذ جمدت الاتصالات بين دول اوربا الغربية وبين الاتحاد السوفيتي مما ادى إلى تعميق الضرر على الاقتصاد السوفيتي، كما ان الولايات المتحدة الامريكية قد اوقفت التعاملات التجارية مع موسكو لا سيما ايقاف تصدير الحنطة الامريكية إلى الاتحاد السوفيتي. واعلن الرئيس كارتر في 1/13 /1980 تقديم مساعدات عاجلة إلى الباكستان بقيمة (400) مليون دينار لمواجهة الخطر السوفيتي. وفي 1/14 شرعت القوات الامريكية بالتحرك باتجاه الخليج العربي بحجة منع التوسع السوفيتي، فضلاً عن ذلك قررت الولايات المتحدة الانسحاب من الالعاب الاولمبية المقرر اقامتها في موسكو عام 1984. كما تصاعدت الدعاية المضادة للاتحاد السوفيتي ولأيديولوجيته الشيوعية في اوربا والولايات المتحدة مما اعاد للذاكرة اجواء الحرب الباردة في خمسينيات القرن العشرين.

كما بدأت الولايات المتحدة وحلفاؤها في نشر 600 صاروخ نووي بعيد المدى في اوربا الغربية، وبدأت الدعوات الامريكية لزيادة الانفاق العسكري لسد الفجوة التسليحية مع الاتحاد السوفيتي مما مثل انتكاسة حقيقية لمساعي الانفراج في العلاقات الدولية والحد من التسلح.

وطبقاً لذلك فقد اعتبر الرئيس الامريكي جيمي كارتر الغزو بأنه اكبر خطر يهدد السلام الدولي منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية (متناسياً غزوه لفيتنام). وانطلاقاً من هذه الرؤيا الامريكية فقد دعا الرئيس الامريكي إلى مجموعة من الخطوات اطلق عليها (مبدأ كارتر) وذلك عام 1980 وتقضي بزيادة ميزانية الدفاع الامريكية وتطوير قوة التدخل السريع لتكون جاهزة في التصدي لأي محاولة تهديد المصالح الامريكية لاسيما في منطقة المحيط الهندي والخليج العربي. كما دعا المبدأ إلى التوسع في بناء القواعد العسكرية في منطقة المحيط الهندي وفي الشرق الاوسط من خلال تدعيم العلاقات الامريكية مع دول هذه المناطق.

ت- اندفاع عدد من الدول وتحت مشاعر التخوف من الخطوة السوفيتية نحو اقامة علاقات اكثر تطوراً مع الولايات المتحدة فقد وافقت كل من عمان وكينيا والصومال في 1980/1/12 بالسماح للقوات البحرية والجوية والامريكية للحصول على تسهيلات عسكرية بهدف ردع السوفيت، كما ازدادت العلاقات الامريكية تطوراً مع مصر والسعودية (التي تجاوزت رد فعلها حول اتفاقية كامب ديفد 1977) وكذلك الباكستان والصين ودول اخرى. وشهد هذا التطور ابعاداً واسعة كاقامة القواعد العسكرية والتنسيق السياسي والاقتصادي.

ثالثاً - تصاعد تأثير السلفية الاسلامية في الدول العربية والاسلامية وتراجع القوى الشيوعية او الاشتراكية وذلك بدعم مباشر من الولايات المتحدة الامريكية وحلفائها، فقد اشاعت الولايات المتحدة بعد الثورة الاسلامية في ايران عام 1979ومن خلال وسائل اعلامها بأن الخطر القادم هو الخطر الاسلامي وموضوع الجهاد، واصبحت هذه المواضيع تعج بها الصحف والكتب الغربية. إلا ان هذا الاعلام الغربي دار حول

نفسه دورة كاملة بعد ان اصبح الجهاد في الاسلام يخدم المخطط الامريكي في افغانستان وتحول التركيز على دعم القوة الاسلامية لمواجهة الخطر السوفيتي. الامر الذي سيكون له تأثير سلبي معاكس في المرحلة القادمة لان التحدي الجديد بعد انهيار الشيوعية سيكون السلفية المتشددة.

رابعاً - عدم قدرة الاتحاد السوفيتي توظيف علاقاته وتحالفاته في العالم لصالح استراتيجية مقاومة ردود الافعال العالمية المتنوعة حول غزوه لافغانستان فقد ادان العراق عملية الغزو ووقف ضدها كما انه دخل في حرب مع ايران ابعدته عن لعب دور اقليمي او عالمي، اما ليبيا واليمن الجنوبي وسوريا فان اهمية مواقفهم لم تكن ذات تأثير واضح. اما اوربا الشرقية فكان حلفاء الاتحاد السوفيتي اضعف من ان يكون لهم دور مؤثر لاسباب داخلية او نتيجة ازماتها الاقتصادية.

كان من بين اهم نتائج الغزو السوفيتي لافغانستان كشف الغطاء عن الواقع المتردي الذي يعيشه الاتحاد السوفيتي على الصعيدين الداخلي والخارجي الامر الذي جعل الغزو ونتائجه العسكرية والسياسية والاقتصادية أول مسمار في نعش الاتحاد السوفيتي الذي ستبدأ خطوات تفكيكه مع مجيء غورباتشوف إلى السلطة عام 1985 تحت شعار البروسترىكا او (اعادة البناء).

الفصل السابع عشـــر

ضعف الكتلة الشيوعية وانهيارها

الفصل السابع عشـــر

ضعف الكتلة الشيوعية وانهيارها

اولا: مقدمات الانهيار السوفيتي

عندما جاء لينين إلى السلطة بعد ثورة اكتوبر عام 1917 كان يعد بقيام دولة العدالة والرفاهية التي تقوم على الاتحاد الطوعي بين عدد من الشعوب كان القياصرة قد اخضعوها بالقوة.

إلا ان تاريخ الاتحاد السوفيتي لم يشهد تحقيق هذه الاهداف، بل انها شهدت في العهد الستاليني اقسى أنواع السلطات المركزية، إذ تم اخضاع عدد من الدول تحت الهيمنة السوفيتية وبالقوة، واجبارها على انتهاج الخط الماركسي الذي يحرم على الشعوب السوفيتية أي مشاعر قومية أو دينية.

في تلك الفترة بدأت بذور الضعف السوفيتي والتي بدأ ت بوادره بالظهور خلال عقد الثمانينات من القرن الماضي نتيجة لجملة من المتغيرات الدولية أو الداخلية افضت إلى حالة من الغليان الشعبي انتهت إلى ضعف الدولة وتفككها.

لقد جاء انحسار السيطرة الاستعمارية بنوعيها السياسي والعسكرية وظهور حكومات محلية وطنية مستقلة مما اضعف الطروحات الاممية التي تبناها الاتحاد السوفيتي، فضلاً عن ذلك فأن الموازنة في البناء الاقتصادي والاجتماعي وبناء الدول على الاسس الاشتراكية وفي نفس الوقت وفق الواقع المعاصر اصبح امراً صعباً الامر الذي ادى إلى ظهور حالة من التناقض بين المبدأية الماركسية وبين الطابع البرغماتي الذي بدأ الاتحاد السوفيتي بانتهاجه تماشياً مع متطلبات الواقع الاقتصادي والاجتماعي المعاصر. زاد في

عمق الازمة الاستغلال الاعلامي والسياسي والاقتصادي من قبل دول الغرب والذي ركز على ابراز معالم الفشل في تطبيق النظرية الاشتراكية.

كانت وفاة الزعيم السوفيتي الأبرز ليونيد برجينيف في 1982/11/10، وهو من الزعماء الأكثر تشدداً في تطبيق المبادئ الماركسية – اللينينية (والذي وصل إلى قيادة الاتحاد السوفيتي بعد الاطاحة بخروشوف عام 1964) بداية لكشف الغطاء عن أوضاع مآساوية يعيشها الاتحاد السوفيتي وعلى جميع المستويات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

فخلال سبعينيات القرن الماضي اشاع السوفيت فكرة تفوقهم العسكري على الولايات المتحدة، وأنهم يحققون انتصارات كبيرة في المواجهة مع الغرب (الرأسمالي والامبريالي000!) لاسيما في مجال سباق التسلح وفي التغلغل إلى عدد من المناطق الاستراتيجية في العالم كأفريقيا واسيا وأمريكا اللاتينية، وسط تراجع امريكي عن دورها العالمي محكومة بعقدة فيتنام فضلاً عن ظروف سياسية داخلية.

لقد روج السوفيت في فترة السبعينات إلى ان المعسكر الاشتراكي يتوسع جغرافياً وايديولوجياً في الوقت الذي يتراجع فيه النظام الرأسمالي الذي صور على انه تتقاذفه الازمات الاقتصادية كالتضخم والبطالة وغيرها كما كان يصورها الاعلام السوفيتي.

إلا ان هذا التفوق العسكري لم يكن في حقيقته مؤشر قوة وإنما كان احد أهم اسباب استنزاف القدرات الاقتصادية السوفيتية والتي هي اصلاً تعاني من فجوات أخذت بالاتساع شيئاً فشيئاً.

ويشير الباحثون إلى ان الفكر الاشتراكي وسياسة الدول التي تبنته بعد هذه المرحلة عبر عن تجمده عند حدود معينة وفشل في اللحاق بتطورات العصر التكنولوجية او حتى التخطيطية في بناء سياسات عسكرية واقتصادية وحتى اعلامية مناسبة الامر الذي ادى إلى تخلفه في مرحلة الثمانينات وفشله في ايجاد التفسيرات اللازمة وفق المنطق الماركسي لكيفية مواكبة التطورات المعاصرة الامر الذي جعل الفكر الماركسي مجرد شعارات خاوية من المصداقية.

وصل إلى السلطة بعد وفاة برجينيف اثنان من القادة الشيوعيين الكبيري السن، ولم يستمروا في الحكم إلا فترة قصيرة إذ لم يستمر اندروبوف في السلطة إلا للفترة من 1982/11/12 حتى 1984/2/9 وهو تاريخ وفاته. ثم تم تنصيب جيرننكو الذي توفي هو الاخر في 1985/3/10 ليتم اختيار ميخائيل غورباتشوف أميناً عاماً للحزب الشيوعي السوفيتي. ولتبدأ مرحلة جديدة أدت في نهايتها إلى تفكك الاتحاد السوفيتي واختفائه من خارطة العلاقات الدولية.

1. الأزمة الاقتصادية

ذكرنا ان ثمانينات القرن الماضي شهدت طفح الازمة الاقتصادية على السطح وان كانت جذورها تعود إلى مراحل سابقة.

فقد كان للحكومة السوفيتية ثلاث أهداف اساسية في توجيهاتها الاقتصادية كانت تعمل على الموازنة بينها:

أ- الحفاظ على التوازن الاستراتيجي مع الولايات المتحدة الامريكية لاسيما ما يتعلق في سباق التسلح والذي بدأ في هذه المرحلة يأخذ ابعاداً اكثر كلفة من السابق من خلال تصاعد ما أطلق عليه بـ (عسكرة الفضاء) او حرب النجوم.

ب- تأمين الاموال الكافية للاستثمار وتصعيد وتائر النمو الاقتصادي.

ت- العمل على رفع المستوى المعيشي لأفراد الشعب السوفيتي ليتناسب مع ما وصلت اليه دول العالم الرأسمالي، وكذلك ليتوافق مع وعود وطروحات المذهب الماركسي الذي صور التطبيق الماركسي بأنه يجلب الرفاهية والعدالة في المجتمع. وكان هذا الهدف هو التحدي الأكبر للسلطة السوفيتية والذي كان الفشل فيه أهم عناصر الأزمة السوفيتية.

إلا ان تحقيق هذه الأهداف بدا حلماً بعيد المنال لاسيما بعد سياسة المكاشفة التي اتبعها غورباتشوف لتبيان حقيقة الواقع الاقتصادي في الدولة وليدعو إلى وضع الآليات المناسبة لمعالجة ذلك الواقع.

لقد اشارت الدراسات التي تصدى لها عدد من الباحثين لدراسة الواقع الاقتصادي المرير الذي عاشه الاتحاد السوفيتي إلى عدة ملامح ميزت هذا الواقع من ابرزها:

أ- انخفاض المعدل السنوي لدخل الفرد من (3.4%) خلال خطة الأعوام 1976-1980 إلى (2,2%) خلال الخطة للأعوام 1981 - 1985. وهذا بالطبع بالاستناد إلى الأرقام الرسمية المعلنة والتي يشكك في صحتها او يعتقد ان معدلات الدخل تدنت إلى أكثر من ذلك.

الخلل في الميزان التجاري للدولة إذ ان الصادرات السوفيتية التي تمثل (60%) من الموارد للميزانية والتي تشتمل على صادرات النفط والغاز والخشب والاسمنت وغيرها قد انخفضت بشكل كبير، مما افقد الميزانية واردات اساسية لدعمها.

بالمقابل ازدادت واردات الاتحاد السوفيتي من السلع الاستهلاكية الغذائية كالحبوب التي زادت الحاجة اليها بشكل كبير لتردي الانتاج الزراعي في البلاد.

وهذا الخلل ادى إلى زيادة في الدين الخارجي لسد العجز المتصاعد في الميزانية وقد بلغ هذا الدين عام 1984 أكثر من (11) مليار دولار ثم ليرتفع إلى (15.5) مليار دولار عام 1985.

ب- تشير الدراسات الاقتصادية السوفيتية إلى ان معدل النمو الاقتصادي للفترة من 1981 - 1985 كانت تساوي صفراً كما ان معدلات نمو الانتاج الزراعي تدهور بشكل كبير. الامر الذي جعل الدولة تتحمل اعباء دعم المواد الغذائية الضرورية بنسب عالية جداً (50 مليون روبل عام 1985 فقط).

ت- وفي عام 1985 انخفض معدل النمو الصناعي إلى (3%) بالمقارنة مع عام 1984 (4.5%) هذا مع رداءة السلع المصنعة في الاتحاد السوفيتي وتدني قدرتها على التنافس في الاسواق العالمية. وانخفض انتاج الحبوب إلى 195مليون طن بانخفاض 100 مليون طن تقريباً عن السنة السابقة.

ث- ترافق هذا مع حالة من الفساد والتعسف البيروقراطي، إذ ان الفئات العليا للبيروقراطية (وهم كبار مسؤولي الحزب وأجهزة الدولة والذي لا يتجاوز حجمها نصف مليون بالمقارنة مع عدد سكان الاتحاد السوفيتي الذي يبلغ أكثر من 250 مليون) تمتلك تسهيلات باذخة في الحصول على السلع الاستهلاكية ذات المناشيء الاجنبية، فضلاً عن امتلاكها للسيارات الفارهة والسكن الانيق والخدمات الخاصة كالمستشفيات والمدارس والمرافق الترفيهية مع دخل شهري يساوي اضعاف ما يحصل عليه المواطن العادي. ادى ذلك إلى هدر الموارد وتضخم اعباء الدولة فضلاً عن حالة الاستياء والرفض الشعبي الكامل. كما ان ذلك ادى إلى حرص هؤلاء القلة على طبيعة نظام المركزية والعمل على ترسيخه والمحافظة عليه حرصاً على امتيازاتهم الكبيرة.

لقد استشرى الفساد والنهب المنظم لموارد الدولة وعلى أعلى المستويات نتيجة لغياب حلقات المراقبة الرسمية أو الشعبية فضلاً عن مركزية السلطة والابتعاد عن الاساليب الديمقراطية في ادارة الدولة. وقد شهد عهد برجينيف 1964 – 1982 اعلى نسب الفساد الاداري والذي تم الكشف عنه بعد وفاته إذ طالت المسائلة كبار المسؤولين من أمثال رومانوف الرجل الثاني في الحزب الشيوعي فضلاً عن عدد من القادة المقربين من برجينيف وعدد من افراد عائلته.

لقد حدد غورباتشوف في تقريره إلى اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في حزيران 1985 ملامح الازمة الاقتصادية بعدة نقاط.

التخلف التكنولوجي.

أ- رداءة نوعية العديد من المنتجات الصناعية مما مثل عبثية انتاجها.

ب- عدم التوازن في التخطيط الاقتصادي.

ت- الهدر المزمن للطاقة والمواد الخام.

ث- المردود المالي المتدني بالمقارنة مع مستويات عالية من الانفاق.

ترافق مع هذه الملامح تدهور شامل في مجالات الحياة الثقافية والعلمية من خلال اتساع الفجوة التكنولوجية مع الغرب. على سبيل المثال فان استخدام الكومبيوتر في مؤسسات الدولة السوفيتية يتعدى نسبة (32%) وفي ساعات محدودة من اليوم اما الولايات المتحدة واليابان فان النسبة ترتفع إلى (100%) وعلى مدار الساعة.

لقد انعكس الواقع الاقتصادي على المستوى المعاشي للسكان الذي تدنى إلى مستويات كبيرة، الامر الذي دعا عدد من المسؤولين الحكوميين إلى اطلاق دعوات لتقديم المساعدة الدولية، كما اعلن رئيس الوزراء ريجكوف وخلال مقابلة تلفزيونية في كانون 1990 بأن على الحكومة شراء المواد الغذائية الاساسية كالسكر والحبوب واللحوم لتأمين الحاجات الملحة للسكان.وان الدولة تعاني من عجز شديد في هذه المواد ودعا العالم إلى تقديم المساعدة لبلاده !!

كما ظهرت دعوات مماثلة للمساعدة الدولية من مستشار غورباتشوف الاقتصادي ومن سفراء الاتحاد السوفيتي في الولايات المتحدة وبريطانيا فضلاً عن ذلك فقد عملت الحكومة لمواجهة حالة التضخم المتصاعد وفقدان السلع الاساسية في الاسواق واعتماد بطاقة التموين في العديد من مناطق البلاد لتزويد السكان بتلك السلع. أما البطالة فقد ارتفعت إلى نسب مخيفة ففي عام 1985 وصل إلى مليوني عاطل ثم تصاعد إلى 13 مليون عاطل عن العمل عام 1989 وهذه ارقام رسمية قد لا تشير إلى حقيقة الامور. وفي اجتماع له مع وفد اوربي في موسكو في اوائل تشرين أول عام 1991 طلب غورباتشوف مساعدات عاجلة بقيمة (10) مليارات دولار لشراء ملايين الاطنان من الحبوب تفادياً لكارثة انسانية. وبعد ايام وجه غورباتشوف نداءً عاجلاً لدول العالم في خطاب متلفز اشار فيه ان بلاده تواجه كارثة وان برنامجه الاصلاحي مهدد بالخطر.

بدأت الازمة الاقتصادية تنعكس على امور عديدة داخل المجتمع السوفيتي من اهمها تخلخل الاستقرار الداخلي لجمهوريات الاتحاد السوفيتي والتي حرصت الحكومات السابقة على عدم المساس به. كما ان هذه الازمة بدأت تؤثر على قدرات البلاد الدفاعية فضلاً عن اغراق الدولة بالديون الخارجية.

2. الأوضاع السياسية والعسكرية

ان سياسة الاتحاد السوفيتي خلال السبعينيات من القرن العشرين كانت عبارة عن مجموعة من التدخلات العسكرية المباشرة أو غير المباشرة والتي كانت مكلفة بالنسبة للميزانية السوفيتية، وذلك في الشرق الاوسط واسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية، فضلاً عن الدعم الذي تقدمه لدول اوربا الشرقية وعدد من دول العالم الثالث، كذلك تكاليف نشر القوات السوفيتية في عدد من مناطق العالم. كان ذلك كله ضمن الرغبة السوفيتية في التفوق الاستراتيجي على الولايات المتحدة وحلفائها. وان هذه السياسة هي على نمط السياسة السوفيتية المتبعة منذ خمسينيات القرن الماضي دون تطور ودون ان تعدل لتتلائم مع طبيعة الاساليب الامريكية في المواجهة والتي بدأت تأخذ اسلوباً جديداً اكثر تأثيراً.

أ- فقد كانت الكلفة العالية للغزو العسكري لافغانستان والمتمثل بالخسائر المادية المباشرة والتي ارتفعت عام 1985 لتصل إلى (60) مليار روبل فضلاً عن الخسائر غير المباشرة والتي جاءت نتيجة وقف التعاملات التجارية السوفيتية مع الغرب والتي اسهمت في تعميق الازمة الاقتصادية.

ب- عملت الولايات المتحدة على تنشيط سباق التسليح (ولو اعلاميا) لاسيما بعد صدور مبدأ كارتر عام 1980 الداعي إلى زيادة الانفاق العسكري الامريكي الامر الذي دعا السوفيت إلى الانجرار وراء هذا السباق الذي اعلن انه يشمل عسكرة الفضاء.

وفي الوقت الذي تستفيد فيه الولايات المتحدة من موضوع سباق التسلح كون ان انتاج الاسلحة ينشط الاقتصاد الامريكي الذي يقوم على مبدأ الاقتصاد الحر، إذ انه يمتص البطالة ويزيد من تحريك عجلة الاقتصاد الأمريكي، فأنه في ذات الوقت يؤدي إلى زيادة في الازمة الاقتصادية السوفيتية ذات التخطيط والانفاق المركزي والذي يؤثر سلبياً على ميزانية الدولة.

ت- كما عملت الولايات المتحدة على تعميق الأزمة السوفيتية من خلال تعميق تورط الحكومة السوفيتية في المنازعات الاقليمية، إذ عملت على دعم المقاومة الافغانية ضد الوجود السوفيتي كما دعمت حركات التمرد في اثيوبيا وموزمبيق وكمبوديا وغيرها الأمر الذي ساعد في استنزاف اكثر للقدرات العسكرية السوفيتية وبالتالي تعميق الازمة الاقتصادية.

ث- الخلاف الصيني السوفيتي ساهم هو الاخر في تردي الاقتصاد السوفيتي اذ تطلب هذا النزاع إلى انفاق الاتحاد السوفيتي اكثر من (200) مليار روبل لاقامة البنية الاستراتيجية على طول الحدود الاسيوية للاتحاد السوفيتي البالغة أكثر من (7000) سبعة آلاف كيلو متر.

سياسة غورباتشوف

كان بالامكان استمرار تأزم الاوضاع الاقتصادية دون ان يكون هناك ردود افعال عنيفة من قبل مكونات الاتحاد السوفيتي. ذلك كون المجتمع السوفيتي قد استساغ ولفترة تمتد لأكثر من (70) عام على الحكم المركزي المتشدد والذي ترسخت فيه هيمنة الحزب وتفرده بالسلطة إلى درجة بأنه لم يعد هناك من يتصور أي تهديد او خطر على وحدة البلاد وانما التركيز فقط كان على الاستعداد لصد العدوان الخارجي. وكان احتمال انفصال أي جمهورية من جمهوريات الاتحاد السوفيتي الخمسة عشر ضرباً من الخيال لا يمكن تصوره حتى جاء غورباتشوف بأفكاره الاصلاحية والتي تحوم الشكوك حول اهدافها ودوافعها والدور الخارجي فيها.

لقد عمل غورباتشوف في البدء على الموازنة بين تيارين التيار الاصلاحي الذي يدعو إلى اتخاذ خطوات جذرية لاصلاح الواقع الاقتصادي (ولكن ليس إلى الحد الذي يؤدي إلى تفكك الدولة) وبين التيار العقائدي المحافظ على الاسلوب القديم في إدارة الدولة. حتى ان بوريس يلتسين (الرئيس الروسي) علق على ذلك بقوله: " ان غورباتشوف يكتب بيده اليمنى واليسرى في آن واحد ".

لقد حدد غورباتشوف المشكلة بأنها اقتصادية اساساً وان الاصلاح الاقتصادي لا يمكن ان يأتي بثماره إلا بالاصلاح السياسي، وان هذا الاصلاح السياسي يجب ان يبدأ من قمة الهرم السياسي ألا وهو الحزب الشيوعي. وأطلق على سياسته الاصلاحية الجديدة (البيريسترويكا) أي (اعادة البناء) والتي يقوم الاصلاح فيها على صعيد السياسة الداخلية والخارجية.

أما على الصعيد الداخلي فقد عمل على تغيير هيكلة السلطة السياسية في الاتحاد السوفيتي، اذ اجريت انتخابات مؤتمر نواب الشعب في بداية عام 1989 والتي جرت لأول مرة بأسلوب أكثر ديمقراطية وانتخب هذا المؤتمر اعضاء مجلس السوفيت الاعلى.

واستحصل موافقة مجلس النواب على مجموعة من القرارات التي تخفف من سلطة الحزب على مؤسسات الدولة وخاصة العسكرية منها. كما استحصل موافقة انتخاب رئيس للاتحاد السوفيتي بصلاحيات واسعة تمكنه من معالجة الازمة الاقتصادية الخانقة.وفقاً لهذه التعديلات فقد فاز غورباتشوف كأول رئيس له صلاحيات واسعة بنسبة (59%) من مجموع اصوات النواب السوفييت.

كما جرت انتخابات لاختيار رئيس لجمهورية روسيا الاتحادية في ظل الاتحاد السوفيتي وذلك في تموز عام 1991 والذي فاز فيها (بوريس يلتسن) وهو يهودي روسي ذا ميول استقلالية عن الاتحاد السوفيتي، إذ اشار في خطاب تنصيبه امام غورباتشوف " ان روسيا العظمى تنهض من كبوتها وستصبح دولة مزدهرة ذات سيادة " مما اعتبر دعوة صريحة وجريئة للانفصال، وكان ذلك بداية لدعوات اخرى للانفصال على اساس قومي.

ما يتعلق بالسياسة الخارجية

فعلى صعيد العلاقة مع الولايات المتحدة فان غورباتشوف شعر بأن تنمية العلاقة معها سوف ينعكس ايجابياً على الواقع الاقتصادي السوفيتي لذلك اتخذ مجموعة من الاجراءات العسكرية لتخفيف المواجهة في سباق التسلح.

أ- فقد اعلن غورباتشوف امام الجمعية العامة للامم المتحدة في 7 تشرين الثاني 1988 عن ان بلاده قلصت حجم القوات المسلحة بمقدار نصف مليون جندي أي (10%) من اجمالي القوات المسلحة ويشمل التقليص ايضاً المعدات العسكرية بواقع (10) آلاف دبابة و (1500) وحدة مدفعية و (800) طائرة مقاتلة. كما اعلن عن تخفيض ميزانية الدفاع بمقدار (14.2%) وميزانية الصناعة العسكرية بمقدار (19.5%).

ب- وافق الاتحاد السوفيتي على السماح للمفتشين والمراقبين العسكريين من حلف الناتو بمراقبة المناورات العسكرية التي يجريها حلف وارسو. وهو امر لم يسبق له مثيل في تاريخ الحلف.

كما اعلن في تموز عام 1991 عن تخفيض عدد القوات السوفيتية المتواجدة في الخارج، فضلاً عن ذلك فقد تمت الموافقة على وقف اجراء التجارب النووية تحت الارض وتفكيك منصات الصواريخ قصيرة المدى وغيرها من القرارات العسكرية التي وجدت ترحيباً بالغاً لدى الادارة الامريكية والغرب عموماً.

كما حرص على تنسيق المواقف مع الولايات المتحدة فيما يتعلق بالنزاعات الاقليمية في الشرق الاوسط ولبنان وغيرها.

ت- اعلن الرئيس السوفيتي عن سحب قواته من افغانستان في 1988/4/15.

ث- البدء بالتعامل في علاقاته الدولية بعيداً عن المعيار الايديولوجي والمبدئي او الحرص على طبيعة النظام السياسي. ومن هذا المنطلق بدأ الاتحاد السوفيتي باعادة علاقاته مع اسرائيل بشكل تدريجي، ولبيان عمق هذه العلاقة فقد سمح الاتحاد السوفيتي بهجرة اليهود السوفيت إلى اسرائيل، اذ وصل عدد المهاجرين عام 1988 فقط اكثر من 22 ألف مهاجر. وعندما طلبت الدول العربية وقف هذه الهجرة اشار غورباتشوف في شباط 1990 " انه من غير الوارد فرض قيود الهجرة اليهودية، ودعا الدول العربية إلى التخلص من (عقدة المواجهة مع اسرائيل وتركيز الجهود إلى حل وسط!!).

كما بدأ اتصالات مع العربية السعودية اذ وصل وفداً إلى الرياض لأول مرة منذ خمسين عاماً برئاسة مدير إدارة الشرق الاوسط في الخارجية السوفيتية.

لقد بدأت الاخفاقات والانتقادات والنتائج السلبية تظهر بشكل جلي نتيجة سياسة البيروستريكا التي انتهجها غورباتشوف على جميع الصعد.

أ- فقد تصاعدت الانتقادات الداخلية لسياسة غورباتشوف لاعطائه مزيد من التنازلات للولايات المتحدة، إذ صرح قائد قوات الصواريخ الاستراتيجية الجنرال يورجي ماكيموف في مقابلة متلفزة انه ليس من السهل الاقتناع بالمبادرة التي اعلنها غورباتشوف من جانب واحد حول وقف التجارب النووية تحت الارض، واشار جنرال أخر إلى ان الادارة الامريكية سوف تستغل مبادرات الرئيس لصالحها لأنها ستواصل بناء ترسانتها العسكرية واجراء تجاربها النووية بينما السوفيت لا يستطيعون ذلك.

ب- تزايد النفوذ الغربي في الاتحاد السوفيتي من خلال فتح ابواب القروض الاجنبية حتى اصبح الدين الخارجي ذا ارقام خيالية. وعندما بدأ الغرب بوقف هذه القروض اخذ يفرض الشروط لاستمرارها او لجدولتها او لتحديد قيمة الفوائد المترتبة عليها مقرونة بشروط سياسية واقتصادية تفرض اصلاحات جوهرية على الواقع الاقتصادي السوفيتي. الامر الذي ابعد السوفيت عن منهجهم الماركسي فضلاً عن انه عمق ازمتهم الداخلية.

ت- تعمق الاضطرابات الداخلية لاسباب قومية او سياسية مثلاً:

1. وافق برلمان جمهورية لاتيفيا السوفيتية في تشرين اول 1989 على الغاء الدور القيادي للحزب الشيوعي وانشاء وزارة خارجية خاصة بها.

2. كما اعلن في ليتوانيا عن التعددية الحزبية وانفصال الحزب الشيوعي فيها عن الحزب الشيوعي السوفيتي، وانسحب هذا الامر على استونيا وطالبت تلك الدول باجراء استفتاء حول الاستقلال عام 1989.
3. اعلن المسؤولون في جمهورية اذربيجان السوفيتية انهم في حالة حرب مع ارمينيا السوفيتية. الامر الذي دعا القوات السوفيتية تدعمها الدبابات والمصفحات لاقتحام مدينة باكو عاصمة اذربيجان لوضع حد للاضطرابات القومية مع الارمن وفرض حالة الطوارئ، وقد طالب برلمان الجمهورية انسحاب القوات السوفيتية وإلا فأنه سيعلن الانفصال.
4. جمهورية كازخستان بدأت سلسلة من التمردات الداعية للاستقلال ابتداءً من عام 1986 وتصاعدت خلال السنوات اللاحقة.
5. مصادمات مع متظاهرين في ارمينيا في تشرن اول عام 1987.
6. في تموز 1991 استخدم الجيش السوفيتي القنابل السامة ضد متظاهرين في جورجيا مناهضة للاتحاد السوفيتي وقتل فيها اكثر من (20) شخص. لذا فقد قرر برلمان جورجيا رفض التشريعات التي تصدرها موسكو.
7. في أكتوبر 1989 اقر برلمان اوزبكستان اللغة الازبكية لغة رسمية وجاء ذلك بعد انتفاضة واسعة ضد الاتحاد السوفيتي في كانون ثاني عام 1989.

وهكذا سارت الأمور في الاتحاد السوفيتي باتجاه التفجر التشظي مدعوم ذلك برعاية غربية من خلال الدعم الاعلامي والسياسي الكبير لسياسة غورباتشوف الاصلاحية ! وللنزعات الانفصالية في البلطيق والجمهوريات السوفيتية الأخرى.

وما ان حل عام 1991 حتى وصلت الأمور إلى حالة من التأزم. الامر الذي دفع عدد من المسؤولين والعسكريين السوفيت للقيام بانقلاب في يوم الاثنين 19 آب 1991 ضد غورباتشوف لوضع حد لسياسة البروستريكا من بينهم فيغاني بانابيف نائب الرئيس

وهو شيوعي محافظ وفالتين بافلوف رئيس الوزراء وهو أحد كبار المنظرين الاقتصاديين في الاتحاد السوفيتي ووزير الداخلية بوريس يرغو ومسؤول الصناعات الدفاعية ولنغ باكلانوف، فضلاً عن رئيس جهاز الاستخبارات السوفيتي (كي جي بي) كريوتشكوف وعدداً اخر من القادة العسكريين. وذلك بهدف ايقاف عجلة الانهيار الذي لاح بالافق للدولة السوفيتية إلا ان هذا الانقلاب فشل بعد ثلاثة أيام من قيامه وتم اعتقال المشاركين فيه نتيجة للموقف الامريكي والغربي المناوئ له الامر الذي كان فشله بمثابة انتهاء لدور القادة الشيوعيين الذين هدفهم المحافظة على وحدة الاتحاد السوفيتي وادى ذلك إلى انهيار هذه الدولة العظمى وتشظيها. ففي اواخر عام 1991 اعلنت تركمانستان (وهي جمهورية على الحدود مع افغانستان) استقلالها بعد استفتاء اجري فيها في 11/26 والذي جاء نتيجته موافقة (94%) من السكان على استقلال تلك الجمهورية عن الاتحاد السوفيتي.

وبعد عدة ايام صوت الشعب الاوكراني بالموافقة عن الانفصال بنسبة (90%). واعلن الزعيم المنتخب في اوكرانيا ليونيد كرافتشوك عن عزمه عدم توقيع أي معاهدة اتحادية مع الدولة السوفيتية.

وفي محاولة منه لتعميق حالة الانهيار في الاتحاد السوفيتي اعلن الرئيس الأمريكي جورج بوش (الأب) عن اعترافه باستقلال اوكرانيا ووعد بتطوير العلاقات معها ومع روسيا ومع أي جمهورية سوفيتية تقرر الانفصال.

في 9كانون اول عام 1991 اصبح تفكك الاتحاد السوفيتي امراً واقعاً. قد اجتمع رؤساء كل من روسيا واوكرانيا وبيلاروسيا (روسيا البيضاء) واصدروا بياناً مهماً اعلنوا فيه " ان جهود غورباتشوف في استمرار الاتحاد السوفيتي على حاله القديم قد فشلت وان تفتت البلاد اصبح امراً واقعاً. واشار البيان إلى قصر نظر سياسة المركز التي ادت إلى ازمة سياسية واقتصادية". وقرر القادة الثلاث ما يلي " نحن قادة الجمهوريات نعلن ان المحادثات لاستمرار الاتحاد السوفيتي قد انتهت وان عملية الخروج من الاتحاد واقامة دول مستقلة اصبح امراً واقعاً000 وابتداءً من توقيع الاتفاق الثلاثي فأن انظمة وقوانين الاتحاد

السوفيتي لم تعد مطبقة على اراضي الدول الموقعة للاتفاق، ويتوقف فيها نشاط هيئات الاتحاد السوفيتي ". واتفقت الدول الثلاث على الابقاء على قيادة مشتركة في المجال العسكري لاسيما موضوع السلاح النووي، كما اشار الرؤساء الثلاثة إلى ان الاتفاق مفتوح لانضمام جمهوريات الاتحاد السوفيتي الاخرى.

في 12 كانون اول من عام 1991 أعلن غورباتشوف في خطاب له عن خيبة امله من التطورات الجديدة (الاتفاق الثلاثي) واشار إلى رغبته بالاستقالة واكد ان مهمته الرئيسية في حياته قد انتهت.

وفي خطوات اخرى عززت الشعور بانتهاء دور الاتحاد السوفيتي كدولة اعلان كل من، كازخستان، واوزبكستان، وقرقيزيا، وطاجكستان، وتركمانستان، استعدادهم للانضمام للاتفاقية الثلاثية وتكوين كومنولث بين الجمهوريات السوفيتية.

في هذه الاثناء اعلن وزير الخارجية الامريكية جيمس بيكر: " ان الاتحاد السوفيتي لم يعد له وجود، واعلن خلال زيارته إلى موسكو والاجتماع مع الرئيس الروسي يلتسن (متجاوزاً الاجتماع مع غورباتشوف) عن توقيع عدة اتفاقيات مع روسيا.

في 17 /12 أصدر يلتسن مرسوماً ادمج فيه وزارة الخارجية السوفيتية مع وزارة الخارجية الروسية، كما اعلن في 12/20 عن سيطرته على الاجهزة المركزية للاستخبارات الخارجية السوفيتية (كي. جي. بي).

في 12/22 أعلن رسمياً عن انتهاء وجود الاتحاد السوفيتي عندما وقعت (11) جمهورية سوفيتاية اتفاق (الما اتا) وهي عاصمة كازاخستان حول اقامة كومنولث الجمهوريات المستقلة وابلغ غورباتشوف بالغاء المؤسسة الرئاسية من خلال رسالة وجهت له عبر فيها قادة الدول عن انتهاء وجود الاتحاد السوفيتي وشكروا فيها غورباتشوف على مساهماته الايجابية ؟

واعلن ان روسيا ستأخذ مقعد الاتحاد السوفيتي في مجلس الامن، واتفق ايضاً على ان السيطرة على الترسانة النووية ستكون بيد الرئيس الروسي بالاتفاق مع باقي رؤساء الدول المستقلة.

في 25 كانون الاول قدم غورباتشوف استقالته للرئيس الروسي بشكل رسمي وتم انزال العلم السوفيتي الاحمر من فوق بناية الكرملن مقر السلطة الاتحادية وقامت مجموعة من الجنود بانزال العلم ورفع العلم الروسي بدلاً عنه.

يشير المراقبون إلى برامج التهيئة المخابراتية والاعلامية في تجنيد الاشخاص اللازمين لتحقيق الهدف الاهم الذي خطط له الغرب منذ بدايات القرن العشرين في انهاء تجربة الاتحاد السوفيتي واشترك في ذلك عدد من الاطراف من بينها داخلية وخارجية ساهمت في صنع خاتمة مثيرة للقرن العشرين.

ثالثا: اوربا الشرقية تتمرد على الشيوعية

لقد عانت بلدان المنظومة الشيوعية في اوربا الشرقية من ازماتها الاقتصادية والاجتماعية التي وصلت إلى حدود لا يمكن تحملها من قبل شعوب تلك الدول. إذ تجاوزت ديونها الخارجية عام 1985 اكثر من (70) مليار دولار زاد في عام 1986 إلى اكثر من 85 مليار دولار. فكان ذلك بداية لتغلغل النفوذ الغربي فيها من خلال سلطة صندوق النقد الدولي الذي اخذ يتدخل ويفرض شروطه الاصلاحية بهدف تسديد الديون أو اعادة جدولتها.

زاد في تزايد التدخل الغربي في اوربا الشرقية تضاؤل تأثير الاتحاد السوفيتي بسبب ازماته الاقتصادية ونتيجة لسياسة غورباتشوف الاصلاحية والتي أرادت من خلالها التخفيف من اعبائها الخارجية لاسيما في اوربا اذ عملت على تخفيض قواتها هناك إلى مستويات دنيا. الامر الذي اثار انتقادات القادة العسكريين السوفيت من ان تلك السياسة سوف تفقد الاتحاد السوفيتي القدرات الدفاعية اللازمة ونجعل هذه القدرات محصورة على الاراضي السوفيتية(1).

لقد بدأت بوادر التغيير في اوربا الشرقية من بولندا عندما اضرب العمال البولنديين بتحريض من نقابة التضامن التي رفعت شعارات اصلاحية واسعة تدعوا إلى التخلص من المركزية الشيوعية.

إلا ان التحول المهم بدأ من المجر في حزيران من عام 1988 عندما نحي عن الحكم الزعيم المجري بانوس كادا وهو الزعيم الشيوعي الذي نصبه الاتحاد السوفيتي بعد احتلالهم للعاصمة بودابست عام 1956 والقضاء على حكم الاصلاحي اميري ناجي.

---

(1) لقد سبق ان عمل الاتحاد السوفيتي على منع أي نهج اصلاحي في اوربا الشرقية وكثيراً ما كان يتدخل حتى عسكرياً لمنع هذه المحاولات كما حصل في المجر عام 1956 وفي جيكسلوفاكيا عام 1968 مما كانت شعوب تلك الدول تتحذر من القيام بأي عمل لتغيير النظم الشيوعية فيها.

عملت الحكومة الجديدة على ادخال تعديلات مهمة على الدستور بهدف تعزيز استقلاليتها عن الاتحاد السوفيتي وترسيخ دائرة الاصلاح والحريات كتشكيل احزاب سياسية واطلاق حرية الصحافة. كما اعلنت فتح حدودها مع النمسا بهدف السماح لهجرة الالمان الشرقيين الراغبين بالذهاب من المانيا الغربية اذ عبر تلك الحدود اكثر من (3) آلاف مهاجر الماني قادم من المجر باتجاه المانيا الغربية والذي كان من الامور غير المقبولة اطلاقاً. وتأكيداً على استقلالية الحكومة الجديدة فقد دانت القمع السوفيتي الذي طال دولتهم ابان الاحتلال السوفيتي عام 1956 وأعادوا الاعتبار إلى ناجي واعتبروه من الزعماء الوطنيين.

اما الخطوة التي قد تفسر وفق تحليلات عديدة هي اسراع بودابست باعادة علاقاتها مع اسرائيل والتي قطعت منذ عدوان 1967.

والغريب في الامر ان جميع دول اوربا الشرقية التي وصلها التغيير والاصلاح اهم واول خطوة اتخذتها هي اعادة العلاقات مع اسرائيل وكأنهم يكافئون تلك الدولة على أمر ما ! والغريب في الامر ايضاً ان الاتحاد السوفيتي الذي ظل يحافظ على وحدة الكتلة الشيوعية بأي ثمن قد أيد حركة الاصلاح واعتبرها شأن داخلي.

أما رومانيا فأنها على الرغم من نزعتها الاستقلالية السابقة عن الكتلة الشيوعية، إلا ان نظامها السياسي لا يختلف كثيراً عن الانظمة الشيوعية المركزية. وفي محاولته معالجة الاوضاع الاقتصادية المتردية لجأ الرئيس الروماني نيكولاي تشاوسيسكو إلى اجراءات اقتصادية تقشفية صارمة عانى منها الشعب الروماني بشكل كبير جداً.

وعندما بدأت رياح التغيير تهب على اوربا الشرقية نتيجة ارتخاء القبضة السوفيتية حاول حماية نفسه من هذا التغيير، فأغلق الحدود مع الدول المجاورة خوفاً من حمى الاصلاح التي انتابت المنطقة.

إلا ان الاوضاع في رومانيا كانت مهيأة للانفجار فالشخص الذي حكم (24) عاماً حكماً شمولياً صارماً لم يصمد سوى عشرة ايام امام ارادة شعبه بالتغيير.

فقد اندلعت الشرارة الاولى للانتفاضة الرومانية من مدينة تيمشوارا الرومانية في 1989/12/16 عندما تظاهر عدد من الافراد لاطلاق سراح قس بروتستانتي. ثم تحولت التظاهرة إلى انتفاضة جماهيرية اتسعت ككرة الثلج. واتخذت التطورات طابعاً دموياً عندما تدخلت القوات المسلحة واطلقت النار على المتظاهرين وسقط الاف القتلى.

وبعد اسبوع واحد على هذه المجازر حاول تشاوسسكو الهرب إلا ان الجيش انحاز إلى الشعب ضد الشرطة السرية المؤيدة لرئيس النظام والمدربة تدريباً خاصاً (والتي تسمى سيكورتيات ويبلغ عددها بين 50-70 ألف فرد).

وخلال ايام اعلن (ايون ربلسكو) احد مؤسسي لجنة الانقاذ الوطني الاطاحة بالرئيس تشاوسسكو، وانه قد تم اعتقال الرئيس وزوجته ثم اعلن عن اعدامهما في ليلة عيد الميلاد عام 1990.

أما موقف الاتحاد السوفيتي من التغيير الليبرالي الجديد في رومانيا فقد بدأ بادانة وزير الخارجية السوفيتي المجازر التي ارتكبها تشاوشيسكو ضد شعبه وبعد اعلان سقوط النظام الروماني ابدت موسكو اعترافها بالنظام الجديد.

وتشير التقارير إلى ان التنظيم الذي قاد عملية الانتفاضة والتغيير هو تنظيم سري (جبهة الانقاذ الوطني) ضم عناصر من اعضاء الحزب الشيوعي الروماني مدنين وعسكريين، وتشير تلك التقارير ان الجبهة تلقت دعماً امريكياً وفرنسياً تمثل بكميات من الاسلحة والاموال. اذاً فالانتفاضة لم تكن عفوية وانما لعبت فيها عدة اطراف دوراً اما بالتحريض او قيادة التظاهرات او بالسيطرة على المراكز الحساسة للدولة.

اما في بلغاريا كان التغير باسلوب سلمي اذ وافق الحزب الشيوعي في كانون اول 1989 على انهاء دوره القيادي في الحياة السياسية البلغارية وانهاء خضوع اجهزة الدولة كالجيش والشرطة للحزب الشيوعي، واعلن عن اتباع اسلوب التعددية الحزبية. كما تقرر طرد تيودور جيفكوف زعيم الحزب الشيوعي البلغاري وابنه من الحزب.

اما في جيكسلوفاكيا فقد تم اتخاذ نفس الخطوات بطرد سكرتير الحزب الشيوعي وتنصيب هافل كأول رئيس غير شيوعي مما مهد الطريق لايجاد الية انفصال الجيك والسلوفاك إلى دولتين.

اما في يوغسلافيا فقد تميز التغيير فيها بأنه اخذ طابعاً دموياً خلال عملية التفكك وانفراط عقد الاتحاد اليوغسلافي المتكون من خمس جمهوريات (مقدونيا، صربيا، كرواتيا، البوسنة والهرسك، الجبل الاسود) وذلك عندما حاول الجيش الاتحادي (الذي غالبيته من الصرب) ان يعيد الجمهوريات التي اعلنت استقلالها بالقوة المسلحة، إلا انه فشل في تحقيق اهدافه في كل من كرواتيا وسلوفينيا. عزز هذا الفشل تدخل الدول الاوربية والامم المتحدة ضد توجهات الصرب في اعادة الاتحاد إلى سابق عهده. إذ اعلنت الدول الاوربية في 1991/6/5 حظراً على توريد السلاح إلى يوغسلافيا و المساعدات الاقتصادية اعقبه قرار لمجلس الامن التابع للامم المتحدة في 1991/9/25 بفرض حضر مشابه مع الاعلان عن استقلال كل من كرواتيا وسلوفينيا مما كان اعترافاً دولياً بتفكك الاتحاد اليوغسلافي مما مهد الطريق لحرب قاسية عانت منها منطقة البلقان وتدخلت فيها قوة دولية عديدة.

انهيار حائط برلين وتوحيد المانيا:

إلا ان الحدث الأبرز في اوربا الشرقية والذي اعتبره الباحثين انتهاءً لعصر الحرب الباردة بهزيمة احد اطرافها ألا وهو الاتحاد السوفيتي وكتلته كان انهيار حائط برلين الذي انشيء عام 1961 ومثل الستار الحديدي للعلاقة بين الشرق الشيوعي والغرب الرأسمالي.

فمنذ منتصف الثمانينات بدأت العلاقة تزداد وثوقاً بين الالمانيين وبدأ الاتفاق حول تنظيم الهجرة بين البلدين. ولم تكن موافقة المانيا الشرقية على الهجرة إلى المانيا الغربية قد جاء من فراغ فقد تدفق الآلاف من الالمان على برلين الغربية من عدة مناطق.

كما ان المانيا الغربية قررت منح الجنسية الالمانية لكل الذين ينحدرون من اصل الماني في مختلف انحاء اوربا.

في كانون اول 1989 قرر الحزب الشيوعي في المانيا الشرقية طرد اريك هونيكر من زعامة الحزب والدولة واقالة مجموع الوزراء الذين يمثلون الحزب.

وعلى اثر ذلك استقال اعضاء المكتب السياسي الشيوعي وانتخب اعضاء جدد. كما تم انتخاب رئيس جديد للحكومة من الداعين للاصلاح والتغيير الجذري في البنية السياسية.

ثم اتخذ قرار الافراج عن المعتقلين السياسيين المعارضين للنظام الشيوعي. وكما هو الامر في باقي دول اوربا الشرقية فقد سارعت المانيا الشرقية إلى بحث سبل اعادة العلاقات مع اسرائيل مما ترك علامات استفهام كبيرة على مجمل التغيرات في الاتحاد السوفيتي او اوربا الشرقية.

اعقب ذلك قرار المانيا الشرقية بفتح الحدود مع المانيا الغربية والسماح للالمان الشرقيين الدخول مباشرة إلى برلين الغربية مما ادى إلى تدفق الالاف من الالمان إلى غرب المانيا.

وفي جلسة للبرلمان الجديد الذي انتخب في كانون اول عام 1989 وافق البرلمان بالاجماع على انهاء سلطة الحزب الشيوعي والغاء النص الدستوري الذي يشير إلى ان المانيا الشرقية دولة ماركسية.

اما الحدث الابرز في هذا المشهد هو قرار الحكومة الالمانية في كانون اول عام 1990 بهدم سور برلين (او حائط برلين) بالكامل وتحل محله حدود طبيعية بين البلدين.

المهم في الامر هو عجز الاتحاد السوفيتي عن عمل أي شيء سوى انه ابدى تأييده للتغيرات الاصلاحية في المانيا الشرقية على انه اعطى الضوء الاخضر إلى رئيس الوزراء الالماني الغربي هلموت كول بامكانية قيام الوحدة الالمانية خلال زيارته إلى موسكو في شباط عام 1990. وبدأت الخطوات فعلاً لتنفيذ مشروع الوحدة وبدأ بتوحيد

العملة في شباط عام 1990 وانتهى بوحدة الدولتين التي جرت فيها انتخابات ادت إلى فوز هلموت كول برئاسة وزراء المانيا الموحدة.

الوضع الدولي ما بعد انهيار الكتلة الشيوعية

ان انهيار الاتحاد السوفيتي وتفككه قد اشر بداية عصر جديد في العلاقات الدولية، إذ يشير الباحثون إلى ان تغيير طبيعة احد الاعضاء الفاعلين في السياسة الدولية، كانهياره او ضعفه، يؤدي إلى ظهور نظام دولي جديد يساهم في تكوينه اما القوة المنتصرة او قوى ناهضة جديدة تاخذ دورها في هذا النظام، لهذا سيبدأ من هنا التغيير في القوى المتحكمة في هذا النظام وذلك بايجاد توزيع جديد للقوة والهيمنة في العلاقات الدولية.

لذا فقد كان من بين اهم نتائج المرحلة الجديدة ما يأتي:

1. بروز ظاهرة القطب المهيمن

ان اخطر النتائج المترتبة على غياب الاتحاد السوفيتي هو بروز الولايات المتحدة كقوة مهيمنة ومنفردة في ادارة العلاقات الدولية طبقاً لمصالحها ومصالح حلفائها.

ان من بين مخاطر هذه الظاهرة هو ان القوة المهيمنة تعمل بكل قواها على استمرارية هذه الهيمنة وذلك من خلال عدة اساليب:

أ- القضاء على كل القوى التي تهدد هذه الهيمنة وذلك اما بمحاصرتها او استخدام القوة العسكرية المباشرة لانهاء تهديدها.

ب- التوسع في ضم الاقاليم الاستراتيجية او محاولة ربطها إلى سياسة الدولة المهيمنة، لضمان مواقع عسكرية او اقتصادية تديم عملية الهيمنة وذلك اما بالتهديد او الترغيب.

ت- الدخول في تحالفات بزعامة القوة المهيمنة وذلك لتحويل جزء من العبء في ادارة العلاقات الدولية إلى الحلفاء وفق نظرة وتوجيه القوة المسيطرة.

ان الولايات المتحدة قد عملت، وقبل هذه المرحلة على تثبيت سيطرتها وهيمنتها على العالم وذلك باتباع اساليب مختلفة اما بالترغيب او بالضغط او الذي كان يأخذ اشكالاً عديدة من بينها تحريك المؤامرات والدسائس ضد الانظمة المستقلة، ومحاولة خلق المتاعب لانظمتها باستغلال الفوارق القومية او الدينية. ويشير الكاتب الامريكي ريتشارد بارنت إلى ان وكالة المخابرات الامريكية نضمت في عام 1974 عبر ميزانيتها البالغة مليار دولار ومستخدميها الذي يزيد عددهم على (20) الف شخص، العديد من عمليات التخريب والتحريك ضد الدول المستقلة في العالم الثالث وذلك لعام واحد فقط فكيف يكون الحال عندما تنفرد هذه القوة في اداراة السياسة الدولية دون منافس مكافئ.

2. ظاهرة التفكك

وهي احدى نتائج الفقرة الاولى، إذ ان تفكك الاتحاد السوفيتي إلى مجموعة من الدول المستقلة تقوم على الاسس القومية والدينية، قد ادى إلى بروز ظاهرة جديدة في العلاقات الدولية وهي محاولة التقسيمات القومية او الدينية في العديد من الدول في الانفصال وتكوين دول مستقلة على تلك الاسس، مما ادى إلى نشوب النزاعات والحروب الاهلية كما هو الحال في جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق وفي يوغسلافيا.

ان نجاح سياسة التفتيت التي تبنتها الولايات المتحدة منذ زمن بعيد مع الاتحاد السوفيتي والدول الاشتراكية، قد ادى إلى محاولة الولايات المتحدة بالتمسك بهذه السياسة وتطويرها مستغلة اجواء الهيمنة التي تتمتع بها، ومحاولة تطبيقها على مناطق عديدة من العالم انطلاقاً من ان هذه السياسة تهيئ المناخ الملائم للتدخل والسيطرة بحجة الحفاظ على الامن والسلم الدوليين او تحت غطاء الشرعية الدولية او بحجة الاعتبارات

الانسانية كما حصل في يوغسلافيا وجيكسلوفاكيا وذلك لمنع عودة الانظمة الشيوعية إلى تلك الدول وغيرها.

3. انهيار وضعف التكتلات الاقليمية والدولية.

لقد كان من اهم سمات النظام الدولي السابق هو قيام العديد من التكتلات والمنظمات الاقليمية والدولية التي بنيت على أسس سياسية او اقتصادية او عسكرية من بينها تلك التي اسستها الدول العظمى خدمة لاستراتيجيتها.

هذا فضلاً عن الامم المتحدة التي تشكلت عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية، إذ كانت تتمتع بقدر معين من الفاعلية نتيجة للتوازن القائم في العلاقات الدولية لاسيما ان هناك حدوداً معينة اتفقت عليها الدول العظمى بشكل مباشر نتيجة لتعادل القوى فيما بينهما.

إلا ان تفرد الولايات المتحدة واستخدامها لمختلف الاساليب لضمان هيمنتها على الواقع الدولي، وغياب القوى الموازية لها، قد اخل بذلك التوازن القائم في المرحلة السابقة مما ادى إلى سيطرة الولايات المتحدة على المنظمة الدولية الرئيسة (الامم المتحدة) وتسخيرها لتثبيت سيطرتها على العلاقات الدولية، مما ادى إلى ضعفها وفقدان معظم دول العالم الثقة بقراراتها خاصة بعد ان بدأت تكيل الاحداث بأكثر من مكيال طبقاً لمصالحها، لاسيما القرارات التي اتخذت ضد العراق ويوغسلافيا وموافقة الامم المتحدة على التدخل الامريكي في الصومال.

ونتيجة لانهيار وتفكك الاتحاد السوفيتي فقد انهارت المنظمات والتكتلات المرتبطة به كحلف وارشو ومنظمة الكوميكون. فضلاً عن العديد من المنظمات الاقليمية الاخرى نتيجة لتشتت اعضائها وتغليب المصلحة الضيقة على المصلحة الشاملة لاعضاء تلك المنظمات، لاسيما ان القوى المهيمنة على العالم تعمل على الضغط على مختلف الدول لاجبارها على اتباع سياسة معينة بالترغيب تارة او بالترهيب تارة اخرى.

والمثال الواضح على ذلك هي الجامعة العربية وكذلك المجـالس العربيـة التـي اقيمـت في المرحلة السابقة حيث فقدت الفاعلية المؤثرة التي كانت تتمتع بها (نسبياً) فهي اما حلت كمجلس التعاون العربي او ضعف دورها كالجامعة العربية ومجلس التعاون الخليجي الـذي لم يسـتطع حـل المشاكل الداخلية لدول الاعضاء كما هو الحال في مشكلة الحدود بين قطر والسعودية.

وذلك الحال ينطبق ايضاً على حركة عدم الانحياز والتي حاول العديد مـن اعضـائها الغـاء دورها او تحويلها عن اهدافها بحجة انتهاء الصراع القائم بين المعسكر الغربي والشرقي.

وخلاصة القـول فـيما يتعلـق بهـذه النقطـة هـو ان الواقـع الـدولي عقـب انهيـار الاتحـاد السوفيتي يشير إلى انحسار الشرعيـة وضـعف القـيم القانونيـة والاخلاقيـة التـي نظمـت العلاقـات الدولية خلال المرحلة السابقة وكان من بين اسباب ذلك هو الانفراد الامريكي على السـاحة الدوليـة بعد انهيار القوة الموازنة وعدم ظهور قوة جديدة لحد الآن تحد من هذه الهيمنة.

المـــــلاحق



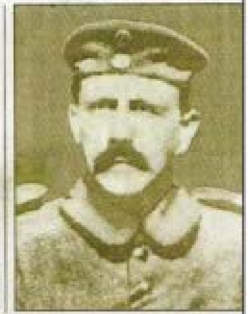
والد هتلر وامه



هتلر الطفل



هتلر بعد خروجه من السجن سنة ١٩٢٤



هتلر في الحرب العالمية الأولى برتبة (عريف)



صورة لذكرى لأسماء الخلية الأولى للحزب النازي



صورة هتلر في السجن ورفقائه



لقاء هتلر مع الرئيس فرانكو



رئيس وزراء بريطانيا، تشيمبرلين، في ميونيخ سنة ١٩٣٨ يسترضي هتلر طالباً منه عدم إشعال الحرب في أوربا



توقيع أتفاقية ميونخ ويظهر هتلر مع موسوليني مع
رئيس وزراء فرنسا وبريطانيا





المشير بيتان

ادوارد ديلاديه رئيس وزراء فرنسا



العميد شارل ديغول



رئيس وزراء بريطانيا ونستون شرشل



الرئيس الأمريكي روزفلت يوقع إعلان الحرب ضد دول المحور



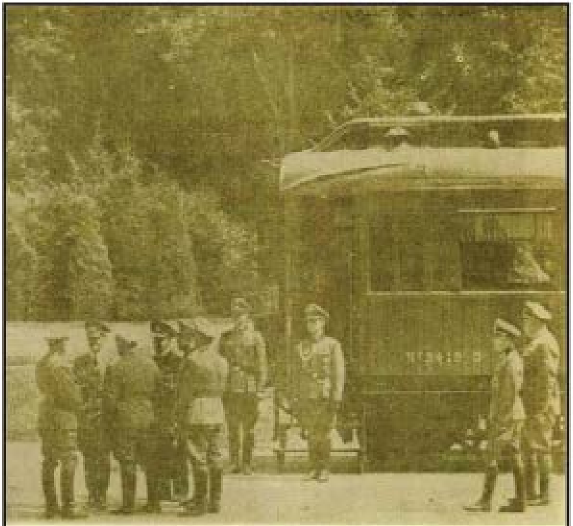
جوزيف ستالين رئيس الاتحاد السوفيتي



مولوتوف وريبنتروب يوقعان في موسكو اتفاقية عدم الاعتداء



موتمر يالطا -تشرشل- وروزفلت- وستالين.



هتلر قرب عربة القطار في كومبين عند توقيع الهدنة بين المانيا وفرنسا ١٩٤٠



فيلهلم كيتيل يوقع وثيقة استسلام ألمانيا



النازيون في محكمة نورمبرج



هتلر مع إيفا براون في منتجعهما في برشتسغادن مع كلبيهما



معركة برلين ١٩٤٥



موافقة الريخشتاغ على إعلان الحرب .



استعراض القوات المسلحة الألمانية للتهيؤ للحرب في شوارع برلين



المارشال غاريبالدي والمارشال رومل في ليبيا

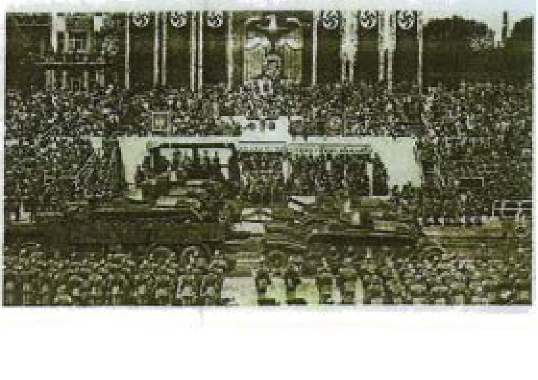


المارشال مونتغومري



الاحتفال بتوقيع حلف المحور الثلاثي ويبدو هتلر بين فون ريبنتروب والكونت شيانو وإلى جانب الأخير ظهر وزير خارجية اليابان كوروسو

صورة التقطت أثناء الاستعراض العسكري الذي جرى في برلين ، بمناسبة انعقاد حلف ، محور طوكيو – روما – برلين ، العسكري .



المراجع

مراجع مختارة في تأريخ العلاقات الدولية

- ج. ب تايلر، اصول الحرب العالمية الثانية، ترجمة مصطفى كمال حميش، (القاهره – 1971).
- ج. جرانت، اوربا في القرنين التاسع عشر والعشرين، جزئين، ترجمة محمد علي ابو دره، (القاهره – 1978).
- إسماعيل صبري مقلد، قضايا دولية معاصرة،(الكويت – 1980).
- --------، العلاقات السياسية الدولية، ط4، (الكويت – 1984).
- أمين شلبي، الوفاق الأمريكي- السوفيتي، (القاهره –1981).
- أمين هويدي، كيسنجر وادارة الصراع الدولي، (بيروت – 1979).
- ادونيس العكره،من الحرب البارده الى الأسترتيجية النووية، (بيروت – 1980).
- بروس بورتز، انياب الكرملن، ترجمة الفاتح التيجاني ، (لندن 1985).
- بيير رينوفان وجان باتست، مدخل الى تاريخ العلاقات الدولية، ترجمة فايز نقش، (بيروت -1967).
- بيير رينوفان، تاريخ العلاقات الدولية، ترجمة جلال يحيى، (القاهرة 1978).
- تشارلس اوليرتش، الحرب الباردة وما بعدها، ترجمة فاضل زكي محمد، (بغداد – 1976).
- حسن فتح الباب، المنازعات الدولية، (القاهره، د.ت).
- ديفد وايتر وتوماس روس، الحكومة الخفية،ترجمة جورج عزيز، (القاهره د.ت).
- سليم حداد – قوات الامم المتحدة في لبنان، (بيروت – 1981).
- راشد البراوي، العلاقات السياسية الدولية والمشكلات الكبرى،(القاهره – 1972).

- ربيع الهاشم ، الوثائق الاساسية للثورة الفيتنامية، (بيروت – 1975).
- رياض الصمد – العلاقات الدولية في القرن العشرين، (جزئيين)، (بيروت – 1983).
- ريشارد بارنت،حروب التدخل الأمريكي في العالم، ترجمة منعم النعمان، (بيروت – 1974).
- د. عبد العزيز سليمان نوار، التاريخ المعاصر في اوربا، (بيروت – 1973).
- د. فاضل حسين وكاظم هاشم النعمة، التاريخ الاوربي الحديث، ط1، (بغداد – 1982).
- كولن باون وبيتر موني، من الحرب البارده حتى الوفاق، ترجمة صادق إبراهيم عوده.
- كاظم هاشم النعمة،الوجيز في تاريخ العلاقات الدولية، (بغداد 1992).
- محمد حسنين هيكل، عبد الناصر والعالم،(بيروت – 1972).
- منير الصور وطارق الموسى،مشاريع التسويه الفلسطينيه 1947 -1982، (عمان – 1983).
- موريس دوفرجيه، في الديكتاتورية، ترجمة هشام متولي، (بيروت – 1965).
- ميخائيل غوربا تشوف، البير يستر ويكا، ترجمة د.عباس خلف،(بغداد – 1990).
- هــ أ. ل فشر، تاريخ اوربا في العصر الحديث (1789 – 1950)، ترجمة احمد نجيب هاشم ووديع الضبع، (القاهره – 1958).
- ونستن تشرشل، مذكرات ونستن تشرشل، ترجمة محمد شلبي (القاهره – 1970).

A. M. Gathorne - Hardy, short history of international Affairs 1919 - 1939, (London - 1963).

Arthar . M.S .Jr. , Athausand Days (john.F.Kennedy in The white House), (London -1967).

B. Collier, the second world war, (London - 1972).

Boyush , Soviet -foreign policy ,1955-1965, (Moscow 1965).

C. Longsam the world since 1914, (New York - 1940).

Devid Kimche , The Aro- Asian Movement, Ideology and foreign policy of the thirdworld.

D.J.Dallin, Soviet foreign policy after Stalin, (London -1977).

F.S.Nrthede, the foreign policies of the power, (New yourk -1975).

Halle , The cold war in History ,1967.

W. Lafeber , American -Russia and cold war, (New York - 1976).

M.Gurtor, The U.S Against The Third World, (New York - 1974).

S.T.Hosmer, Soviet Policy Toward Third World conflict , (Toronto - 1983).

الفهرس

العالم المعاصر بين حربين

من الحرب العالمية الأولى الى الحرب الباردة

١٩١٤م - ١٩٩١م



9789957626877

دار المعتز للنشر والتوزيع

الأردن - عمان - شارع الملكة رانيا العبدالله - الجامعة الأردنية

مقابل كلية الزراعة عمارة رقم ٢٣٣ الطابق الأرضي

تلفاكس: ٠٠٩٦٢٦٥٣٧٣٠٢٥ ص.ب: ١٨٤٠٣٤ عمان: ١١١١٨ الأردن

e-mail: daralmuotaz.pup@gmail.com